ديوان متنبي

مصرلی یوسف مملوك
خطیدر ٥

١٥٩ ورقدر

ايا صوفيه
٢٩٦٧





1

[illegible]

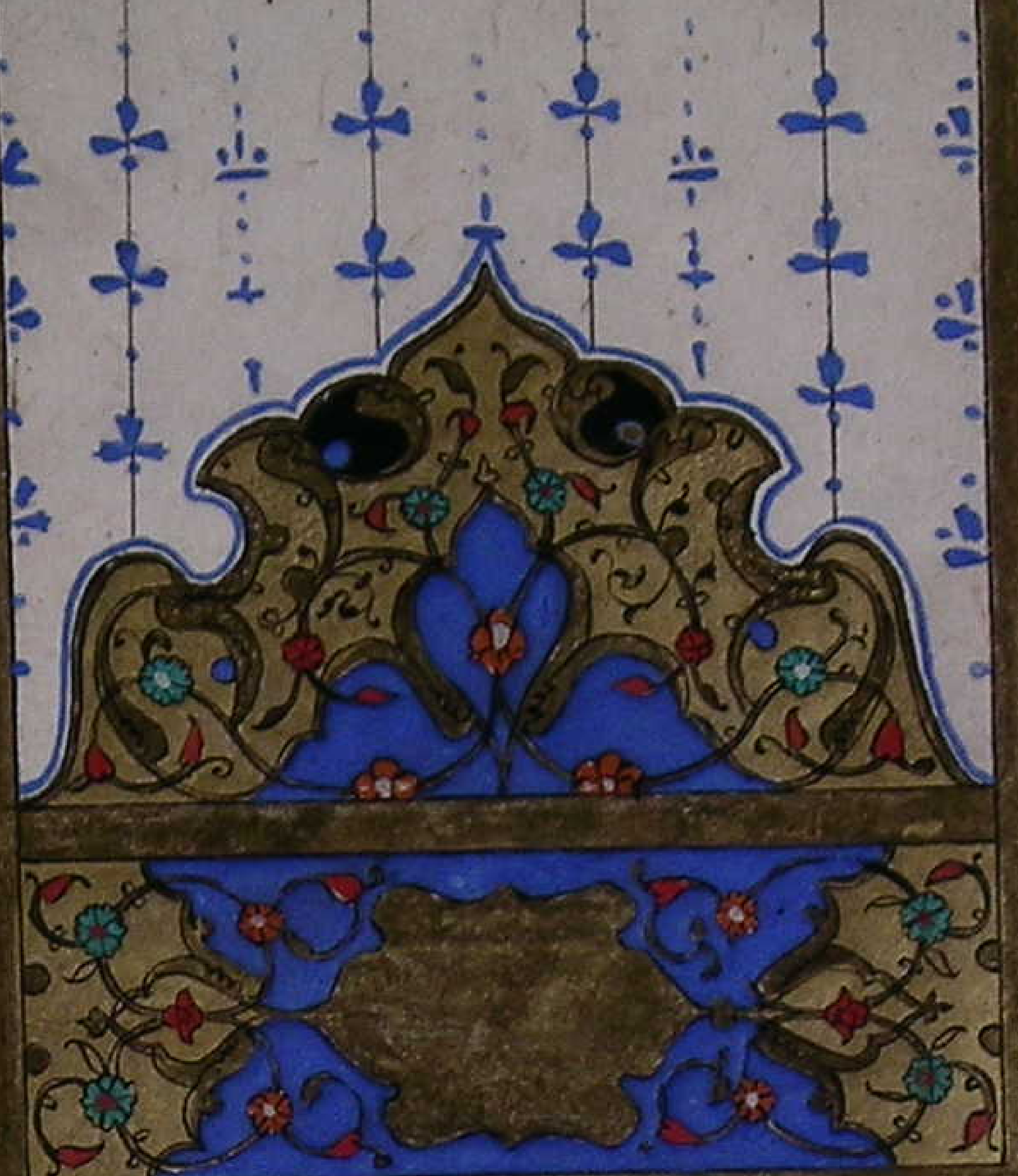
[illegible]

٤٩٦٧



وقف السلطان الأديب الأريب والخاقان الحسيب النسيب
الشجاع الذي علم الأعداء بالقهر الألد وحاز بمعاليه آثار السير والمعالي
وعلمهم علم السلطان بن السلطان السلطان أبو الفتوح ور
محمود خان بن السلطان مصطفى خان خلد الله سلطنته وأبد
في العالمين بآلائه وأنا الفقير إليه سبحانه وتعالى
مصطفى طاهر المفتش بالحرمين الشريفين
المحمد بن غفر له





أجمعت الرواة أن أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبي
ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاث مائة في كندة وانه من أوسطهم
حسبا وبها نشأ وتأدب ولما اشتد ساعده هاجر الى العلما
فلقي أصحاب المبرد أبي العباس محمد بن يزيد فقرأ على أكابرهم
منهم أبو إسحق الزجاج وأبو بكر بن السراج وأبو الحسن الأخفش
ولقي أصحاب أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب فقرأ على أبي موسى
الحامض وأبي عمر الزاهد وأبي نصر ولقي أصحاب أبي سعيد
السكري فقرأ على نفطويه وابن درستويه ثم لقي الأكابر منهم
أبو علي الفارسي وأبو القاسم عمر بن سيف البغدادي
وأبو عمران موسى فبرع في الأدب ولم يكن في وقته من الشعراء
من يدانيه في علمه ولا يجاريه في أدبه وقال الشعر صبيا
فمن أول قوله

بأبي من وددته فافترقنا ... وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
وافترقنا حولا فلما التقينا ... كان تسليمه علي وداعا

وقال

وقال وهو صبي

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني ... وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال اذا ... أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا أنني رجل ... لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقال أيضا في صباه يمدح أبا الحسن محمد بن عبيد الله العلوي

أهلا بدار سباك أغيدها ... أبعد ما بان عنك خردها
ظلت بها تنطوي على كبد ... نضيجة فوق خلبها يدها
يا حادي عيرها وأحسبني ... أوجد ميتا قبيل أفقدها
قفا قليلا بها علي فلا ... أقل من نظرة أزودها
ففي فؤاد المحب نار هوى ... أحر نار الجحيم أبردها
شاب من الهجر فرق لمته ... فصار مثل الدمقس أسودها
بانوا بخرعوبة لها كفل ... يكاد عند القيام يقعدها
ربحلة أسمر مقبلها ... سبحلة أبيض مجردها
يا عاذل العاشقين دع فئة ... أضلها الله كيف ترشدها
ليس يحيك الملام في همم ... أقربها منك عنك أبعدها
بئس الليالي سهرت من طرب ... شوقا الى من يبيت يرقدها
أحييتها والدموع تنجدني ... شؤونها والظلام ينجدها
لا ناقتي تقبل الرديف ولا ... بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ومشفرها ... زمامها والشسوع مقودها
أشد عصف الرياح يسبقه ... تحتي من خطوها تأيدها
في مثل ظهر المجن متصل ... بمثل بطن المجن قرددها

مرتميات بنا الى ابن عبيد — الله غيطانها وفدفدها

الى فتى يصدر الرماح وقد — انهلها في القلوب موردها

له ايادٍ اليّ سابقة — اعدّ منها ولا اعددها

يعطي فلا مطله يكدرها — بها ولا منّه ينكدها

خير قريش ابا وامجدها — اكثرها نائلا واجودها

اطعنها بالقناة اضربها — بالسيف جحجاحها مسوّدها

افرسها فارسا واطولها — باعا ومغوارها وسيدها

تاج لؤيّ ابن غالب وبه — سما لها فرعها ومحتدها

شمس ضحاها هلال ليلتها — درّ تقاصيرها زبرجدها

يا ليت بي ضربة اتيح لها — كما اتيحت له محمدها

اثّر فيها وفي الحديد وما — اثّر في وجهه مهنّدها

فاغتبطت اذ رات تزينها — بمثله والجراح تحسدها

وايقن الناس ان زارعها بال — مكر في قلبه سيحصدها

اصبح حساده وانفسهم — تحدرها خوفه وتصعدها

تبكي على الانصل الغمود اذا — انذرها انه يجردها

لعلمها انها تصير دما — وانه في الرقاب يغمدها

اطلقها فالعدو من جزع — يذمها والصديق يحمدها

تنقدح النار من مضاربها — وصب ماء الرقاب يخمدها

اذا اضل الهمام مهجته — يوما فاطرافهن تنشدها

قد اجمعت هذه الخليقة لي — انك يا ابن النبي اوحدها

وانك بالامس كنت محتلما — شيخ معد وانت امردها

فكم وكم نعمة مجللة — ربيتها كان منك مولدها

وكم وكم حاجة سمحت بها — اقرب مني الي موعدها

ومكرمات مشت على قدم ال — بر الى منزلي ترددها

اقر جلدي بها علي فلا — اقدر حتى الممات اجحدها

فعد بها لا عدمتها ابدا — خير صلات الكريم اعودها

وقال وهو صبي في المكتب وقد قيل له ما احسن هذه الوفرة

لا تحسن الشعرة حتى ترى — منشورة الضفرين يوم القتال

على فتى معتقل صعدة — يعلها من كل وافي السبال

وقال في صباه ايضا

محبي قيامي ما لذلكم النصل — بريئا من الجرحى سليما من القتل

ارى من فرندي قطعة في فرنده — وجودة ضرب الهام في جودة الصقل

وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي — ارتك احمرار الموت في مدرج النمل

امط عنك تشبيهي بما وكانه — فما احد فوقي ولا احد مثلي

وذرني واياه وطرفي وذابلي — نكن واحدا يلقى الورى وانظرالي

وقال ايضا وهو في المكتب يمدح رجلا واراد ان يستكشفه عن مذهبه

كفي اراني ويك لومك الوما — هم اقام على فؤاد انجما

وخيال جسم لم يخل له الهوى — لحما فينحله السقام ولا دما

وخفوق قلب لو رايت لهيبه — يا جنتي لظننت فيه جهنما

واذا سحابة صد حب ابرقت — تركت حلاوة كل حب علقما

يا وجه داهية الذي لولاك ما — اكل الضنى جسدي ورض الاعظما

ان كان اغناها السلو فانني — امسيت من كبدي ومنها معدما

غصن على نقوى فلاة نابت   شمس النهار تقل ليلا مظلما
لم تجمع الاضداد في متشابه   الا لتجعلني لغرمي مغنما
كصفات اوحدنا ابي الفضل التي   بهرت فانطق واصفيه وافحما
يعطيك مبتدئا فان اعجلته   اعطاك معتذرا كمن قد اجرما
ويرى التعظم ان يرى متواضعا   ويرى التواضع ان يرى متعظما
نصر الفعال على المطال كانما   خال السؤال على النوال محرما
يا ايها الملك المصفى جوهرا   من ذات ذي الملكوت اسمى من سما
نور تظاهر فيك لاهوتية   فتكاد تعلم علم ما لن يعلما
ويهم فيك اذا نطقت فصاحة   من كل عضو منك ان يتكلما
انا مبصر واظن اني نائم   من كان يحلم بالاله فاحلما
كبر العيان علي حتى انه   صار اليقين من العيان توهما
يا من لجود يديه في امواله   نقم تعود على اليتامى انعما
حتى يقول الناس ماذا عاقلا   ويقول بيت المال ماذا مسلما
اذكار مثلك ترك اذكاري له   اذ لا تريد لما اريد مترجما

وقال ايضا في صباه

الى اي حين انت في زي محرم   وحتى متى في شقوة والى كم
والا تمت تحت السيوف مكرما   تمت وتقاسي الذل غير مكرم
فثب واثقا بالله وثبة ماجد   يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

وقال في صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي

احيا وايسر ما قاسيت ما قتلا   والبين جار على ضعفي وما عدلا
والوجد يقوى كما تقوى النوى ابدا   والصبر ينحل في جسمي كما نحلا

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت   لها المنايا الى ارواحنا سبلا
بما بجفنيك من سحر صلي دنفا   يهوى الحياة واما ان صددت فلا
الا يشب فلقد شابت له كبد   شيبا اذا خضبته سلوة نصلا
يجن شوقا فلولا ان رائحة   تزوره في رياح الشرق ما عقلا
ها فانظري او فظني بي ترى حرقا   من لم يذق طرفا منها فقد وألا
علّ الامير يرى ذلي فيشفع لي   الى التي تركتني في الهوى مثلا
ايقنت ان سعيدا طالب بدمي   لما بصرت به بالرمح معتقلا
وانني غير محص فضل والده   ونائل دون نيلي وصفه زحلا
قيل بمنبج مثواه ونائله   في الافق يسأل عمن غيره سألا
يلوح بدر الدجى في صحن غرته   ويحمل الموت في الهيجاء ان حملا
ترابه في كلاب كحل اعينها   وسيفه في جناب يسبق العذلا
مهذب الجد يستسقى الغمام به   حلو كأن على اخلاقه عسلا
هو الامير الذي بادت تميم به   قدما وساق اليها حينها الاجلا
لنوره في سماء الفخر مخترق   لو صاعد الفكر فيه الدهر ما نزلا
لما رأته وسيف النصر مقبلة   والحرب غير عوان اسلموا الحللا
وضاقت الارض حتى كان هاربهم   اذا رأى غير شيء ظنه رجلا
فبعده والى ذا اليوم لو ركضت   بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا
فقد تركت الالى لاقيتهم جزرا   وقد قتلت الالى لم تلقهم وجلا
كم مهمه قذف قلب الدليل به   قلب المحب قضاني بعد ما مطلا
عقدت بالنجم طرفي في مفاوزه   وحر وجهي بحر الشمس اذ افلا
لو كنت حشو قميصي فوق نمرقها   سمعت للجن في غيطانها زجلا

أنكحت صم حصاها خف يعملة ... تغشمرت بي إليك السهل والجبلا
حتى وصلت بنفس مات أكثرها ... وليتني عشت منها بالذي فضلا
أرجو نداك ولا أخشى المطالة به ... يا من إذا وهب الدنيا فقد بخلا

وقال أيضاً في صباه

كم قتيل كما قتلت شهيد ... لبياض الطلى وورد الخدود
وعيون المها ولا كعيون ... فتكت بالمتيم المعمود
در در الصبى أأيام تجريـ ... ـر ذيولي بدار أثلة عودي
عمرك الله هل رأيت بدورا ... قبلها في براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهد ... ب تشق القلوب قبل الجلود
يترشفن من فمي رشفات ... هن فيه حلاوة التوحيد
كل خمصانة أرق من الخمـ ... ـر بقلب أقسى من الجلمود
ذات فرع كأنما ضرب العنـ ... ـبر فيه بماء ورد وعود
حالك كالغداف جثل دجوجيـ ... ـي أثيث جعد بلا تجعيد
تحمل المسك عن غدائرها الريـ ... ـح وتفتر عن شتيت برود
جمعت بين جسم أحمد والسقـ ... ـم وبين الجفون والتسهيد
هذه مهجتي لديك لحيني ... فانقصي من عذابها أو فزيدي
أهل ما بي من الضنى بطل صيـ ... ـد بتصفيف طرة وبجيد
كل شيء من الدماء حرام ... شربه ما خلا دم العنقود
فاسقنيها فدى لعينيك نفسي ... من غزال وطارفي وتليدي
شيب رأسي وذلتي ونحولي ... ودموعي على هواك شهودي
أي يوم سررتني بوصال ... لم ترعني ثلاثة بصدود
ما مقامي بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود
مفرشي صهوة الحصان ولكـ ... ـن قميصي مسرودة من حديد
لأمة فاضة أضاة دلاص ... أحكمت نسجها يدا داود
أين فضلي إذا قنعت من الدهـ ... ـر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرز ... ق قيامي وقل عنه قعودي
أبدا أقطع البلاد ونجمي ... في نحوس وهمتي في سعود
ولعلي مؤمل بعض ما أبـ ... ـلغ باللطف من عزيز حميد
لسري لباسه خشن القطـ ... ـن ومروي مرو لبس القرود
عش عزيزا أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح أذهب للغيـ ... ـظ وأشفى لغل صدر الحسود
لا كما قد حييت غير حميد ... وإذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز في لظى وذر الذ ... ل ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يعـ ... ـجز عن قطع بخنق المولود
ويوقى الفتى المخش وقد خو ... ض في ماء لبة الصنديد
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضا ... د وعوذ الجاني وغوث الطريد
إن أكن معجبا فعجب عجيب ... لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا ترب الندى ورب القوافي ... وسمام العدى وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمود

وقال وقد أهدى إليه عبيد الله بن خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز من عسل

قد شغل الناس كثرة الأمل … وانت بالمكرمات في شغلِ
تمثلوا حاتمًا ولو عقلوا … لكنت في الجود غاية المثلِ
اهلًا وسهلًا بما بعثت به … إيهًا أبا قاسمٍ وبالرسلِ
هديةً ما رأيت مهديها … إلّا رأيت العباد في رجلِ
أقلّ ما في أقلها سمكٌ … يلعب في بركةٍ من العسلِ
كيف أكافي على أجلّ يدٍ … من لا يرى أنها يدٌ قبلي

وقال وقد انفذ جامة فيها حلوا فردّها وكتب فيها بالزعفران

أقصر فلست بزائدي ودّا … بلغ المدى وتجاوز الحدّا
أرسلتها مملوّة كرمًا … فرددتها مملوّة حمدا
جاءتك تطفح وهي فارغة … مثنى به وتظنها فردا
تأبى خلائقك التي شرفت … ألّا تحنّ وتذكر العهدا
لو كنت عصرًا منبتًا زهرًا … كنت الربيع وكانت الوردا

وقال أيضا يمدحه وابنه

أظبية الوحش لولا ظبية الأنس … لما غدوت بجدٍّ في الهوى تعس
ولا سقيت الثرى والمزن مخلفه … دمعًا ينشّفه من لوعةٍ نفسي
ولا وقفت بجسمٍ مسي ثالثه … ذي أرسمٍ درسٍ في الأرسم الدرس
صريع مقلتها سآل دمنتها … قتيل تكسير ذاك الجفن واللعس
خريدة لو رأتها الشمس ما طلعت … ولو رآها قضيب البان لم يمس
ما ضاق قبلك خلخال على رشأٍ … ولا سمعت بديباجٍ على كنس
إن ترمني نكبات الدهر من كثبٍ … ترم امرأً غير رعديدٍ ولا نكس
يفدي بنيك عبيد الله حاسدهم … بجبهةٍ يفتدى حافر الفرس

أبا الغطارفة الحامين جارهم … وتاركي الليث كلبًا غير مفترس
من كل أبيض وضّاح عمامته … كأنما اشتملت نورًا على قبس
دانٍ بعيدٍ محبٍّ مبغضٍ بهجٍ … أغرّ حلوٍ ممرٍّ لينٍ شرسِ
ندٍ أبيّ غرٍ وافٍ أخي ثقةٍ … جعدٍ سريٍّ نهٍ ندبٍ رضيٍّ ندسِ
لو كان فيض يديه ماء غاديةٍ … عزّ القطا في الفيافي موضع اليبس
أكارمٌ حسد الأرض السماء بهم … وقصّرت كلّ مصرٍ عن طرابلس
أيّ الملوك وهم قصدي أحاذره … وأيّ قرنٍ وهم سيفي وهم ترسي

وقال يمدح صديقًا له ويودّعه وهو أبو الحسن عبد الرزاق بن أبي الفرج

أحببت برّك إذ أردت رحيلا … فوجدت أكثر ما وجدت قليلا
وعلمت أنك في المكارم راغبٌ … صبٌّ إليها بكرةً وأصيلا
فجعلت ما تهدي إليّ هديةً … منّي إليك وظرفها التأميلا
برٌّ يخفّ على يديك قبوله … ويكون محمله عليّ ثقيلا

وقال ومدّ إنسان يده إليه بكأسٍ فأبى فحلف ذلك الإنسان بالطلاق ليشربنّها فقال

وأخٍ لنا بعث الطلاق أليّةً … لأعلّلنّ بهذه الخرطوم
فجعلت ردّي عرسه كفّارةً … من شربها وشربت غير أثيم

وقال في صباه يهجو سوار الرملي

بقيّة قومٍ آذنوا ببوار … وأنضاء أسفارٍ كشرب عقار
نزلنا على حكم الرياح بمسجدٍ … علينا لها ثوبا حصًى وغبار
خليليّ ما هذا مناخًا لمثلنا … فشدّا عليها وارحلا بنهار

ولا تشكر اعصف الرياح فانها … قرى كل ضيف بات عند سوار

وقال في صباه يمدح محمد بن اوس

ارق على ارق ومثلي يارق … وجوى يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة ان تكون كما ارى … عين مسهدة وقلب يخفق
ما لاح برق او ترنم طائر … الا انثنيت ولي فؤاد شيق
جربت من نار الهوى ما تنطفي … نار الغضا وتكل عما تحرق
وعذلت اهل العشق حتى ذقته … فعجبت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبي انني … عيرتهم فلقيت فيه ما لقوا
ابني ابينا نحن اهل منازل … ابدا غراب البين فينا ينعق
نبكي على الدنيا وما من معشر … جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
اين الاكاسرة الجبابرة الاولى … كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضا بجيوشه … حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس اذا نودوا كان لم يعلموا … ان الكلام لهم حلال مطلق
فالموت آت والنفوس نفائس … والمستغر بما لديه الاحمق
والمرء يامل والحياة شهية … والشيب اوقر والشبيبة انزق
ولقد بكيت على الشباب ولمتي … مسودة ولماء وجهي رونق
حذرا عليه قبل يوم فراقه … حتى لكدت بماء جفني اشرق
اما بنو اوس بن معن بن الرضا … فاعز من تحدى اليه الاينق
كبرت حول ديارهم لما بدت … منها الشموس وليس فيها المشرق
وعجبت من ارض سحاب اكفهم … من فوقها وصخورها لا تورق
وتفوح من طيب الثناء روائح … لهم بكل مكانة تستنشق

مسكية النفحات الا انها … وحشية بسواهم لا تعبق
امريد مثل محمد في عصرنا … لا تبلنا بطلاب ما لا يلحق
لم يخلق الرحمن مثل محمد … احدا وظني انه لا يخلق
يا ذا الذي يهب الكثير وعنده … اني عليه باخذه اتصدق
امطر علي سحاب جودك ثرة … وانظر الي برحمة لا اغرق
كذب ابن فاعلة يقول بجهله … مات الكرام وانت حي ترزق

وقال ايضا في صباه يمدح علي بن احمد الطائي ٥

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا … فلم ادر اي الظاعنين اشيع
اشاروا بتسليم فجدنا بانفس … تسيل من الاماق والسم ادمع
حشاي على جمر ذكي من الهوى … وعيناي في روض من الحسن ترتع
ولو حملت صم الجبال الذي بنا … غداة افترقنا اوشكت تتصدع
بما بين جنبي التي خاض طيفها … الي الدياجي والخليون هجع
اتت زائرا ما خامر الطيب ثوبها … وكالمسك من اردانها يتضوع
فشرد اعظامي لها ما اتى بها … من النوم والتاع الفؤاد المفجع
فيا ليلة ما كان اطول بتها … وسم الافاعي عذب ما اتجرع
تذلل لها واخضع على القرب والنوى … فما عاشق من لا يذل ويخضع
ولا ثوب مجد غير ثوب ابن احمد … على احد الا بلؤم مرقع
وان الذي حابى جديلة طيئ … به الله يعطي ما يشاء ويمنع
بذي كرم ما مر يوم وشمسه … على راس اوفى ذمة منه تطلع
فارحام شعر يتصلن بجوده … وارحام مال ما تني تتقطع
فتى الف جزء رايه في زمانه … اقل جزي بعضه الراي اجمع

غمام علينا ممطر ليس يقشع … ولا البرق فيه خلبا حين يلمع
اذا عرضت حاج اليه فنفسه … الى نفسه فيها شفيع مشفع
خبت نار حرب لم تهجها بنانه … واسمر عريان من القشر اصلع
نحيف الشوى يعدو على ام راسه … ويحفى فيقوى عدوه حين يقطع
يمج ظلاما في نهار لسانه … ويفهم عمن قال ما ليس يسمع
ذباب حسام منه انجى ضريبة … واعصى لمولاه وذا منه اطوع
بكف جواد لو حكتها سحابة … لما فاتها في الشرق والغرب موضع
فصيح متى ينطق تجد كل لفظة … اصول البراعات التي تتفرع
وليس كبحر الماء يشتق قعره … الى حيث يفنى الماء حوت وضفدع
ابحر يضر المعتفين وطعمه … زعاق كبحر لا يضر وينفع
يتيه الدقيق الفكر في بعد غوره … ويغرق في تياره وهو مصقع
الا ايها القيل المقيم بمنبج … وهمته فوق السماكين توضع
أليس عجيبا ان وصفك معجز … وان ظنوني في معاليك تظلع
وانك في ثوب وصدرك فيكما … على انه من ساحة الارض اوسع
وقلبك في الدنيا ولو دخلت بنا … وبالجن فيه ما درت كيف ترجع
الا كل سمح غيرك اليوم باطل … وكل مديح في سواك مضيع

وقال ايضا في صباه على لسان بعض التنوخيين وسأله ذلك

قضاعة تعلم اني الفتى … الذي ادخرت لصروف الزمان
ومجدي يدل بني خندف … على ان كل كريم يمان
انا ابن اللقاء انا ابن السخاء … انا ابن الضراب انا ابن الطعان
انا ابن القوافي انا ابن الفيافي … انا ابن السروج انا ابن الرعان
طويل النجاد طويل العماد … طويل القناة طويل السنان
حديد اللحاظ حديد الحفاظ … حديد الحسام حديد الجنان
يسابق سيفي منايا العبا … د اليهم كانهما في رهان
يرى حده غامضات القلو … ب اذا كنت في هبوة لا اراني
ساجعله حكما في النفو … س ولو ناب عنه لساني كفاني

في صباه ايضا

قفا تريا ودقي فهاتا المخايل … ولا تخشيا خلفا لما انا قائل
رماني خساس الناس من صائب استه … وآخر قطن من يديه الجنادل
ومن جاهل بي وهو يجهل جهله … ويجهل علمي انه بي جاهل
ويجهل اني مالك الارض معسر … واني على ظهر السماكين راجل
تحقر عندي همتي كل مطلب … ويقصر في عيني المدى المتطاول
وما زلت طودا لا تزول مناكبي … الى ان بدت للضيم في زلازل
فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا … قلاقل عيس كلهن قلاقل
اذا الليل وارانا ارتنا خفافها … بقدح الحصا ما لا ترينا المشاعل
كاني من الوجناء في متن موجة … رمت بي بحارا ما لهن سواحل
يخيل لي ان البلاد مسامعي … واني فيها ما تقول العواذل
ومن يبغ ما ابغي من المجد والعلا … تساوى المحايي عنده والمقاتل
الا ليست الحاجات الا نفوسكم … وليس لنا الا السيوف وسائل
فما وردت روح امرئ روحه له … ولا صدرت عن باخل وهو باخل
غثاثة عيشي ان تغث كرامتي … وليس بغث ان تغث المآكل

ايضا في صباه

ضيف ألم برأسي غير محتشم	والسيف أحسن فعلاً منه باللمم
ابعد بعدت بياضاً لا بياض له	لأنت أسود في عيني من الظلم
بحب قاتلتي والشيب تغذيتي	هواي طفلاً وشيبي بالغ الحلم
فما أمر برسم لا أسائله	ولا بذات خمار لا تريق دمي
تنفست عن وفاء غير منصدع	يوم الرحيل وشعب غير ملتئم
قبلتها ودموعي مزج أدمعها	وقبلتني على خوف فماً لفم
فذقت ماء حياة من مقبلها	لو صاب ترباً لأحيا سالف الأمم
ترنو إلي بعين الظبي مجهشة	وتمسح الطل فوق الورد بالعنم
رويد حكمك فينا غير منصفة	بالناس كلهم أفديك من حكم
أبديت مثل الذي أبديت من جزع	ولم تجني الذي أجننت من ألم
إذاً لبزك ثوب الحسن أصغره	وصرت مثلي في ثوبين من سقم
ليس التعلل بالآمال من أربي	ولا القناعة بالإقلال من شيمي
ولا أظن بنات الدهر تتركني	حتى تسد عليها طرقها هممي
لم الليالي التي أخنت على جدتي	برقة الحال واعذرني ولا تلم
أرى أناساً ومحصولي على غنم	وذكر جود ومحصولي على الكلم
ورب مال فقيراً من مروته	لم يثر منه كما أثرى من العدم
سيصحب النصل مني مثل مضربه	وينجلي خبري عن صمة الصمم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر	فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة	والحرب أقوم من ساق على قدم
والطعن يحرقها والزجر يقلقها	حتى كأن بها ضرباً من اللمم
قد كلمتها العوالي فهي عابسة	كأنما الصاب معصور على اللجم
بكل منصلت ما زال منتظري	حتى أدلت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة	ويستحل دم الحجاج في الحرم
وكلما نطحت تحت العجاج به	أسد الكتائب رامته ولم يرم
تنسي البلاد بروق الجو بارقتي	وتكتفي بالدم الجاري من الديم
ردي حياض الردى يا نفس واتركي	حياض خوف الردى للشاء والنعم
إن لم أذرك على الأرماح سائلة	فلا دعيت ابن أم المجد والكرم
أيملك الملك والأسياف ظامية	والطير جائعة لحم على وضم
من لو رآني ماء مات من ظمأ	ولو مثلت له في النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً	ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فإن أجابوا فما قصدي بها لهم	وإن تولوا فما أرضى لها بهم

وقال وقد عذله أبو سعيد المجيمري في تركه لقاء الملوك

أبا سعيد جنب العتابا	فرب رأي أخطأ الصوابا
فإنهم قد أكثروا الحجابا	واستوقفوا لردنا البوابا
وإن حد الصارم القرضابا	والذابلات السمر والعرابا

وقال أيضاً في صباه ارتجالاً على لسان بعضهم وقد سأله عن ذلك

شوقي إليك نفى لذيذ هجوعي	فارقتني وأقام بين ضلوعي
أو ما وجدتم في الصراة ملوحة	مما أرقرق في الفرات دموعي
ما زلت أحذر من وداعك جاهداً	حتى اغتدى أسفي على التوديع
رحل العزاء برحلتي فكأنما	أتبعته الأنفاس للتشييع

وقال أيضاً في صباه

أي محل أرتقي	أي عظيم أتقي

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

وقال له بعض اخوانه سلمت عليك فلم ترد علي فقال مجيبا له معتذرا

انا عاتب لتعتبك
متعجب لتعجبك

اذ كنت حين لقيتني
متوجعا لتغيبك

فشغلت عن رد السلا
م وكان شغلي عنك بك

وقال ايضا في صباه ارتجالا بيتا مفردا

اذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعدا
فقم واطلب الشيء الذي يبتر العمرا

وقال ايضا ونام ابو بكر وابو الطيب ينشد

ان القوافي لم تنمك وانما
محقتك حتى صرت ما لا توجد

فكأن اذنك فوك حين سمعتها
وكأنها مما سكرت المرقد

وقال ايضا في صباه ولم ينشدها احدا

انصر بجودك الفاظا تركت بها
في الشرق والغرب من عاداك مكبوتا

فقد نظرتك حتى حان مرتحل
وذا الوداع فكن اهلا لما شئتا

وقال في صباه في جعفر اخي ابي يعقوب بن كيغلغ ولم ينشدها احدا

حاشى الرقيب فخانته ضمائره
وغيض الدمع فانهلت بوادره

وكاتم الحب يوم البين منهتك
وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

لولا ظباء عدي ما شقيت بهم
ولا بربربهم لولا جآذره

من كل احور في انيابه شنب
خمر مخامرها مسك تخامره

نعج محاجره دعج نواظره
حمر غفائره سود غدائره

اعارني سقم جفنيه وحملني
من الهوى ثقل ما تحوي مآزره

يا من تحكم في نفسي فعذبني
ومن فؤادي على قتلي يضافره

بعودة الدولة الغراء ثانية
سلوت عنك ونام الليل ساهره

من بعد ما كان ليلي لا صباح له
كأن اول يوم الحشر آخره

غاب الامير فغاب الخير عن بلد
كادت لفقد اسمه تبكي منابره

قد اشتكت وحشة الاحياء اربعه
وخبرت عن اسى الموتى مقابره

حتى اذا عقدت فيه القباب له
اهل الله باديه وحاضره

وجددت فرحا لا الغم يطرده
ولا الصبابة في قلب تجاوره

اذا خلت منك حمص لا خلت ابدا
فلا سقاها من الوسمي باكره

دخلتها وشعاع الشمس متقد
ونور وجهك بين الخيل باهره

في فيلق من حديد لو قذفت به
صرف الزمان لما دارت دوائره

تمضي المواكب والابصار شاخصة
منها الى الملك الميمون طائره

قد حرن في بشر في تاجه قمر
في درعه اسد تدمى اظافره

حلو خلائقه شوس حقائقه
تحصى الحصا قبل ان تحصى مآثره

تضيق عن جيشه الدنيا ولو رحبت
كصدره لم تبن فيها عساكره

اذا تغلغل فكر المرء في طرف
من مجده غرقت فيه خواطره

تحمى السيوف على اعدائه معه
كأنهن بنوه او عشائره

اذا انتضاها الحرب لم تدع جسدا
الا وباطنه للعين ظاهره

فقد تيقن ان الحق في يده
وقد وثقن بان الله ناصره

تركن هام بني بكر وتغلبة
على رؤوس بلا ناس مغافره

فخاض بالسيف بحر الموت خلفهم
وكان منه الى الكعبين زاخره

حتى انتهى الفرس الجاري وما وقعت
في الارض من جيف القتلى حوافره

كم من دم رويت منه اسنته   ومهجة ولغت فيها بواتره
وحائن لعبت سمر الرماح به   فالعيش هاجره والنسر زائره
من قال لست بخير الناس كلهم   فجهله بك عند الناس عاذره
او شك انك فرد في زمانهم   بلا نظير ففي روحي اخاطره
يا من الوذ به فيما اؤمله   ومن اعوذ به مما احاذره
ومن توهمت ان البحر راحته   جودا وان عطاياها جواهره
ارحم شباب فتى اودى بجدته   ريب البلى وذوى في السجن ناضره
لا يجبر الناس عظما انت كاسره   ولا يهيضون عظما انت جابره

وقال يمدح ابا المنتصر شجاع بن محمد الطائي المنبجي

عزيز اسى من داؤه الحدق النجل   عياء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر الي فمنظري   نذير الى من ظن ان الهوى سهل
وما هي الا لحظة بعد لحظة   اذا نزلت في قلبه رحل العقل
جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي   فاصبح لي عن كل شغل بها شغل
ومن جسدي لم يترك السقم شعرة   فما فوقها الا وفيها له فعل
اذا عذلوا فيها اجبت بانة   حبيبتا قلبي فؤادي هيا جمل
كأن رقيبا منك سد مسامعي   عن العذل حتى ليس يدخلها العذل
كأن سهاد الليل يعشق مقلتي   فبينهما في كل هجر لنا وصل
احب التي في البدر منها مشابه   واشكو الى من لا يصاب له شكل
الى واحد الدنيا الى ابن محمد   شجاع الذي لله ثم له الفضل
الى الثمر الحلو الذي طيئ له   فروع وقحطان بن هود لها اصل
الى سيد لو بشر الله امة   بغير نبي بشرتنا به الرسل

الى القابض الارواح والضيغم الذي   تحدث عن وقفاته الخيل والرجل
الى رب مال كلما شت شمله   تجمع في تشتيته للعلى شمل
همام اذا ما فارق الغمد سيفه   وعاينته لم تدر ايهما النصل
رأيت ابن ام الموت لو ان باسه   فشا بين اهل الارض لانقطع النسل
على سابح موج المنايا بنحره   غداة كأن النبل في صدره وبل
وكم عين قرن حدقت لنزاله   فلم تغض الا والسنان لها كحل
اذا قيل رفقا قال للحلم موضع   وحلم الفتى في غير موضعه جهل
ولولا تولي نفسه حمل حلمه   عن الارض لانهدت وناء بها الحمل
تباعدت الآمال عن كل مقصد   وضاق بها الا الى بابك السبل
ونادى الندى بالنائمين عن السرى   فاسمعهم هبوا فقد هلك البخل
وحالت عطايا كفه دون وعده   فليس له انجاز وعد ولا مطل
فاقرب من تحديدها رد فائت   وايسر من احصائها القطر والرمل
وما تنقم الايام ممن وجوهها   لاخمصه في كل نائبة نعل
وما عزه فيها مراد اراده   وان عز الا ان يكون له مثل
كفى ثعلا فخرا بانك منهم   ودهر لان امسيت من اهله اهل
وويل لنفس حاولت منك غرة   وطوبى لعين ساعة منك لا تخلو
فما بفقير شام برقك فاقة   ولا في بلاد انت صيبها محل

وقال ايضا يمدحه

اليوم عهدكم فاين الموعد   هيهات ليس ليوم عهدكم غد
الموت اقرب مخلبا من بينكم   والعيش ابعد منكم لا تبعدوا
ان التي سفكت دمي بجفونها   لم تدر ان دمي الذي تتقلد

قالت وقد رأت اصفراري من به … وتنهدت فأجبتها المتنهد
فمضت وقد صبغ الحيا بياضها … لوني كما صبغ اللجين العسجد
فرأيت قرن الشمس في قمر الدجى … متأودا غصن به يتأود
عدوية بدوية من دونها … سلب النفوس ونار حرب توقد
وهواجل وصواهل ومناصل … وذوابل وتوعد وتهدد
أبلت مودتها الليالي بعدنا … ومشى عليها الدهر وهو مقيد
أبرحت يا مرض الجفون بممرض … مرض الطبيب له وعيد العود
فله بنو عبد العزيز بن الرضا … ولكل عيش ركبهم والفدفد
من في الأنام من الكرام ولا تقل … من فيك شام سوى شجاع يقصد
أعطى فقلت لجوده ما يقتنى … وسطا فقلت لسيفه ما يولد
وتحيرت فيه الصفات لأنها … ألفت طرائقه عليها تبعد
في كل معترك كلى مفرية … يذم من منه ما الأسنة تحمد
نقم على نقم الزمان تصبها … نعم على النعم التي لا تجحد
في شأنه ولسانه وبنانه … وجنانه عجب لمن يتفقد
أسد دم الأسد الهزبر خضابه … موت فريص الموت منه يرعد
ما منبج مذ غبت إلا مقلة … سهدت ووجهك نومها والإثمد
فالليل حين قدمت فيها أبيض … والصبح منذ رحلت عنها أسود
ما زلت تدنو وهي تعلو عزة … حتى توارى في ثراها الفرقد
أرض لها شرف سواها مثلها … لو كان مثلك في سواها يوجد
أبدى العداة بك السرور كأنهم … فرحوا وعندهم المقيم المقعد
قطعتهم حسدا أراهم ما بهم … فتقطعوا حسدا لمن لا يحسد

حتى انثنوا ولو ان حر قلوبهم … في قلب هاجرة لذاب الجلمد
نظر العلوج فلم يروا من حولهم … لما رأوك وقيل هذا السيد
بقيت جموعهم كأنك كلها … وبقيت بينهم كأنك مفرد
لهفان يستوبي بك الغضب الورى … لو لم ينهنهك الحجى والسودد
كن حيث شئت تسر إليك ركابنا … فالأرض واحدة وأنت الأوحد
وصن الحسام ولا تذله فإنه … يشكو يمينك والجماجم تشهد
يبس النجيع عليه فهو مجرد … من غمده وكأنما هو مغمد
ريان لو قذف الذي أسقيته … لجرى من المهجات بحر مزبد
ما شاركته منية في مهجة … إلا وشفرته على يدها يد
إن الرزايا والعطايا والقنا … حلفاء طيئ غوروا وانجدوا
صح يا لجلهمة تذرك وإنما … أشفار عينك ذابل ومهند
من كل أكبر من جبال تهامة … قلبا ومن جود الغوادي أجود
يلقاك مرتديا بأحمر من دم … ذهبت بخضرته الطلى والأكبد
حتى يشار إليك ذا مولاهم … وهم الموالي والخليقة أعبد
أنى يكون أبا البرية آدم … وأبوك والثقلان أنت محمد
يفني الكلام ولا يحيط بوصفكم … أيحيط ما يفنى بما لا ينفد

وقال في أبي دلف بن كداج حين كان محبوسا وقد شغل عن حمل الطعام إليه على العادة

أهون بطول الثواء والتلف … والسجن والقيد يا أبا دلف
غير اختيار قبلت برك بي … والجوع يرضي الأسود بالجيف
كن أيها السجن كيف شئت فقد … وطنت للموت نفس معترف

لو كان سكناي فيك منقصة / لم يكن الدر ساكن الصدف

وقال في صباه وكان قوم وشوا به إلى السلطان وكذبوا عليه وقالوا قد انقاد له خلق كثير من العرب وقد عزم على أخذ بلده حتى أوحشوه منه فاعتقله وضيق عليه فكتب إليه من الحبس يمدحه

أيا خدد الله ورد الخدود / وقد قدود الحسان القدود
فهن أسلن دما مقلتي / وعذبن قلبي بطول الصدود
فكم للهوى من فتى مدنف / وكم للنوى من قتيل شهيد
فواحسرتا ما أمر الفرا / ق وأعلق نيرانه بالكبود
وأغرى الصبابة بالعاشقين / وأقتلها للمحب العميد
وألهج نفسي لغير الخنا / بحب ذوات اللمى والنهود
فكانت وكن فداء الأمير / ولا زال من نعمة في مزيد
لقد حال بالسيف دون الوعيد / وحالت عطاياه دون الوعود
فأنجم أمواله في النحو / س وأنجم سؤاله في السعود
ولو لم أخف غير أعدائه / عليه لبشرته بالخلود
رمى حلبا بنواصي الخيو / ل وسمر يرقن دما في الصعيد
وبيض مسافرة ما يقمـ / ـن لا في الرقاب ولا في الغمود
يقدن الفنا غداة اللقاء / إلى كل جيش كثير العديد
فولى بأشياعه الخرشني / كشاء أحس بزأر الأسود
يرون من الذعر صوت الريا / ح صهيل الجياد وخفق البنود
فمن كالأمير ابن بنت الأمير / أم من كآبائه والجدود
سعوا للمعالي وهم صبية / وسادوا وجادوا وهم في المهود
أمالك رقي ومن شأنه / هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا / ء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلى / وأوهن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعا / ل فقد صار مشيهما في القيود
وكنت من الناس في محفل / فها أنا في محفل من قرود
لصوص أطاعوا أبا مرة / بترك الركوع وترك السجود
تعجل في وجوب الحدو / د وحدي قبيل وجوب الحدود
وقيل عدوت على العالمين / بين ولادي وبين القعود
فما لك تقبل زور الكلا / م وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاذبين / ولا تعبأن بمحك اليهود
وكن فارقا بين دعوى أرد / ت ودعوى فعلت بشأو بعيد
وفي جود كفيك ما جدت لي / بنفسي ولو كنت أشقى ثمود

وعذله أبو عبد الله معاذ على ما كان يشاهد من تهوره وعظم همته فقال

أبا عبد الإله إني خفي / عنك في الهيجا مقامي
ذكرت جسيم ما طلبي وأنا / نخاطر فيه بالمهج الجسام
أمثلي تأخذ النكبات منه / ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان إلي شخصا / لخضب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيئتها الليالي / ولا سارت وفي يدها زمامي
إذا امتلأت ظهور الخيل مني / فويل للعراق وللشآم

وقال أيضا في صباه وقد بلغه عن قوم كلام

أنا عين المسود الجحجاح / هيجتني كلابكم بالنباح

أيكون الهجان غير هجان / أم يكون الصراح غير صراح
جهلوني وإن عمرت قليلاً / نسبتني لهم رؤوس الرماح

وقال ارتجالاً وقد سأله صديق له يعرف بأبي ضبيس أن يشرب معه فامتنع

ألذ من المدام الخندريس / وأحلى من معاطاة الكؤوس
معاطاة الصفائح والعوالي / وإقحامي خميساً في خميس
فموتي في الوغا عيشي لأني / رأيت العيش في أرب النفوس
ولو سقيتها بيدي نديم / أسر به لكان أبا ضبيس

وقال له بعض الكلابيين اشرب هذه الكاس سروراً بك فقال

إذا ما شربت الخمر صرفاً مهنأً / شربنا الذي من مثله شرب الكرم
ألا حبذا قوم نداماهم القنا / يسقونها رياً وساقيهم العزم

وقال أيضاً ارتجالاً

لأحبتي أن يملؤوا / بالصافيات الأكؤبا
وعليهم أن يبذلوا / وعلي أن لا أشربا
حتى تكون الباترا / ت المسمعات فأطربا

وقال ارتجالاً لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح

أما ترى ما أراه أيها الملك / كأننا في سماء ما لها حبك
الفرقد ابنك والمصباح صاحبه / وأنت بدر الدجى والمجلس الفلك

وقال في الغزل

كتمت حبك حتى منك تكرمة / ثم استوى فيك إسراري وإعلاني
كأنه زاد حتى فاض من جسدي / فصار سقمي به في جسم كتماني

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي

هذي برزت لنا فهجت رسيسا / ثم انصرفت وما شفيت نسيسا
وجعلت حظي منك حظي في الكرى / وتركتني للفرقدين جليسا
قطعت ذياك الخمار بسكرة / وأدرت من خمر الفراق كؤوسا
إن كنت ظاعنة فإن مدامعي / تكفي مزادكم وتروي العيسا
حاشا لمثلك أن تكون بخيلة / ولمثل وجهك أن يكون عبوسا
ولمثل وصلك أن يكون ممنعاً / ولمثل نيلك أن يكون خسيسا
خود جنت بيني وبين عواذلي / حرباً وغادرت الفؤاد وطيسا
بيضاء يمنعها تكلم دلها / تيهاً ويمنعها الحياء تميسا
لما وجدت دواء دائي عندها / هانت علي صفات جالينوسا
أبقى زريق للثغور محمداً / أبقى نفيس للنفيس نفيسا
إن حل فارقت الخزائن ماله / أو سار فارقت الجسوم الرؤوسا
ملك إذا عاديت نفسك عاده / ورضيت أوحش ما كرهت أنيسا
الخائض الغمرات غير مدافع / والشمري المطعن الدعيسا
كشفت جمهرة العباد فلم أجد / إلا مسوداً جنبه مرؤوسا
بشر تصور غاية في آية / تنفي الظنون وتفسد التقييسا
وبه يضن على البرية لا بها / وعليه منها لا عليها يوسى
لو كان ذو القرنين أعمل رأيه / لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان صادف رأس عازر سيفه / في يوم معركة لأعيا عيسى
أو كان لج البحر مثل يمينه / ما انشق حتى جاز فيه موسى
أو كان للنيران ضوء جبينه / عبدت فكان العالمون مجوسا
لما سمعت به سمعت بواحد / ورأيته فرأيت منه خميسا

ولحظته فلحظت منه مواهبا … ولمست منصله فنال نفوسا

يا من نلوذ من الزمان بظله … ابدا ونطرد باسمه ابليسا

صدق المخبر عنك دونك وصفه … من بالعراق يراك في طرسوسا

بلد اقمت به وذكرك سائر … يشنا المقيل ويكره التعريسا

فاذا طلبت فريسة فارقته … واذا خدرت تخذته عريسا

اني نثرت عليك درا فانتقد … كثر المدلس فاحذر التدليسا

حجبتها عن اهل انطاكية … وجلوتها لك فاجتليت عروسا

خير الطيور على القصور وشرها … ياوي الخراب ويسكن الناووسا

لو جادت الدنيا فدتك باهلها … او جاهدت كتبت عليك حبيسا

وقال يمدح محمد بن زريق الطوسي ه

محمد بن زريق ما نرى احدا … اذا فقدناك يعطي قبل ان يعدا

وقد قصدتك والترحال مقترب … والدار شاسعة والزاد قد نفدا

فخل كفك تهمي واثن وابلها … اذا اكتفيت والا اغرق البلدا

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحتري ه

بكيت يا ربع حتى كدت ابكيكا … وجدت بي وبدمعي في مغانيكا

فعم صباحا لقد هيجت لي شجنا … واردد تحيتنا انا محيوكا

باي حكم زمان صرت متخذا … رئم الفلا بدلا من رئم اهليكا

ايام فيك شموس ما انبعثن لنا … الا ابتعثن دما باللحظ مسفوكا

والعيش اخضر والاطلال مشرقة … كأن نور عبيد الله يعلوكا

نجا امرؤ يا ابن يحيى كنت بغيته … وخاب ركب ركاب لم يؤموكا

احييت للشعراء الشعر فامتدحوا … جميع من مدحوه بالذي فيكا

وعلموا الناس منك المجد فاقتدروا … على دقيق المعاني من معانيكا

فكن كما انت يا من لا شبيه له … او كيف شئت فما خلق يدانيكا

شكر العفاة لما اوليت اوجدني … الى نداك طريق العرف مسلوكا

وعظم قدرك في الآفاق اوهمني … اني بقلة ما اثنيت اهجوكا

كفى بانك من قحطان في شرف … وان فخرت فكل من مواليكا

ولو نقصت كما قد زدت من كرم … على الورى لرأوني مثل شانيكا

لبى نداك لقد نادى فاسمعني … يفديك من رجل صحبي وافديكا

ما زلت تتبع ما تولي يدا بيد … حتى ظننت حياتي من اياديكا

فان تقل ها فعادات عرفن بها … او لا فانك لا تسخو بلا فوكا

وقال يمدحه ايضا

اريقك ام ماء الغمامة ام خمر … بفي برود وهو في كبدي جمر

اذا الغصن ام ذا الدعص ام انت فتنة … وذيا الذي قبلته البرق ام ثغر

رات من اهوى بليل عواذلي … فقلن نرى شمسا وما طلع الفجر

راين التي للسحر في لحظاتها … سيوف ظباها من دمي ابدا حمر

تناهى سكون الحسن في حركاتها … فليس لرائي وجهها لم يمت عذر

اليك ابن يحيى بن الوليد تجاوزت … بي البيد عنس لحمها والدم الشعر

نضحت بذكراكم حرارة قلبها … فسارت وطول الارض في عينها شبر

الى ليث حرب يلحم الليث سيفه … وبحر ندى في موجه يغرق البحر

وان كان يبقي جوده من تليده … شبيها بما يبقي من العاشق الهجر

فتى كل يوم تحتوي نفس ماله … رماح المعالي لا الردينية السمر

تباعد ما بين السحاب وبينه … فنائلها قطر ونائله غمر

ولو تنزل الدنيا على حكم كفه لاصبحت الدنيا واكثرها نزر
اراه صغيرا قدرها عظم قدره فما لعظيم قدره عنده قدر
متى يشر نحو السماء بوجهه تخر له الشعرى وينكسف البدر
ترى القمر الارضي والملك الذي له الملك بعد الله والمجد والذكر
كثير سهاد العين من غير علة يؤرقه فيما يشرفه الفكر
له منن تفني الثناء كانما به اقسمت ان لا يؤدى لها شكر
ابا احمد ما الفخر الا لاهله وما لامرئ لم يمس من بحتر فخر
هم الناس الا انهم من مكارم يغني بهم حضر ويحدو بهم سفر
بمن تضرب الامثال ام من نقيسه اليك واهل الدهر دونك والدهر

وقال يمدح اخاه ابا عبادة بن يحيى البحتري

ما الشوق مقتنعا مني بذا الكمد حتى اكون بلا قلب ولا كبد
ولا الديار التي كان الحبيب بها تشكو الي ولا اشكو الى احد
ما زال كل هزيم الودق ينحلها والصبر ينحلني حتى حكت جسدي
وكلما فاض دمعي غاض مصطبري كان ما سال من جفني من جلدي
فاين من زفراتي من كلفت به واين منك ابن يحيى صولة الاسد
لما وزنت بك الدنيا فملت بها وبالورى قل عندي كثرة العدد
ما دار في خلد الايام لي فرج ابا عبادة حتى درت في خلدي
ملك اذا امتلات مالا خزائنه اذاقها طعم ثكل الام للولد
ماضي الجنان يريه الحزم قبل غد بقلبه ما ترى عيناه بعد غد
ما ذا البهاء ولا ذا النور من بشر ولا السماح الذي فيه سماح يد
اي الاكف تباري الريح ما اتفقا حتى اذا افترقا عادت ولم تعد
قد كنت احسب ان المجد من مضر حتى تبحتر فهو اليوم من ادد
قوم اذا امطرت موتا سيوفهم حسبتها سحبا جادت على بلد
لم اجر غاية فكري منك في صفة الا وجدت مداها غاية الابد

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي

جللا كما بي فليك التبريح اغذاء ذا الرشا الاغن الشيح
لعبت بمشيته الشمول وجردت صنما من الاصنام لولا الروح
ما باله لاحظته فتضرجت وجناته وفؤادي المجروح
ورمى وما رمتا يداه فصابني سهم يعذب والسهام تريح
قرب المزار ولا مزار وانما يغدو الجنان فنلتقي ويروح
وفشت سرائرنا اليك وشفنا تعريضنا فبدا لك التصريح
لما تقطعت الحمول تقطعت نفسي اسى وكانهن طلوح
وجلا الوداع من الحبيب محاسنا حسن العزاء وقد جلين قبيح
فيد مسلمة وطرف شاخص وحشى يذوب ومدمع مسفوح
يجد الحمام ولو كوجدي لانبرى شجر الاراك مع الحمام ينوح
وامق لو خدت الشمال براكب في عرضه لاناخ وهي طليح
نازعته قلص الركاب وركبها خوف الهلاك حداهم التسبيح
لولا الامير مساور بن محمد ما جشمت خطرا ورد نصيح
ومتى ونت وابو المظفر امها فاتاح لي ولها الحمام متيح
شمنا وما حجب السماء بروقه وحرى يجود وما مرته الريح
مرجو منفعة مخوف اذية مغبوق كاس محامد مصبوح
حنق على بدر اللجين وما اتت باساءة وعن المسيء صفوح

لو فرّق الكرم المفرّق ماله ... في الناس لم يك في الزمان شحيح
ألغت مسامعه الملام وغادرت ... سمة على أنف اللئام تلوح
هذا الذي خلت القرون وذكره ... وحديثه في كتبها مشروح
ألبابنا بجماله مبهورة ... وسحابنا بنواله مفضوح
يغشى الطعان فلا يردّ قناته ... مكسورة ومن الكماة صحيح
وعلى التراب من الدماء مجاسد ... وعلى السماء من العجاج مسوح
يخطو القتيل إلى القتيل أمامه ... ربّ الجواد وخلفه المبطوح
فمقيل حبّ محبّه فرح به ... ومقيل غيظ عدوّه مقروح
يخفي العداوة وهي غير خفيّة ... نظر العدوّ بما أسرّ يبوح
يا ابن الذي ما ضمّ برد كابنه ... شرفا ولا كالجدّ ضمّ ضريح
نفديك من سيل إذا سئل الندى ... هول إذا اختلطا دم ومسيح
لو كنت بحرا لم يكن لك ساحل ... أو كنت غيثا ضاق عنك اللوح
وخشيت منك على البلاد وأهلها ... ما كان أنذر قوم نوح نوح
عجز بحرّ فاقة ووراءه ... رزق الإله وبابك المفتوح
إنّ القريض شج بعطفي عائذ ... من أن يكون سواك الممدوح
وذكي رائحة الرياض كلامها ... تبغي الثناء على الحيا فتفوح
جهد المقلّ فكيف بابن كريمة ... توليه خيرا واللسان فصيح

وقال أيضا يمدح مساور بن محمد الرومي

أمساور أم قرن شمس هذا ... أم ليث غاب يقدم الأستاذا
شمّ ما انتضيت فقد تركت ذبابه ... قطعا وقد ترك العباد جذاذا
هبك ابن يزداذ حطمت وصحبه ... أترى الورى أضحوا بني يزداذا

غادرت أوجههم بحيث لقيتهم ... أقفاءهم وكبودهم أفلاذا
في موقف وقف الحمام عليهم ... في ضنكه واستحوذ استحواذا
جمدت نفوسهم فلمّا جئتها ... أجريتها وسقيتها الفولاذا
لمّا رأوك رأوا أباك محمّدا ... في جوشن وأخا أبيك معاذا
أعجلت ألسنهم بضرب رقابهم ... عن قولهم لا فارس إلّا ذا
غرّ طلعت عليه طلعة عارض ... مطر المنايا وابلا ورذاذا
فغدا أسيرا قد بللت ثيابه ... بدم وبلّ ببوله الأفخاذا
سدّت عليه المشرفيّة طرقه ... فانصاع لا حلبا ولا بغداذا
طلب الإمارة في الثغور ونشؤه ... ما بين كرخايا إلى كلواذا
فكأنّه حسب الأسنّة حلوة ... أو ظنّها البرنيّ والآزاذا
لم يلق قبلك من إذا اختلف القنا ... جعل الطعان من الطعان ملاذا
من لا توافقه الحياة وطيبها ... حتّى يوافق عزمه الإنفاذا
متعوّدا لبس الدروع يخالها ... في البرد خزّا والهواجر لاذا
أعجب بأخذكه وأعجب منكما ... ألّا تكون لمثله أخّاذا

وقال يرثي محمّد بن إسحق التنوخي رحمه الله

إنّي لأعلم واللبيب خبير ... أنّ الحيوة وإن حرصت غرور
ورأيت كلّا ما يعلّل نفسه ... بتعلّة وإلى الفناء يصير
أمجاور الديماس رهن قراره ... فيها الضياء بوجهه والنور
ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى ... أنّ الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى ... رضوى على أيدي الرجال تسير
خرجوا به ولكلّ باك حوله ... صعقات موسى يوم دكّ الطور

والشمس في كبد السماء مريضة … والأرض واجفة تكاد تمور
وحفيف أجنحة الملائك حوله … وعيون أهل اللاذقية صور
حتى أتوا جدثاً كأن ضريحه … في قلب كل موحد محفور
بمزود كفن البلى من ملكه … مغف وإثمد عينه الكافور
فيه الفصاحة والسماحة والتقى … والبأس أجمع والحجى والخير
كفل الثناء له برد حياته … لما انطوى فكأنه منشور
وكأنما عيسى بن مريم ذكره … وكأن عازر شخصه المقبور

واستزاده أخو الميت الحسين بن إسحق زيادة فيها فقال ارتجالاً

غاضت أنامله وهن بحور … وخبت مكايده وهن سعير
يبكى عليه وما استقر قراره … في اللحد حتى صافحته الحور
صبراً بني إسحق عنه تكرماً … إن العظيم على العظيم صبور
فلكل مفجوع سواكم مشبه … ولكل مفقود سواه نظير
أيام قائم سيفه في كفه … اليمنى وباع الموت عنه قصير
ولطالما انهمرت بماء أحمر … في شفرتيه جماجم ونحور
فأعيذ إخوته برب محمد … أن يحزنوا ومحمد مسرور
أو يرغبوا بقصورهم عن حفرة … حياه فيها منكر ونكير
نفر إذا غابت غمود سيوفهم … عنها فآجال العباد حضور
وإذا لقوا جيشاً تيقن أنه … من بطن طير تنوفة محشور
لم تثن في طلب أعنة خيلهم … إلا وعمر طريدها مبتور
يممت شاسع دارهم عن نية … إن المحب على البعاد يزور
وقنعت باللقيا وأول نظرة … إن القليل من الحبيب كثير

وسألوه أن ينفي الشماتة عنهم وما ذكره الحساد فقال ارتجالاً

ألا إن إبراهيم بعد محمد … إلا حنين دائم وزفير
ما شك خابر أمرهم من بعده … أن العزاء عليهم محظور
تدمى خدودهم الدموع وتنقضي … ساعات ليلهم وهن دهور
أبناء عم كل ذنب لامرئ … إلا السعاية بينهم مغفور
طار الوشاة على صفاء ودادهم … وكذا الذباب على الطعام يطير
ولقد منحت أبا الحسين مودة … جودي بها لعدوه تبذير
ملك تكون كيف شاء كأنما … يجري بفضل قضائه المقدور

وقال أيضاً وقد استزاده بنو عم الميت في نفي الشماتة عنهم

لأي صروف الدهر فيه نعاتب … وأي رزاياه بوتر نطالب
مضى من فقدنا صبرنا عند فقده … وقد كان يعطي الصبر والصبر عازب
يزور الأعادي في سماء عجاجة … أسنته في جانبيها الكواكب
فتسفر عنه والسيوف كأنما … مضاربها مما انفللن ضرائب
طلعن شموساً والغمود مشارق … لهن وهامات الرجال مغارب
مصائب شتى جمعت في مصيبة … ولم يكفها حتى قفتها مصائب
رثى ابن أبينا غير ذي رحم لنا … فباعدنا منه ونحن الأقارب
وعرض أنا شامتون بموته … وإلا فزارت عارضيه القواضب
أليس عجيباً أن بين بني أب … لنجل يهودي تدب العقارب
ألا إنما كانت وفاة محمد … دليلاً على أن ليس لله غالب

وقال يمدح أخاه الحسين بن إسحق التنوخي

هو البين حتى ما تأنى الحزائق … ويا قلب حتى أنت ممن أفارق

وقفنا ومما زاد بثا وقوفنا ... فريقى هوى منا مشوق وشايق
وقد صارت الاجفان قرحى من البكا ... وصار بهارا فى الخدود الشقايق
على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة ... وميت ومولود وقال ووامق
تغير حالى والليالى بحالها ... وشبت وما شاب الزمان الغرانق
سل البيد اين الجن منا بجوزها ... وعن ذى المهارى اين منها النقانق
وليل دجوجى كانا جلت لنا ... محياك فيه فاهتدينا السمالق
فما زال لولا نور وجهك جنحه ... ولا جابها الركبان لولا الايانق
وهز اطار النوم حتى كاننى ... من السكر فى الغرزين ثوب شبارق
شدوا بابن اسحق الحسين فصافحت ... ذفاريها كيرانها والنمارق
بمن تقشعر الارض خوفا اذا مشى ... عليها وترتج الجبال الشواهق
فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى ... يرجا الحيا منه وتخشى الصواعق
ولكنها تمضى وهذا مخيم ... وتكذب احيانا وذا الدهر صادق
تخلى من الدنيا لينسى فما خلت ... مغاربها من ذكره والمشارق
غذا الهندوانيات بالهام والطلى ... فهن مداريها وهن المخانق
تشقق منهن الجيوب اذا غزا ... وتخضب منهن اللحى والمفارق
يجنبها من حتفه عنه غافل ... ويصلى بها من نفسه منه طالق
يحاجى به ما ناطق وهو ساكت ... يرى ساكنا والسيف عن فيه ناطق
نكرتك حتى طال منك تعجبى ... وما عجب من حسن ما الله خالق
كانك فى الاعطاء للمال مبغض ... وفى كل حرب للمنية عاشق
الا قلما تبقى على ما بدا لها ... وحل بها منك القنا والسوابق
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ... فان لحت حاضت فى الخدور العواتق
سيحيى بك السمار ما لاح كوكب ... ويحدو بك السفار ما ذر شارق
فما ترزق الاقدار من انت حارم ... ولا تحرم الاقدار من انت رازق
ولا تفتق الايام ما انت راتق ... ولا ترتق الايام ما انت فاتق
لك الخير غيرى رام من غيرك الغنى ... وغيرى بغير اللاذقية لاحق
هى الغرض الاقصى ورؤيتك المنى ... ومنزلك الدنيا وانت الخلايق

وقال على لسانه فكتب اليه يعاتبه فاجابه ابو الطيب يعتذر اليه

اتنكر يا ابن اسحق اخاى ... وتحسب ماء غيرى من انائى
اانطق فيك هجرا بعد علمى ... بانك خير من تحت السماء
واكره من ذباب السيف طعما ... وامضى فى الامور من القضاء
وما اربت على العشرين سنى ... فكيف مللت من طول البقاء
وما استغرقت وصفك فى مديحى ... فانقص منه شيا بالهجاء
وهبنى قلت هذا الصبح ليل ... ايعمى العالمون عن الضياء
تطيع الحاسدين وانت مرؤ ... جعلت فداه وهم فدائى
وهاجى نفسه من لم يميز ... كلامى من كلامهم الهراء
وان من العجائب ان ترانى ... فتعدل بى اقل من الهباء
وتنكر موتهم وانا سهيل ... طلعت بموت اولاد الزناء

وقال ايضا يمدح الحسين بن اسحق التنوخى

ملام النوى فى ظلمها غاية الظلم ... لعل بها مثل الذى بى من السقم
فلو لم تغر لم تزو عنى لقاءكم ... ولو لم تردكم لم تكن فيكم خصمى
امنعمة بالعودة الظبية التى ... بغير ولى كان نائلها الوسمى
ترشفت فاها سحرة فكاننى ... ترشفت حر الوجد من بارد الظلم

فتاة تساوى عقدها وكلامها … ومبسمها الدري في الحسن والنظم
ونكهتها والمندلي وقرقف … معتقة صهباء في الريح والطعم
جفتني كأني لست انطق قومها … واطعنهم والشهب في صورة الدهم
يحاذرني حتفي كأني حتفه … وتنكزني الأفعى فيقتلها سمي
طوال الردينيات يقصفها دمي … وبيض السريجيات يقطعها لحمي
برتني السرى بري المدى فرددنني … اخف على المركوب من نفسي جرمي
وأبصر من زرقاء جو لأنني … إذا نظرت عيناي شاءهما علمي
كأني دحوت الأرض من خبرتي بها … كأني بنى الإسكندر السد من عزمي
لألقى ابن اسحق الذي دق فهمه … فأبدع حتى جل عن دقة الفهم
وأسمع من ألفاظه اللغة التي … يلذ بها سمعي ولو ضمنت شتمي
يمين بني قحطان راس قضاعة … وعرنينها بدر الدجى من بني فهم
إذا بيت الأعداء كان استماعهم … صرير العوالي قبل قعقعة اللجم
مذل الأعزاء المعز وإن يئن به … يتمهم فالموتم الجابر اليتم
وإن تمس داء في القلوب قناته … فممسكها منه الشفاء من العدم
مقلد طاغي الشفرتين محكم … على الهام إلا أنه جائر الحكم
تحرج عن حقن الدماء كأنه … يرى قتل نفس ترك راس على جسم
وجدنا ابن اسحق الحسين كحده … على كثرة القتلى بريئا من الإثم
مع الحزم حتى لو تعمد تركه … لألحقه تضييعه الحزم بالحزم
وفي الحرب حتى لو أراد تأخرا … لأخره الطبع الكريم إلى القدم
له رحمة تحيي العظام وغضبة … بها فضلة للجرم عن صاحب الجرم
ورقة وجه لو ختمت بنظرة … على وجنتيه ما انمحى أثر الختم

أذاق الغواني حسنه ما أذقنني … وعف فجازاهن عني على الصرم
فدى من على الغبراء أولهم أنا … الأبي الماجد الجائد القرم
لقد حال بين الجن والأمن سيفه … فما الظن بعد الجن بالعرب والعجم
وأرهب حتى لو تأمل درعه … جرت جزعا من غير نار ولا فحم
وجاد فلولا جوده غير شارب … لقيل كريم هيجته ابنة الكرم
أطعناك طوع الدهر يا ابن ابن يوسف … بشهوتنا والحاسدو لك بالرغم
وثقنا بأن تعطي فلو لم تجد لنا … لخلناك قد أعطيت من قوة الوهم
دعيت بتقريظيك في كل مجلس … وظن الذي يدعو ثنائي عليك اسمي
وأطمعتني في نيل ما لا أناله … بما نلت حتى صرت أطمع في النجم
إذا ما ضربت القرن ثم أجزتني … فكل ذهبا لي مرة منه بالكلم
أبت لك ذمي نخوة يمنية … ونفس بها في مأزق أبدا ترمي
فكم قائل لو كان ذا الشخص نفسه … لكان قراه مكمن العسكر الدهم
وقائلة والأرض أعني تعجبا … علي امرؤ يمشي بوقري من الحلم
عظمت فلما لم تكلم مهابة … تواضعت وهو العظم عظما على العظم

ودخل على علي ابن ابراهيم التنوخي وقد عرض عليه شرب كاس فيها شراب أسود كان في يده فقال ارتجالا

إذا ما الكاس أرعشت اليدين … صحوت فلم تحل بيني وبيني
هجرت الخمر كالذهب المصفى … فخمري ماء مزن كاللجين
أغار من الزجاجة وهي تجري … على شفة الأمير أبي الحسين
كأن بياضها والراح فيها … بياض محدق بسواد عين
أتيناه نطالبه برفد … فطالب نفسه منه بدين

فقال له ارتجالا

مرتك ابن ابراهيم صافية الخمر ‏ وهنئتها من شارب مسكر السكر
رأيت الحميا في الزجاج بكفه ‏ فشبهتها بالشمس في البدر في البحر
اذا ما ذكرنا جوده كان حاضرا ‏ نأى أو دنا يسعى على قدم الخضر

وقال يمدحه أيضا

أحاد أم سداس في أحاد ‏ لييلتنا المنوطة بالتناد
كأن بنات نعش في دجاها ‏ خرائد سافرات في حداد
أفكر في معاقرة المنايا ‏ وقود الخيل مشرفة الهوادي
زعيما للقنا الخطي نفسي ‏ بسفك دم الحواضر والبوادي
الى كم ذا التخلف والتواني ‏ وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي ‏ ببيع الشعر في سوق الكساد
وما ماضي الشباب بمسترد ‏ ولا يوم يمر بمستعاد
متى لحظت بياض الشيب عيني ‏ فقد وجدته منها في السواد
متى ما ازددت من بعد التناهي ‏ فقد وقع انتقاصي في ازدياد
أأرضى أن أعيش ولا أكافي ‏ على ما للأمير من الأيادي
جزى الله المسير اليه خيرا ‏ وان ترك المطايا كالمزاد
فلم تلق ابن ابراهيم عنسي ‏ وفيها قوت يوم للقراد
ألم يك بيننا بلد بعيد ‏ فصير طوله عرض النجاد
وأبعد بعدنا بعد التداني ‏ وقرب قربنا قرب البعاد
فلما جئته أعلى محلي ‏ وأجلسني على السبع الشداد
تهلل قبل تسليمي عليه ‏ وألقى ماله قبل الوساد

نلومك يا علي بغير ذنب ‏ لأنك قد زريت على العباد
وأنك لا تجود على جواد ‏ هباتك أن يلقب بالجواد
كأن الهام في الهيجا عيون ‏ وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الأسنة من هموم ‏ فما يخطرن الا في فؤاد
ويوم جلبتها شعث النواصي ‏ معقدة السبائب للطراد
وحام بها الهلاك على أناس ‏ لهم باللاذقية بغي عاد
فكان الغرب بحرا من دماء ‏ وكان الشرق بحرا من جياد
وقد خفقت لك الرايات فيه ‏ فظل يموج بالبيض الحداد
لقوك بأكبد الإبل الأبايا ‏ فسقتهم وحد السيف حادي
وقد مزقت ثوب الغي عنهم ‏ وقد ألبستهم ثوب الرشاد
فما تركوا الإمارة لاختيار ‏ ولا انتحلوا ودادك من وداد
ولا استفلوا لزهد في التعالي ‏ ولا انقادوا سرورا بانقياد
ولكن هب خوفك في حشاهم ‏ هبوب الريح في رجل الجراد
وماتوا قبل موتهم فلما ‏ مننت أعدتهم قبل المعاد
غمدت صوارما لو لم يتوبوا ‏ محوتهم بها محو المداد
وما الغضب الطريف وان تقوى ‏ بمنتصف من الكرم التلاد
فلا تغررك ألسنة موال ‏ تقلبهن أفئدة أعادي
وكن كالموت لا يرثي لباك ‏ بكى منه ويروي وهو صاد
فان الجرح ينفر بعد حين ‏ اذا كان البناء على فساد
وان الماء يجري من جماد ‏ وان النار تخرج من زناد
وكيف يبيت مضطجعا جبان ‏ فرشت لجنبه شوك القتاد

كأن سخاك الاسلام تخشى ‏ متى ما حلت عاقبة ارتداد صح

يرى في النوم رمحك في كلاه   ويخشى أن يراه في السهاد
أشرت أبا الحسين بمدح قوم   نزلت بهم فسرت بغير زاد
وظنوني مدحتهم قديما   وأنت بما مدحتهم مرادي
وإني عنك بعد غد لغاد   وقلبي عن فنائك غير غادي
محبك حيثما اتجهت ركابي   وضيفك حيث كنت من البلاد

وقال أيضا يمدح الحسين بن علي بن ابراهيم التنوخي

ملث القطر أعطشها ربوعا   وإلا فاسقها السم النقيعا
أسائلها عن المتديريها   فما تدري ولا تذري دموعا
لحاها الله إلا ماضييها   زمان اللهو والخود الشموعا
منعمة ممنعة رداح   يكلف لفظها الطير الوقوعا
ترفع ثوبها الأرداف عنها   فيبقى من وشاحيها شسوعا
إذا ماست رأيت لها ارتجاجا   له لولا سواعدها نزوعا
تألم درزه والدرز لين   كما تتألم العضب الصنيعا
ذراعاها عدوا دملجيها   يظن ضجيعها الزند الضجيعا
كأن نقابها غيم رقيق   يضيء بمنعه البدر الطلوعا
أقول لها اكشفي ضري وقولي   بأكثر من تدللها خضوعا
أخفت الله من إحياء ميت   متى عصي الإله بأن أطيعا
غدا بك كل خلو مستهاما   وأصبح كل مستور خليعا
أحبك أو يقولوا جر نمل   ثبيرا وابن إبراهيم ريعا
بعيد الصيت منبث السرايا   يشيب ذكره الطفل الرضيعا
يغض الطرف من مكر ودهي   كأن به وليس به خشوعا

إن استعطيته ما في يديه   فقدك سألت عن سر مذيعا
قبولك منه من عليه   وإلا يبتدئ يره فظيعا
لهون المال أفرشه أديما   وللتفريق يكره أن يضيعا
إذا مد الأمير رقاب قوم   فما لكرامة مد النطوعا
فليس بواهب إلا كثيرا   وليس بقاتل إلا قريعا
وليس مؤدبا إلا بنصل   كفى الصمصامة التعب القطيعا
علي ليس يمنع من مجيء   مبارزه ويمنعه الرجوعا
علي قاتل البطل المفدى   ومبدله من الزرد النجيعا
إذا اعوج القنا في حامليه   وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا
ونالت ثارها الأكباد منه   فأولته اندقاقا أو صدوعا
فحد في ملتقى الخيلين عنه   وإن كنت الغضنفرة الشجيعا
وإن ماريتني فاركب حصانا   ومثله تخر له صريعا
إذا استجرأت ترمقه بعيدا   فأنت اسطعت شيئا ما استطيعا
غمام ربما مطر انتقاما   فأقحط ودقه البلد المريعا
رآني بعد ما قطع المطايا   تيممه وقطعت القطوعا
فصير سيله بلدي غديرا   وصير سيبه سني ربيعا
وجاودني بأن يعطي وأحوى   فأغرق نيله أخذي سريعا
أمنسي السكون وحضرموتا   ووالدتي وكندة والسبيعا
قد استقصيت في سلب الأعادي   فرد لهم من السلب الهجوعا
إذا ما لم تسر جيشا إليهم   أسرت إلى قلوبهم الهلوعا
رضوا بك كالرضى بالشيب قسرا   وقد وخط النواصي والفروعا

فلا عزل وأنت بلا سلاح
لحاظك ما تكون به منيعا

لو استبدلت ذهنك من حسام
قددت به المغافر والدروعا

لو استفرغت جهدك في قتال
أتيت به على الدنيا جميعا

سموت بهمة تسمو فتسمو
فما تلفى بمرتبة قنوعا

وهبك سمحت حتى لا جواد
فكيف علوت حتى لا رفيعا

وقال يمدح علي بن ابرهيم التنوخي ٥

أحق عاف بدمعك الهمم
أحدث شيء عهدا بها القدم

وإنما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم

لا أدب عندهم ولا حسب
ولا عهود لهم ولا ذمم

بكل أرض وطئتها أمم
ترعى بعبد كأنها غنم

يستخشن الخز حين يلمسه
وكان يبرى بظفره القلم

إني وإن لمت حاسدي فما
أنكر أني عقوبة لهم

وكيف لا يحسد امرؤ علم
له على كل هامة قدم

يهابه أبسأ الرجال به
وتتقي حد سيفه البهم

كفاني الذم أنني رجل
أكرم مال ملكته الكرم

يجني الغنى للئام لو عقلوا
ما ليس يجني عليهم العدم

هم لأموالهم ولسن لهم
والعار يبقى والجرح يلتئم

من طلب المجد فليكن كعل
ي يهب الألف وهو يبتسم

ويطعن الخيل كل نافذة
ليس لها من وحائها ألم

ويعرف الأمر قبل موقعه
فما له بعد فعله ندم

والأمر والنهي والسلاهب وال
بيض له والعبيد والخدم

والسطوات التي سمعت بها
تكاد منها الجبال تنفصم

يرعيك سمعا فيه استماع إلى
الداعي وفيه عن الخنا صمم

يريك من خلقه غرائبه
وفي مجده كيف تخلق النسم

ملت إلى من يكاد بينكما
إن كنتما السائلين ينقسم

من بعد ما صيغ من مواهبه
لمن أحب الشنوف والخدم

ما بذلت ما به يجود يد
ولا تهدى لما يقول فم

بنو العفرني محطة الأسد الأ
سد ولكن رماحها الأجم

قوم بلوغ الغلام عندهم
طعن نحور الكماة لا الحلم

كأنما يولد الندى معهم
لا صغر عاذر ولا هرم

إذا تولوا عداوة كشفوا
وإن تولوا صنيعة كتموا

تظن من فقدك اعتدادهم
أنهم أنعموا وما علموا

إن برقوا فالحتوف حاضرة
أو نطقوا فالصواب والحكم

أو حلفوا بالغموس واجتهدوا
فقولهم خاب سائلي القسم

أو ركبوا الخيل غير مسرجة
فإن أفخاذهم لها حزم

أو شهدوا الحرب لاقحا أخذوا
من مهج الدارعين ما احتكموا

تشرق أعراضهم وأوجههم
كأنها في نفوسهم شيم

لولاك لم أترك البحيرة وال
غور دفيء وماؤها شبم

والموج مثل الفحول مزبدة
تهدر فيها وما بها قطم

والطير فوق الحباب تحسبها
فرسان بلق تخونها اللجم

كأنها والرياح تضربها
جيشا وغى هازم ومنهزم

كأنها في نهارها قمر
حف به من جنانها ظلم

ناعمة الجسم لا عظام لها … لها بنات وما لها رحم
يبقر عنهن بطنها أبدا … وما تشكى ولا يسيل دم
تغنت الطير في جوانبها … وجادت الروض حولها الديم
فهي كماوية مطوقة … جرد عنها غشاؤها الادم
تشبيهها جريها على بلد … يشينها الادعيا والقزم
ابا الحسين استمع فمدحكم … في الفعل قبل الكلام منتظم
وقد توالى العهاد منه لكم … وجادت المطرة التي تسم
اعيذكم من صروف دهركم … فانه في الكرام متهم

وقال يمدح ابا الحسين المغيث بن علي بن بشر العجلي العمي

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا … لاهله وشفى انى ولا كربا
عجنا فاذهب ما ابقى الفراق لنا … من العقول وما رد الذي ذهبا
سقيته عبرات ظنها مطرا … سوائلا من جفون ظنها سحبا
دار الملم لها طيف تهددني … ليلا فما صدقت عيني ولا كذبا
نايته فدنا ادنيته فناى … جمشته فنبا قبلته فابى
هام الفؤاد باعرابية سكنت … بيتا من القلب لم تمدد له طنبا
مظلومة القد في تشبيهه غصنا … مظلومة الريق في تشبيهه ضربا
بيضاء تطمع فيما تحت حلتها … وعز ذلك مطلوبا اذا طلبا
كانها الشمس يعيي كف قابضها … شعاعها ويراه الطرف مقتربا
مرت بنا بين تربيها فقلت لها … من اين جانس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى … ليث الشرى وهو من عجل اذا انتسبا
جاءت باشجع من يسمى واسمح من … اعطى وابلغ من املى ومن كتبا

لو حل خاطره في مقعد لمشى … او جاهل لصحا او اخرس خطبا
اذا بدا حجبت عينيك هيبته … وليس يحجبه ستر اذا احتجبا
بياض وجه يريك الشمس حالكة … ودر لفظ يريك الدر مخشلبا
وسيف عزم ترد السيف هبته … رطب الغرار من التامور مختضبا
عمر العدو اذا لاقاه في رهج … اقل من عمر ما يحوي اذا وهبا
توقه فمتى ما شئت تبلوه … فكن معاديه او كن له نشبا
تحلو مذاقته حتى اذا غضبا … حالت فلو قطرت في الماء ما شربا
وتغبط الارض منها حيث حل به … وتحسد الخيل منها ايها ركبا
ولا يرد بفيه كف سائله … عن نفسه ويرد الجحفل اللجبا
وكلما لقي الدينار صاحبه … في ملكه افترقا من قبل يصطحبا
مال كان غراب البين يرقبه … حتى اذا قيل هذا مجتد نعبا
بحر عجائبه لم تبق في سمر … ولا عجائب بحر بعدها عجبا
لا يقنع ابن علي نيل منزلة … يشكو محاولها التقصير والتعبا
هز اللواء بنو عجل به فغدا … راسا لهم وغدا كل له ذنبا
التاركين من الاشياء اهونها … والراكبين من الاشياء ما صعبا
مبرقعي خيلهم بالبيض متخذي … هام الكماة على ارماحهم عذبا
ان المنية لو تلقاهم وقفت … خرقاء تتهم الاقدام والهربا
مراتب صعدت والفكر يتبعها … فجاز وهو على آثارها الشهبا
محامد نزفت شعري ليملاها … فآل ما امتلات منه ولا نضبا
مكارم لك فت العالمين بها … من يستطيع لامر فائت طلبا
لما اقمت بانطاكية اختلفت … الي بالخبر الركبان في حلبا

فسرت نحوك لا الوي على احد / احث راحلتي الفقر والادبا
اذاقني زمني بلوى شرقت بها / لو ذاقها لبكا ما عاش وانتحبا
وان عمرت جعلت الحرب والدة / والسمهري اخا والمشرفي ابا
بكل اشعث يلقى الموت مبتسما / حتى كان له في قتله اربا
قح يكاد صهيل الجرد يقذفه / من سرجه مرحا بالعز او طربا
الموت اعذر لي والصبر اجمل بي / والبر اوسع والدنيا لمن غلبا

وقال ايضا يمدحه ٥

فؤاد ما تسليه المدام / وعمر مثل ما يهب اللئام
ودهر ناسه ناس صغار / وان كانت لهم جثث ضخام
وما انا منهم بالعيش فيهم / ولكن معدن الذهب الرغام
باجسام يحر القتل فيها / وما اقرانها الا الطعام
ارانب غير انهم ملوك / مفتحة عيونهم نيام
وخيل ما يخر لها طعين / كان قنا فوارسها ثمام
خليلك انت لا من قلت خلي / وان كثر التجمل والكلام
ولو حيز الحفاظ بغير عقل / تجنب عنق صيقله الحسام
وشبه الشيء منجذب اليه / واشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعل الا ذو محل / تعالى الجيش وانحط القتام
ولو لم يرع الا مستحق / لرتبته اسامهم المسام
ومن خبر الغواني فالغواني / ضياء في بواطنه ظلام
اذا كان الشباب يقود شيبا / وهما فالحياة هي الحمام
وما كل بمعذور ببخل / ولا كل على بخل يلام

ولم ار مثل جيراني ومثلي / لمثلي عند مثلهم مقام
بارض ما اشتهيت رايت فيها / فليس يفوتها الا الكرام
فهلا كان نقص الاهل فيها / وكان لاهلها منها التمام
بها الجبلان من فخر وصخر / انافا ذا المغيث وذا اللكام
وليست من مواطنه ولكن / يمر بها كما مر الغمام
سقى الله ابن منجبة سقاني / بدر ما لراضعه فطام
ومن احدى فوائده العطايا / ومن احدى عطاياه الدوام
فقد خفي الزمان به علينا / كسلك الدر تخفيه النظام
تلذ له المروة وهي تؤذي / ومن يعشق يلذ له الغرام
تعلقها هوى قيس لليلى / وواصلها فليس به سقام
يروع ركانة ويذوب ظرفا / فما يدري اشيخ ام غلام
وتملكه المسائل في نداه / فاما في الجدال فما يرام
وقبض نواله شرف وعز / وقبض نوال بعض القوم ذام
اقامت في الرقاب له ايادٍ / هي الاطواق والناس الحمام
اذا عد الكرام فتلك عجل / كما الانواء حين تعد عام
تقي جبهاتهم ما في ذراهم / اذا بشفارها حمي اللطام
ولو يممتهم في الحشر تجدو / لاعطوك الذي صلوا وصاموا
فان حلموا فان الخيل فيهم / خفاف والرماح بها عرام
وعندهم الجفان مكللات / وشزر الطعن والضرب التؤام
نصرعهم باعيننا حياء / وتنبو عن وجوههم السهام
قبيل يحملون من المعالي / كما حملت من الجسد العظام
قبيل انت انت وانت منهم / وجدك بشر الملك الهمام

لمن مال تمزقه العطايا … ويشرك في رغائبه الانام
ولا ندعوك صاحبه فترضى … لان بصحبة يجب الذمام
تحايده كأنك سامري … تصافحه يد فيها جذام
اذا ما العالمون عروك قالوا … افدنا ايها الحبر الامام
اذا ما المعلمون رأوك قالوا … بهذا يعلم الجيش اللهام
لقد حسنت بك الاوقات حتى … كأنك في فم الزمن ابتسام
واعطيت الذي لم يعط خلق … عليك صلاة ربك والسلام

وقال يمدح القاضي ابا الفرج احمد بن الحسين ٥

لجنية ام غادة رفع السجف … لوحشية لا ما لوحشية شنف
نفور عرتها نفرة فتجاذبت … سوالفها والحلي والخصر والردف
وخيل منها مرطها فكأنما … تثنى لنا خوط ولاحظنا خشف
زيادة شيب وهي نقص زيادتي … وقوة عشق وهي من قوتي ضعف
هراقت دمي من بي من الوجد ما بها … من الوجد بي والشوق لي ولها حلف
ومن كلما جردتها من ثيابها … كساها ثيابا غيرها الشعر الوحف
وقابلني رمانتا غصن بانة … يميل به بدر ويمسكه حقف
اكيدا لنا يا بين واصلت وصلنا … فلا دارنا تدنو ولا عيشنا يصفو
اردد ويلي لو قضى الويل حاجة … واكثر لهفي لو شفى غلة لهف
ضنى في الهوى كالسم في الشهد كامنا … لذذت به جهلا وفي اللذة الحتف
فأفنى وما افنته نفسي كأنما … ابو الفرج القاضي له دونها كهف
قليل الكرى لو كانت البيض والقنا … كآرائه ما اغنت البيض والزغف
يقوم مقام الجيش تقطيب وجهه … ويستغرق الالفاظ من لفظه حرف

وان فقد الاعطاء حنت يمينه … اليه حنين الالف فارقه الالف
اديب رست للعلم في ارض صدره … جبال جبال الارض في جنبها قف
جواد سمت في الخير والشر كفه … سموا اود الدهر ان اسمه كف
واضحى وبين الناس في كل سيد … من الناس الا في سيادته خلف
يفدونه حتى كأن دماءهم … لجاري هواه في عروقهم تقفو
وقوفين في وقفين شكر ونائل … فنائله وقف وشكرهم وقف
ولما فقدنا مثله دام كشفنا … عليه فدام الفقد وانكشف الكشف
وما حارت الاوهام في عظم شأنه … باكثر مما حار في حسنه الطرف
ولا نال من حساده الغيظ والاذى … باعظم مما نال من وفره العرف
تفكره علم ومنطقه حكم … وباطنه دين وظاهره ظرف
اماتت رياح اللؤم وهي عواصف … ومغنى العلى يودي ورسم الندى يعفو (يعفوا)
فلم نر قبل ابن الحسين اصابعا … اذا ما هطلن استحيت الديم الوطف
ولا ساعيا في قلة المجد مدركا … بافعاله ما ليس يدركه الوصف
ولم نر شيئا يحمل العبء حمله … ويستصغر الدنيا ويحمله طرف
ولا جلس البحر المحيط لقاصد … ومن تحته فرش ومن فوقه سقف
فواعجبا مني احاول وصفه … وقد فنيت فيه القراطيس والصحف
ومن كثرة الاخبار عن مكرماته … يمر له صنف ويأتي له صنف
وتفتر منه عن خصال كأنها … ثنايا حبيب لا يمل لها الرشف
قصدتك والراجون قصدي اليهم … كثير ولكن ليس كالذنب الانف
ولا الفضة البيضاء والتبر واحد … نفوعان للمكدي وبينهما صرف
ولست بدون يرتجى الغيث دونه … ولا منتهى الجود الذي خلفه خلف

ولا واحدا فی ذا الوری من جماعة ... ولا البعض من کل ولکنك الضعف
ولا الضعف حتی یتبع الضعف ضعفه ... ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله الف
اقاضینا هذا الذی انت اهله ... غلطت ولا الثلثان هذا ولا النصف
وذنبی تقصیری وما جئت مادحا ... بذنبی ولکن جئت اسأل ان تعفو

وقال یمدح علی بن منصور الحاجب ٥

بابی الشموس الجانحات غواربا ... اللابسات من الحریر جلاببا
المنهبات عیوننا وقلوبنا ... وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحییات ... المبدیات من الدلال غرائبا
حاولن تفدیتی وخفن مراقبا ... فوضعن ایدیهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشیت اذیبه ... من حر انفاسی فکنت الذائبا
یا حبذا المتحملون وحبذا ... وادٍ لثمت به الغزالة کاعبا
کیف الرجاء من الخطوب تخلصا ... من بعد ما انشبن فی مخالبا
اوحدننی فوجدن حزنا واحدا ... متناهیا فجعلنه لی صاحبا
ونصبننی غرض الرماة تصیبنی ... محن احد من السیوف مضاربا
اظمتنی الدنیا فلما جئتها ... مستسقیا مطرت علی مصائبا
وحبیت من خوص الرکاب باسود ... من دارش فغدوت امشی راکبا
حالا متی علم ابن منصور بها ... جاء الزمان الی منها تائبا
ملك سنان قناته وبنانه ... یتباریان دما وعرفا ساکبا
یستصغر الخطر الکبیر لوفده ... ویظن دجلة لیس تکفی شاربا
کرما فلو حدثته عن نفسه ... بعظیم ما صنعت لظنك کاذبا
سل عن شجاعته وزره مسالما ... وحذار ثم حذار منه محاربا

فالموت یعرف بالصفات طباعه ... لم تلق خلقا ذاق موتا آئبا
ان تلقه لا تلق الا جحفلا ... او قسطلا او طاعنا او ضاربا
او هاربا او طالبا او راغبا ... او راهبا او هالکا او نادبا
واذا نظرت الی الجبال رأیتها ... فوق السهول عواسلا وقواضبا
واذا نظرت الی السهول رأیتها ... تحت الجبال فوارسا وجنائبا
وعجاجة ترك الحدید سوادها ... زنجا تبسم او قذالا شائبا
فکانما کسی النهار بها دجی ... لیل واطلعت الرماح کواکبا
قد عسکرت معها الرزایا عسکرا ... وتکتبت فیها الرجال کتائبا
اسد فرائسها الاسود یقودها ... اسد تصیر له الاسود ثعالبا
فی رتبة حجب الوری عن نیلها ... وعلا فسموه علی الحاجبا
ودعوه من فرط السخاء مبذرا ... ودعوه من غصب النفوس الغاصبا
هذا الذی افنی النضار مواهبا ... وعداه قتلا والزمان تجاربا
ومخیب العذال مما املوا ... منه ولیس یرد کفا خائبا
هذا الذی ابصرت منه حاضرا ... مثل الذی ابصرت منه غائبا
کالبدر من حیث التفت رأیته ... یهدی الی عینیك نورا ثاقبا
کالبحر یقذف للقریب جواهرا ... جودا ویبعث للبعید سحائبا
کالشمس فی کبد السماء وضوءها ... یغشی البلاد مشارقا ومغاربا
امهجن الکرماء والمزری بهم ... وتروك کل کریم قوم عائبا
شادوا مناقبهم وشدت مناقبا ... وجدت مناقبهم بهن مثالبا
لبیك غیظ الحاسدین الراتبا ... انا لنخبر من یدیك عجائبا
تدبیر ذی حنك یفکر فی غد ... وهجوم غر لا یخاف عواقبا

وعطاء مال لو عداه طالب / انفقته في ان تلاقي طالبا
خذ من ثناي عليك ما اسطيعه / لا تلزمني في الثناء الواجبا
فلقد دهشت لما فعلت ودونه / ما يدهش الملك الحفيظ الكاتبا

واجتاز بمكان يعرف بالفراديس ليلا وكان راجعا من بريّة خساف يريد حاضر طيّء فسمع زئير الاسد فقال ارتجالا

اجارك يا اسد الفراديس مكرم / فتسكن نفسي ام مهان فمسلم
ورائي وقدامي عداة كثيرة / احاذر من لص ومنك ومنهم
فهل لك في حلفي على ما اريده / فاني باسباب المعيشة اعلم
اذاً لاتاك الرزق من كل وجهة / واثريت مما تغنمين واغنم

وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ يتولى الفداء بين الروم والعرب

نرى عظما بالصد والبين اعظم / ونتّهم الواشين والدمع منهم
ومن لبه مع غيره كيف حاله / ومن سره في جفنه كيف يكتم
ولما التقينا والنوى ورقيبنا / غفولان عنا ظلت ابكي وتبسم
فلم ار بدرا ضاحكا قبل وجهها / ولم تر قبلي ميتا يتكلم
ظلوم كمتنيها لصب كخصرها / ضعيف القوى من فعلها يتظلم
بفرع يعيد الليل والصبح نيّر / ووجه يعيد الصبح والليل مظلم
فلو كان قلبي دارها كان خاليا / ولكن جيش الشوق فيه عرمرم
اثاف بها ما بالفؤاد من الصلى / ورسم كجسمي ناحل متهدّم
بللت بها ردني والغيم مسعدي / وعبرته صرف وفي عبرتي دم
ولو لم يكن ما انهل في الخد من دمي / لما كان محمرا يسيل فاسقم

بنفسي الخيال الزائري بعد هجعة / وقولته لي بعدنا الغمض تطعم
سلام فلولا البخل والخوف عنده / لقلت ابو حفص علينا المسلم
محب الندى الصابي الى بذل ماله / صبوا كما يصبو المحب المتيم
واقسم لولا ان في كل شعرة / له ضيغما قلنا له انت ضيغم
انقصه من حظه وهو زائد / ونبخسه والبخس شيء محرم
يجل عن التشبيه لا الكف لجة / ولا هو ضرغام ولا الراي مخذم
ولا جرحه يوسى ولا غوره يرى / ولا حده ينبو ولا يتثلم
ولا يبرم الامر الذي هو حالل / ولا يحلل الامر الذي هو مبرم
ولا يرمح الاذيال من جبرية / ولا يخدم الدنيا واياه تخدم
ولا يشتهي يبقى وتفنى هباته / ولا تسلم الاعداء منه ويسلم
الذ من الصهباء بالماء ذكره / واحسن من يسر تلقاه معدم
واغرب من عنقاء في الطير شكله / واعوز من مسترفد منه يحرم
واكثر من بعد الايادي اياديا / من القطر بعد القطر والوبل مثجم
سنيّ العطايا لو راى نوم عينه / من اللؤم آلى انها لا تهوم
ولو قال هاتوا درهما لم اجد به / على سائل اعيى على الناس درهم
ولو ضر مرأً قبله ما يسره / لاثر فيه باسه والتكرم
يروّي بكالفرصاد في كل غارة / يتامى من الاغماد تنضى وتوتم
الى اليوم ما حط الفداء سروجه / مذ الغزو سار مسرج الخيل ملجم
يشق بلاد الروم والنقع ابلق / باسيافه والجو بالنقع ادهم
الى الملك الطاغي فكم من كتيبة / تساير منه حتفها وهي تعلم
ومن عاتق نصرانة برزت له / اسيلة خد عن قليل ستلطم

صنوفاً لليث في ليوث حصونها … متون المذاكي والوشيج المقوم
تغيب المنايا عنهم وهو غائب … وتقدم في ساحاتهم حين يقدم
أجدك ما ينفك عان تفكه … عمر بن سليمان ومال يقسم
مكافيك من أوليت دين رسوله … يداً لا تؤدي شكرها اليد والفم
على مهل إن كنت لست براحم … لنفسك من جود فإنك ترحم
محلك مقصود وشانيك مفحم … ومثلك مفقود ونيلك خضرم
وزارك بي دون الملوك تحرج … إذا عن بحر لم تجز إلى التيمم
فعش لو فدى المملوك رباً بنفسه … من الموت لم تفقد وفي الأرض مسلم

وقال يمدح عبد الواحد بن ابي العباس بن ابي الاصبع الكاتب

أركائب الأحباب إن الأدمعا … تطس الخدود كما تطس اليرمعا
فاعرفن من حملت عليكن النوى … وامشين هوناً في الأزمة خضعا
قد كان يمنعني الحياء من البكا … فاليوم يمنعني البكا أن يمنعا
حتى كأن لكل عظم رنة … في جلده ولكل عرق مدمعا
وكفى بمن فضح الجداية فاضحاً … لمحبه وبمصرعي ذا مصرعا
سفرت وبرقعها الفراق بصفرة … سترت محاجرها ولم تك برقعا
فكأنها والدمع يقطر فوقها … ذهب بسمطي لؤلؤ قد رصعا
كشفت ثلاث ذوائب من شعرها … في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها … فأرتني القمرين في وقت معا
ردي الوصال سقى طلولك عارض … لو كان وصلك مثله ما أقشعا
زجل يريك الجو ناراً والملا … كالبحر والتلعات روضاً ممرعا
كبنان عبد الواحد الغدق الذي … أروى وآمن من يشا وأجزعا

ألف المروة مذ نشا فكأنه … سقي اللبان بها صبياً مرضعا
نظمت مواهبه عليه تمائماً … فاعتادها فإذا سقطن تفزعا
ترك الصنائع كالقواطع بارقات … والمعالي كالعوالي شرعا
متبسماً لعفاته عن واضح … تغشي لوامعه البروق اللمعا
متكشفاً لعداته عن سطوة … لو حك منكبها السماء لزعزعا
الحازم اليقظ الأغر العالم ال … فطن الألد الأريحي الأروعا
الكاتب اللبق الخطيب الواهب النـ … دس اللبيب الهبرزي المصقعا
نفس لها خلق الزمان لأنه … مفني النفوس مفرق ما جمعا
ويد لها كرم الغمام لأنه … يسقي العمارة والمكان البلقعا
أبداً يصدع شعب وفر وافر … ويلم شعب مكارم متصدعا
يهتز للجدوى اهتزاز مهند … يوم الرجاء هززته يوم الوغى
يا مغنياً أمل الفقير لقاؤه … ودعاؤه بعد الصلاة إذا دعا
أقصر فلست بمقصر جزت المدى … وبلغت حيث النجم تحتك فاربعا
وحللت من شرف الفعال مواضعاً … لم يحلل الثقلان منها موضعا
وحويت فضلهما وما طمع امرؤ … فيه ولا طمع امرؤ أن يطمعا
نفذ القضاء بما أردت كأنه … لك كلما أزمعت شيئاً أزمعا
وأطاعك الدهر العصي كأنه … عبد إذا ناديت لبى مسرعا
أكلت مفاخرك المفاخر وانثنت … عن شأوهن مطي وصفي ظلعا
وجرين جري الشمس في أفلاكها … فقطعن مغربها وجزن المطلعا
لو نيطت الدنيا بأخرى مثلها … لعممتها وخشيت أن لا تقنعا
ومتى يكذب مدع لك فوق ذا … فالله يشهد أن حقاً ما ادعى

ومتى يؤدي شرح حالك ناطق … حفظ القليل النذر مما ضيعا
إن كان لا يدعى الفتى إلا كذا … رجلا فسم الناس طرا إصبعا
إن كان لا يسعى لجود ماجد … إلا كذا فالغيث أبخل من سعى
قد خلف العباس غرتك ابنه … مرأى لنا وإلى القيامة مسمعا

وقال يمدح عبد الرحمن ابن المبارك الانطاكي

صلة الهجر لي وهجر الوصال … نكساني في السقم نكس الهلال
فغدا الجسم ناحلا والذي ينـ … ـقص منه يزيد في بلبالي
قف على الدمنتين بالدو من ر … يا كخال في وجنة جنب خال
بطلول كأنهن نجوم … في عراص كأنهن ليال
ونؤي كأنهن عليهن … خدام خرس بسوق خدال
لا تلمني فإنني أعشق العشـ … ـشاق فيها يا أعذل العذال
ما تريد النوى من الحية الذو … اق حر الفلا وبرد الظلال
فهو أمضى في الروع من ملك المو … ت وأسرى في ظلمة من خيال
والحتف في العز يدنو محبـ … ـب ولعمر يطول في الذل قال
نحن ركب ملجن في زي ناس … فوق طير لها شخوص الجمال
من بنات الجديل تمشي بنا في الـ … ـبيد مشي الأيام في الآجال
كل هوجاء للدياميم فيها … أثر النار في سليط الذبال
عامدات للبدر والبحر والضر … غامة ابن المبارك المفضال
من يزره يزر سليمان في الملـ … ـك جلالا ويوسفا في الجمال
وربيعا يضاحك الغيث فيه … زهر الشكر من رياض المعالي
نفحتنا منه الصبا بنسيم … رد روحا في ميت الآمال

هم عبد الرحمن نفع الموالي … وبوار الأعداء والأموال
أكبر العيب عنده البخل والطعـ … ـن عليه التشبيه بالرئبال
والجراحات عنده نغمات … سبقت قبل سيبه بسؤال
نخذا ماء رجله وانضحا في الـ … ـمدن تأمن بوائق الزلزال
ذا السراج المنير هذا النقي الـ … ـجيب هذا بقية الأبدال
وامسحا ثوبه البقير على دا … ئكما تشفيا من الأعلال
مالئا من نواله الشرق والغر … ب ومن خوفه قلوب الرجال
قابضا كفه اليمين على الدنـ … ـيا ولو شاء حازها بالشمال
نفسه جيشه وتدبيره النصـ … ـر ولحاظه الظبى والعوالي
وله في جماجم المال ضرب … وقعه في جماجم الأبطال
فهم لاتقائه الدهر في يو … م نزال وليس يوم نزال
رجل طينه من العنبر الور … د وطين العباد من صلصال
فبقيات طينه لاقت الما … ء فصارت عذوبة في الزلال
وبقايا وقاره عافت النا … س فصارت ركانة في الجبال
لست ممن يغره حبك السلـ … ـم وأن لا ترى شهود القتال
ذاك شيء كفاكه عيش شانيـ … ـك ذليلا وقلة الأشكال
واغتفار لو غير السخط منه … جعلت هامهم نعال النعال
لجياد يدخلن في الحرب أعرا … ء ويخرجن من دم في جلال
واستعار الحديد لونا وألقى … لونه في ذوائب الأطفال
أنت طورا أمر من ناقع السـ … ـم وطورا أحلى من السلسال
إنما الناس حيث أنت وما النا … س بناس في موضع منك خالي

وقال يمدح اباعلي هارون بن عبد العزيز الكاتب الاوارجي

امن ازديارك في الدجى الرقباء … اذ حيث كنت من الظلام ضياء
قلق المليحة وهي مسك هتكها … ومسيرها في الليل وهي ذكاء
اسفي على اسفي الذي دلهتني … عن علمه فبه علي خفاء
وشكيتي فقد السقام لانه … قد كان لما كان لي اعضاء
مثلت عينك في حشاي جراحة … فتشابها كلتاهما نجلاء
نفذت علي السابري وربما … تندق فيه الصعدة السمراء
انا صخرة الوادي اذا ما زوحمت … واذا نطقت فانني الجوزاء
واذا خفيت على الغبي فعاذر … ان لا تراني مقلة عمياء
شيم الليالي ان تشكك ناقتي … صدري بها افضى ام البيداء
فتبيت تسئد مسئدا في نيها … اسادها في المهمه الانضاء
انساعها ممغوطة وخفافها … منكوحة وطريقها عذراء
يتلون الخريت من خوف التوى … فيها كما يتلون الحرباء
بيني وبين ابي علي مثله … شم الجبال ومثلهن رجاء
وعقاب لبنان وكيف بقطعها … وهو الشتاء وصيفهن شتاء
لبس الثلوج بها علي مسالكي … فكانها ببياضها سوداء
وكذا الكريم اذا اقام ببلدة … سال النضار بها وقام الماء
جمد القطار ولو راته كما ترى … بهتت فلم تتبجس الانواء
في خطه من كل قلب شهوة … حتى كان مداده الاهواء
ولكل عين قرة في قربه … حتى كان مغيبه الاقذاء
من يهتدي في الفعل ما لا تهتدي … في القول حتى يفعل الشعراء

في كل يوم للقوافي جولة … في قلبه ولاذنه اصغاء
واغارة فيما احتواه كانما … في كل بيت فيلق شهباء
من يظلم اللؤماء في تكليفهم … ان يصبحوا وهم له اكفاء
ويذيمهم وبهم عرفنا فضله … وبضدها تتبين الاشياء
من نفعه في ان يهاج وضره … في تركه لو تفطن الاعداء
فالسلم تكسر من جناحي ماله … بنواله ما تجبر الهيجاء
يعطي فتعطى من لهى يده اللهى … وترى برؤية رايه الاراء
متفرق الطعمين مجتمع القوى … فكانه السراء والضراء
وكانه ما لا تشاء عداته … متمثلا لوفوده ما شاؤوا
يا ايها المجدى عليه روحه … اذ ليس ياتيه لها استجداء
احمد عفاتك لا فجعت بفقدهم … فلترك ما لم ياخذوا اعطاء
لا تكثر الاموات كثرة قلة … الا اذا شقيت بك الاحياء
والقلب لا ينشق عما تحته … حتى تحل به لك الشحناء
لم تسم يا هارون الا بعدما … اقترعت ونازعت اسمك الاسماء
فغدوت واسمك فيك غير مشارك … والناس فيما في يديك سواء
لعممت حتى المدن منك ملاء … ولفت حتى ذا الثناء لفاء
ولجدت حتى كدت تبخل حائلا … للمنتهى ومن السرور بكاء
ابديت شيئا منك يعرف بدؤه … واعدت حتى انكر الابداء
فالفخر عن تقصيره بك ناكب … والمجد من ان تستزاد براء
فاذا سئلت فلا لانك محوج … واذا كتمت وشت بك الالاء
واذا مدحت فلا لتكسب رفعة … للشاكرين على الاله ثناء

وإذا مطرت فلا لأنك مجدب / يسقى الخصيب وتمطر الدأماء
لم تحك نائلك السحاب وإنما / حمت به فصبيبها الرحضاء
لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا / إلا بوجه ليس فيه حياء
فبأيما قدم سعيت إلى العلى / أدم الهلال لأخمصيك حذاء
ولك الزمان من الزمان وقاية / ولك الحمام من الحمام فداء
لو لم تكن من ذا الورى اللذ / منك هو عقمت بمولد نسلها حواء

وقال ارتجالا في مجلسه يصف كلبا صيد بدر وحل ظبي رجزا

ومنزل ليس لنا بمنزل / ولا لغير الغاديات الهطل
ندي الخزامى ذفر القرنفل / محلل ملوحش لم يحلل
عن لنا فيه مراعي مغزل / محين النفس بعيد الموئل
أغناه حسن الجيد عن لبس الحلي / وعادة العري عن التفضل
كأنه مضمخ بصندل / معترضا بمثل قرن الإيل
يحول بين الكلب والتأمل / فحل كلابي وثاق الأحبل
عن أشدق مسوجر مسلسل / أقب ساط شرس شمردل
منها إذا يثغ له لا يغزل / مؤجد الفقرة رخو المفصل
له إذا أدبر لحظ المقبل / كأنما ينظر من سجنجل
يعدو إذا أحزن عدو المسهل / إذا تلا جاء المدى وقد تلي
يقعي جلوس البدوي المصطلي / بأربع مجدولة لم تجدل
فتل الأيادي ربذات الأرجل / آثارها أمثالها في الجندل
يكاد في الوثب من التفتل / يجمع بين متنه والكلكل
وبين أعلاه وبين الأسفل / شبيه وسمي الحضار بالولي
كأنه مضبر من جرول / موثق على رماح ذبل
ذي ذنب أجرد غير أعزل / يخط في الأرض حساب الجمل
كأنه من جسمه بمعزل / لو كان يبلي السوط تحريك بلي
نيل المنى وحكم نفس المرسل / وعقلة الظبي وحتف التتفل
فانبريا فذين تحت القسطل / قد ضمن الآخر قتل الأول
في هبوة كلاهما لم يذهل / لا يأتلي في ترك أن لا يأتلي
مقتحما على المكان الأهول / يخال طول البحر عرض الجدول
حتى إذا قيل له نلت افعل / افتر عن مذروبة كالأنصل
لا تعرف العهد بصقل الصيقل / مركبات في العذاب المنزل
كأنها من سعة في هوجل / كأنه من علمه بالمقتل
علم بقراط فصاد الأكحل / فحال ما للقفز للتجدل
وصار ما في جلده في المرجل / فلم يضرنا معه فقد الأجدل
إذا بقيت سالما أبا علي / فالملك لله العزيز ثم لي

البدريات

وقال يمدح أبا الحسين بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي الطبرستاني وهو يومئذ يلي حرب طبرية من قبل أبي بكر محمد بن رائق

أحلما نرى أم زمانا جديدا / أم الخلق في شخص حي أعيدا
تجلى لنا فأضأنا به / كأنا نجوم لقينا سعودا
رأينا ببدر وآبائه / لبدر ولودا وبدرا وليدا
طلبنا رضاه بترك الذي / رضينا له فتركنا السجودا
أمير أمير عليه الندى / جواد بخيل بأن لا يجودا

يحدث عن فضله مكرها … كأنّ له منه قلبا حسودا
ويقدم الّا على ان يفرّ … ويقدر الّا على ان يزيدا
كأنّ نوالك بعض القضاء … فما تعط منه نجده جدودا
وربّتما حملة في الوغى … رددت بها الذبّل السمر سودا
وهول كشفت ونصل قصفت … ورمح تركت مبادا مبيدا
ومال وهبت بلا موعد … وقرن سبقت اليه الوعيدا
بهجر سيوفك اغمادها … تمنّى الطلى ان تكون الغمودا
الى الهام تصدر عن مثله … ترى صدرا عن ورود ورودا
قتلت نفوس العدى بالحديـ … ـد حتى قتلت بهنّ الحديدا
فانفدت من عيشهنّ البقا … وابقيت ممّا ملكت النفودا
كأنّك بالفقر تبغي الغنى … وبالموت في الحرب تبغي الخلودا
خلائق تهدي الى ربّها … وآية مجد اراها العبيدا
مهذّبة حلوة مرّة … حقرنا البحار بها والأسودا
بعيد على قربها وصفها … تغول الظنون وتنضي القصيدا
فانت وحيد بني آدم … ولست لفقد نظير وحيدا

وقال يمدح بدر بن عمار وقد وجد علة ففصده الطبيب فغرق المبضع فوق حقه فاضرّ به ٥

ابعد نأي المليحة البخل … في البعد ما لا تكلّف الابل
ملولة ما تدوم ليس لها … من ملل دائم بها ملل
كأنّما قدّها اذا انفتلت … سكران من خمر طرفها ثمل
يجذبها تحت خصرها عجز … كأنّه من فراقها وجل
بي حرّ شوق الى ترشّفها … ينفصل الصبر حين يتّصل
الثغر والنحر والمخلخل والـ … ـمعصم دائي والفاحم الرجل
ومهمه جبته على قدمي … تعجز عنه العرامس الذلل
بصارمي مرتد بمخبرتي … مجتزئ بالظلام مشتمل
اذا صديق نكرت جانبه … لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب … وفي بلاد من اختها بدل
وفي اعتماد الامير بدر بن عـ … ـمار عن الشغل بالورى شغل
اصبح مالا كماله لذوي الـ … ـحاجة لا يبتدي ولا يسل
هان على قلبه الزمان فما … يبين فيه همّ ولا جذل
يكاد من طاعة الحمام له … يقتل من ما دنا له الاجل
يكاد من صحّة العزيمة ما … يفعل قبل الفعال ينفعل
تعرف في عينه حقائقه … كأنّه بالذكاء مكتحل
اشفق عند اتّقاد فكرته … عليه منها اخاف يشتعل
اغرّ اعداؤه اذا سلموا … بالهرب استكبروا الذي فعلوا
يقبلهم وجه كلّ سابحة … اربعها قبل طرفها تصل
جرداء ملء الحزام مجفرة … تكون مثلي عسيبها الخصل
ان ادبرت قلت لا تليل لها … او اقبلت قلت ما لها كفل
والطعن شزر والارض واجفة … كأنّما في فؤادها وهل
قد صبغت خدّها الدما كما … يصبغ خدّ الخريدة الخجل
والخيل تبكي جلودها عرقا … بادمع ما تسحّها مقل
سار ولا قفر من مواكبه … كأنّما كلّ سبسب جبل

يمنعها ان يصيبها مطر ... شدة ما قد تضايق الاسل
يا بدر يا بحر يا غمامة يا ... ليث الشرى يا حمام يا رجل
ان البنان التي تقبلها ... عندك في كل موضع مثل
انك من معشر اذا وهبوا ... ما دون اعمارهم فقد بخلوا
قلوبهم في مضاء ما امتشقوا ... قاماتهم في تمام ما اعتقلوا
انت نقيض اسمه اذا اختلفت ... قواضب الهند والقنا الذبل
انت لعمري البدر المنير ولـ ... كنك في حومة الوغا زحل
كتيبة لست ربها نفل ... وبلدة لست حليها عطل
قصدت من شرقها ومغربها ... حتى اشتكتك الركاب والسبل
لم تبق الا قليل عافية ... قد وفدت تجتديكها العلل
عذر الملومين فيك انهما ... آس جبان ومبضع بطل
مددت في راحة الطبيب يدا ... وما درى كيف يقطع الامل
ان يكن النفع ضر باطنها ... فربما ضر ظهرها القبل
يشق في عرقها الفصاد ولا ... يشق في عرق جودها العذل
خامره اذ مددتها جزع ... كانه من حذاقة عجل
جاز حدود اجتهاده فاتى ... غير اجتهاد لامه الهبل
ابلغ ما يطلب النجاح به ... الطبع وعند التعمق الزلل
ارث لها انها بما ملكت ... وبالذي قد اسلت تنهمل
مثلك يا بدر لا يكون ولا ... تصلح الا لمثلك الدول

وقال فيه ايضا يمدحه ٥

بقائي شاء ليس هم ارتحالا ... وحسن الصبر زموا لا الجمالا

تولوا بغتة فكان بينا ... تهيبني ففاجاني اغتيالا
فكان مسير عيسهم ذميلا ... وسير الدمع اثرهم انهمالا
كان العيس كانت فوق جفني ... مناخات فلما ثرن سالا
وحجبت النوى الظبيات عني ... فساعدت البراقع والحجالا
لبسن الوشي لا متجملات ... ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن ... ولكن خفن في الشعر الضلالا
بجسمي من برته فلو اصارت ... وشاحي ثقب لؤلؤة لجالا
ولولا انني في غير نوم ... لبت اظنني مني خيالا
بدت قمرا ومالت خوط بان ... وفاحت عنبرا ورنت غزالا
كان الحزن مشغوف بقلبي ... فساعة هجرها يجد الوصالا
كذا الدنيا على من كان قبلي ... صروف لم يدمن عليه حالا
اشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا
الفت ترحلي وجعلت ارضي ... قتودي والغريري الجلالا
فما حاولت في ارض مقاما ... ولا ازمعت عن ارض زوالا
على قلق كان الريح تحتي ... اوجهها جنوبا او شمالا
الى البدر ابن عمار الذي ... لم يكن في غرة الشهر الهلالا
ولم يعظم لامر كان فيه ... لكل مغيب حسن مثالا

ولم يزل الامير ولن يزالا ... بلا مثل وان ابصرت فيه صح

حسام لابن رائق المرجى ... حسام المتقي ايام صالا
سنان في قناة بني معد ... بني اسد اذا دعوا النزالا
اعز مغالب كفا وسيفا ... ومقدرة ومحمية وآلا
واشرف فاخر نفسا وقوما ... واكرم منتم عما وخالا

يكون أحق إثناء عليه ... على الدنيا وأهليها محالا
ويبقى ضعف ما قد قيل فيه ... إذا لم يترك أحد مقالا
فيا ابن الطاعنين بكل لدن ... مواضع يشتكي البطل السعالا
ويا ابن الضاربين بكل عضب ... من العرب الأسافل والقلالا
أرى المتشاعرين غروا بذمي ... ومن ذا يحمد الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرا به الماء الزلالا
وقالوا هل يبلغك الثريا ... فقلت نعم إذا شئت استفالا
هو المفني المذاكي والأعادي ... وبيض الهند والسمر الطوالا
وقائدها مسومة خفافا ... على حي تصبحه ثقالا
جوائل بالقني مثقفات ... كأن على عواملها الذبالا
إذا وطئت بأيديها صخورا ... بقين لوطء أرجلها رمالا
جواب مسائلي أله نظير ... ولا لك في سؤالك لا ألا لا
لقد أمنت بك الإعدام نفس ... تعد رجاءها إياك مالا
وقد وجلت قلوب منك حتى ... غدت أوجالها فيها وجالا
سرورك أن تسر الناس طرا ... تعلمهم عليك به الدلالا
إذا سألوا شكرتهم عليه ... وإن سكتوا سألتهم السؤالا
وأسعد من رأينا مستميح ... ينيل المستماح بأن ينالا
يفارق سهمك الرجل الملاقي ... فراق القوس ما لاقى الرجالا
فما تقف السهام على قرار ... كأن الريش يطلب النصالا
سبقت السابقين فما تجارى ... وجاوزت العلو فما تعالا
وأقسم لو صلحت يمين شيء ... لما صلح العباد له شمالا
أقلب منك طرفي في سماء ... وإن طلعت كواكبها خصالا
وأعجب منك كيف قدرت تنشا ... وقد أعطيت في المهد الكمالا

وقال يمدح بدر بن عمار بن إسمعيل الأسدي الطبرستاني وهو على الشراب وقد صفت الفاكهة والنرجس ه

إنما بدر بن عمار سحاب ... هطل فيه ثواب وعقاب
إنما بدر رزايا وعطايا ... ومنايا وطعان وضراب
ما يجيل الطرف إلا حمدته ... جهدها الأيدي وذمته الرقاب
ما به قتل أعاديه ولكن ... يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب
فله هيبة من لا يترجى ... وله جود مرجى لا يهاب
طاعن الفرسان في الأحداق شزرا ... وعجاج الحرب للشمس نقاب
باعث النفس على الهول الذي ... ليس لنفس وقعت فيه إياب
بأبي ريحك لا نرجسنا ذا ... وأحاديثك لا هذا الشراب
ليس بالمنكر أن برزت سبقا ... غير مدفوع عن السبق العراب

وقال وقد خرج بدر بن عمار إلى أسد فهرب الأسد منه وكان خرج قبله إلى أسد فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل فوثب على كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بسوطه ودار الجيش فقتل فقال أبو الطيب في ذلك

في الخد أن عزم الخليط رحيلا ... مطر تزيد به الخدود محولا
يا نظرة نفت الرقاد وغادرت ... في خد قلبي ما حييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلي إنما ... أجلي تمثل في فؤادي سولا

اجد الجفاء على سواك مروءة   والصبر الا فى نواك جميلا
وارى تدللك الكثير محببا   وارى قليل تدلل مملولا
تشكو روادفك المطية فوقها   شكوى التى وجدت هواك دخيلا
ويعيرنى جذب الزمام لقلبها   فمها اليك كطالب تقبيلا
حدق الحسان من الغوانى هجن لى   يوم الفراق صبابة وغليلا
حدق يذم من القواتل غيرها   بدر بن عمار بن اسمعيلا
الفارج الكرب العظام بمثلها   والتارك الملك العزيز ذليلا
محك اذا مطل الغريم بدينه   جعل الحسام بما اراد كفيلا
نطق اذا حط الكلام لثامه   اعطى بمنطقه القلوب عقولا
اعدى الزمان سخاؤه فسخا به   ولقد يكون به الزمان بخيلا
وكان برقا فى متون غمامة   هندية فى كفه مسلولا
ومحل قائمه يسيل مواهبا   لو كن سيلا ما وجدن مسيلا
رقت مضاربه فهن كانما   يبدين من عشق الرقاب نحولا
امعفر الليث الهزبر بسوطه   لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الاردن منه بلية   نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شاربا   ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس   فى غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا   تحت الدجى نار الفريق حلولا
فى وحدة الرهبان الا انه   لا يعرف التحريم والتحليلا
يطا البرى مترفقا من تيهه   فكانه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه   حتى تكون لرأسه اكليلا

وتظنه مما يزمجر نفسه   عنها لشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكانما   ركب الكمى جواده مشكولا
القى فريسته وبربر دونها   وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان فى اقدامه   وتخالفا فى بذلك الماكولا
اسد يرى عضويه فيك كليهما   متنا ازل وساعدا مفتولا
فى سرج ظامية الفصوص طمرة   يابى تفردها لها التمثيلا
نيالة الطلبات لولا انها   تعطى مكان لجامها ما نيلا
تندى سوالفها اذا استحضرتها   وتظن عقد عنانها محلولا
ما زال يجمع نفسه فى زوره   حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كانما   يبغى الى ما فى الحضيض سبيلا
وكانه غرته عين فادنى   لا يبصر الخطب الجليل جليلا
انف الكريم من الدنية تارك   فى عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخائف   من حتفه من خاف مما قيلا
سبق التقاءكه بوثبة هاجم   لو لم تصادمه لجازك ميلا
خذلته قوته وقد كافحته   فاستنصر التسليم والتجديلا
قبضت منيته يديه وعنقه   فكانما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به وبحاله   فنجا يهرول امس منه مهولا
وامر مما فر منه فراره   وكقتله الا يكون قتيلا
تلف الذى اتخذ الجراة خلة   وعظ الذى اتخذ الفرار سبيلا
لو كان علمك بالاله مقسما   فى الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما انزل الـ   قرآن والتورية والانجيلا

لو كان ما تعطيهم من قبل ان ... تعطيهم لم يعرفوا التأميلا
فلقد عرفت وما عرفت حقيقة ... ولقد جهلت وما جهلت خمولا
نطقت بسوددك الحمام تغنيا ... وبما تجشمها الجياد صهيلا
ما كل من طلب المعالي نافذا ... فيها ولا كل الرجال فحولا

وورد كتاب من ابي بكر بن رائق على بدر بن عمار باضافة الساحل الى عمله فقال

تهنى بصور ام نهنيها بكا ... وقل الذي صور وانت له لكا
وما صغر الاردن والساحل الذي ... حبيت به الا الى جنب قدركا
تحاسدت البلدان حتى لو انها ... نفوس لسار الشرق والغرب نحوكا
واصبح مصر لا تكون اميره ... ولو انه ذو مقلة وفم بكا

ورأى ابو الطيب الى جانبه ثيابا مطوية فسأل عنها فقيل له هي خلع الولاية وكان ابو الطيب ذلك اليوم عليلا فقال ارتجالا

ارى حللا مطواة حسانا ... عداني ان اراك بها اعتلالي
وهبك طويتها وخرجت عنها ... اتطوي ما عليك من الجمال
لقد ظلت اواخرها الاعالي ... مع الاولى بجسمك في قتال
تلاحظك العيون وانت فيها ... كأن عليك افئدة الرجال
متى حاولت فضلك في كلام ... فقد احصيت حبات الرمال
وان بها وان به لنقصا ... وانت لها النهاية في الكمال

وسار بدر بن عمار الى الساحل ولم يسر معه ابو الطيب فبلغه ان الاعور بن الكروس كتب الى بدر يذكر له انما تخلف ابو الطيب رغبة ورفعا لنفسه عن المسير معك ثم عاد بدر الى طبرية

فضربت له خيام ونزل فيها وكان بطبرية مرج متنزه فامره فضربت له قباب بها عليها امثلة من تصاوير فقال ابو الطيب

الحب ما منع الكلام الالسنا ... والذ شكوى عاشق ما اعلنا
ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى ... من غير جرم واصلي صلة الضنى
بنا فلو حليتنا لم تدر ما ... الواننا مما امتقعن تلونا
وتوقدت انفاسنا حتى لقد ... اشفقت تحترق العواذل بيننا
افدي المودعة التي اتبعتها ... نظرا فرادى بين زفرات ثنا
انكرت طارقة الحوادث مرة ... ثم اعترفت بها فصارت ديدنا
وقطعت في الدنيا الفلا وركائبي ... فيها ووقتي الضحى والموهنا
فوقفت منها حيث اوقفني الندى ... وبلغت من بدر بن عمار المنى
لابي الحسين جدى يضيق وعاؤه ... عنه ولو كان الوعاء الازمنا
وشجاعة اغناه عنها ذكرها ... ونهى الجبان حديثها ان يجبنا
نيطت حمائله بعاتق محرب ... ما كر قط وهل يكر وما انثنى
فكأنه والطعن من قدامه ... متخوف من خلفه ان يطعنا
نفت التوهم عنه حدة ذهنه ... فقضى على غيب الامور تيقنا
يتفزع الجبار من بغتاته ... فيظل في خلواته متكفنا
امضى ارادته فسوف له قد ... واستقرب الاقصى فثم له هنا
يجد الحديد على بضاضة جلده ... ثوبا اخف من الحرير والينا
وامر من فقد الاحبة عنده ... فقد السيوف الفاقدات الاجفنا
لا يستكن الرعب بين ضلوعه ... يوما ولا الاحسان الا يحسنا
مستنبط من علمه ما في غد ... فكأن ما سيكون فيه دونا

تتقاصر الافهام عن ادراكه ... مثل الذي الافلاك فيه والدنا
من ليس من قتلاه من طلقائه ... من ليس ممن دان ممن حينا
لما قفلت من السواحل نحونا ... قفلت اليها وحشة من عندنا
ارج الطريق فما مررت بموضع ... الا اقام به الشذى مستوطنا
لو تعقل الشجر التي قابلتها ... مدت محيية اليك الاغصنا
سلكت تماثيل القباب الجن من ... شوق بها فادرن فيك الاعينا
طربت مراكبنا فخلنا انها ... لولا حياء عاقها رقصت بنا
اقبلت تبسم والجياد عوابس ... يخببن بالحلق المضاعف والقنا
عقدت سنابكها عليها عثيرا ... لو تبتغي عنقا عليه امكنا
والامر امرك والقلوب خوافق ... في موقف بين المنية والغنى
فعجبت حتى ما عجبت من الظبى ... ورايت حتى ما رايت من السنا
اني اراك من المكارم عسكرا ... في عسكر ومن المعالي معدنا
فطن الفؤاد لما اتيت على النوى ... ولما تركت مخافة ان تفطنا
اضحى فراقك لي عليه عقوبة ... ليس الذي قاسيت منه هينا
فاغفر فدى لك واحبني من بعدها ... لتخصني بعطية منها انا
وانه المشير عليك في بضلة ... فالحر ممتحن باولاد الزنا
واذا الفتى طرح الكلام معرضا ... في مجلس اخذ الكلام اللذ عنا
ومكايد السفهاء واقعة بهم ... وعداوة الشعراء بئس المقتنا
لعنت مقارنة اللئيم فانها ... ضيف يجر من العداوة ضيفنا
غضب الحسود اذا لقيتك راضيا ... رزء اخف علي من ان يوزنا
امسى الذي امسى بربك كافرا ... من غيرنا معنا بفضلك مؤمنا

خلت البلاد من الغزالة ليلها ... فاعاضهاك الله كي لا تحزنا

ودخل يوما على بدر بن عمار فوجده خاليا من الشراب وقد امر الغلمان ان يحجبوا الناس عنه ليخلوا للشرب فقال ارتجالا

اصبحت تامر بالحجاب لخلوة ... هيهات لست على الحجاب بقادر
من كان ضوء جبينه ونواله ... لم يحجبا لم تحتجب عن ناظر
فاذا احتجبت فانت غير محجب ... واذا بطنت فانت عين الظاهر

وقال ارتجالا وقد سقاه بدر ولم تكن له رغبة في الشرب

لم تر من نادمت الاكا ... لا لسوى ودك لي ذاكا
ولا لحبيها ولكنني ... امسيت ارجوك واخشاكا

وقال ايضا له

عذلت منادمة الامير عواذلي ... في شربها وكفت جواب السائل
مطرت سحاب يديك ري جوانحي ... وحملت شكرك واصطناعك حامل
فمتى اقوم بشكر ما اوليتني ... والقول فيك علو قدر القائل

وقال ايضا له وقد كان تاب من الشراب مرة بعد اخرى ثم راه يشرب

يا ايها الملك الذي ندماؤه ... شركاؤه في ملكه لا ملكه
في كل يوم بيننا دم كرمة ... لك توبة من توبة من سفكه
والصدق من شيم الكرام فبنا ... امن الشراب تتوب ام من تركه

وقال بدر بل من تركه وقال فيه ايضا

بدر فتى لو كان من سؤاله ... يوما توفر حظه من ماله
يتحير الافعال في افعاله ... ويقل ما ياتيه في اقباله
قمرا نرى وسحابتين بموضع ... من وجهه ويمينه وشماله

سفك الدماء بجوده لا بأسه ... كرما لأن الطير بعض عياله

إن يفن ما يحوي فقد أبقى به ... ذكرا يزول الدهر قبل زواله

وسأله حاجة فقضاها فنهض وهو يقول

قد أبت بالحاجة مقضية ... وعفت في الجلسة تطويلها

أنت الذي طول بقاء به ... خير لنفسي من بقائي لها

فسأله بدر الجلوس فقال ارتجالا

يا بدر إنك والحديث شجون ... من لم يكن لمثاله تكوين

لعظمت حتى لو تكون أمانة ... ما كان مؤتمنا بها جبرين

بعض البرية فوق بعض خاليا ... فإذا حضرت فكل فوق دون

وقال فيه أيضا ارتجالا

فدتك الخيل وهي مسومات ... وبيض الهند وهي مجردات

وصفتك في قواف سائرات ... وقد بقيت وإن كثرت صفات

أفاعيل الورى من قبل دهم ... وفعلك في فعالهم شيات

وقال فيه أيضا ارتجالا

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ... ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

على أنني طوقت منك بنعمة ... شهيد بها بعضي لغيري على بعضي

سلام الذي فوق السموات عرشه ... تخص به يا خير ماش على الأرض

وقال ارتجالا وقد لعب بدر بالشطرنج وقد كثر المطر

ألم تر أيها الملك المرجى ... عجائب ما رأيت من السحاب

تشكى الأرض غيبته إليه ... وترشف ماءه رشف الرضاب

وأوهم أن في الشطرنج همي ... وفيك تأملي ولك انتصابي

سأمضي والسلام عليك مني ... مغيبي ليلتي وغدا إيابي

وقال وقد سقاه بدر فأخذ الشراب من أبي الطيب وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام فقال هذين البيتين وهو لا يدري أنه قالهما فلما أصبح أنشده إياهما ابن الخراساني وهما

نال الذي نلت منه ... مني لله ما تصنع الخمور

وذا انصرافي إلى محلي ... آذن أيها الأمير

وعرض عليه الصبوح في غد فقال

وجدت المدامة غلابة ... تهيج للمرء أشواقه

تسيء من المرء تأديبه ... ولكن تحسن أخلاقه

وأنفس ما للفتى لبه ... وذو اللب يكره إنفاقه

وقد مت أمس بها موتة ... وما يشتهي الموت من ذاقه

وقال في اللعبة التي أحضرها ابن كروس وكان يحسد أبا الطيب

وجارية شعرها شطرها ... محكمة نافذ أمرها

تدور وفي يدها طاقة ... تضمنها مكرها شبرها

فإن أسكرتنا ففي جهلها ... بما فعلته بنا عذرها

وأديرت فوقفت حذاء أبي الطيب فقال

جارية ما لجسمها روح ... بالقلب من حبها تباريح

في يدها طاقة تشير بها ... لكل طيب من طيبها ريح

سأشرب الكأس عن إشارتها ... ودمع عيني في الخد مسفوح

وشرب وأدارها فوقفت حذاء بدر فقال

يا ذا المعالي ومعدن الأدب ... سيدنا وابن سيد العرب

أنت عليم بكل معجزة ... ولو سألنا سواك لم يجب
أهذه قابلتك راقصة ... أم رفعت رجلها من التعب

وقال أيضا فيها

إن الأمير أدام الله دولته ... لفاخر كسيت فخرا به مضر
في الشرب جارية من تحتها خشب ... ما كان والدها جن ولا بشر
قامت على فرد رجل من مهابته ... وليس تعقل ما تأتي وما تذر

وأديرت فسقطت فقال له بديها

ما نقلت في مشيئة قدما ... ولا اشتكت في دوارها ألما
لم أر شخصا من قبل رؤيتها ... يفعل أفعالها وما عزما
فلا تلمها على تواقعها ... أطربها أن رآك مبتسما

فمدحها بأشعار كثيرة وهجاها بمثلها ولكنها لم تحفظ فخجل الأعور وأمر بدر برفعها فرفعت فقال

وذات غدائر لا عيب فيها ... سوى أن ليس تصلح للعناق
إذا هجرت فعن غير اختيار ... وإن زارت فعن غير اشتياق
أمرت بأن تشال ففارقتنا ... وما ألمت لحادثة الفراق

ثم التفت أبو الطيب إلى بدر فقال ما حملك أيها الأمير فقال له بدر أردت نفي الظنة عن أدبك فقال ارتجالا

زعمت أنك تنفي الظن عن أدبي ... وأنت أعظم أهل الأرض مقدارا
إني أنا الذهب المعروف مخبره ... يزيد في السبك للدينار دينارا

فقال له بدر بل والله للدينار قنطارا فقال ارتجالا

برجاء جودك يطرد الفقر ... وبأن تعادى ينفد العمر

فخر الزجاج بأن شربت به ... وزرت على من عافها الخمر
وسلمت منها وهي تسكرنا ... حتى كأنك هابك السكر
ما يرتجي أحد لمكرمة ... إلا الإله وأنت يا بدر

وقال يمدح أبا الحسن علي بن محمد المري الخراساني فقال

لا افتخار إلا لمن لا يضام ... مدرك أو محارب لا ينام
ليس عزما ما مرض المرء فيه ... ليس هما ما عاق عنه الظلام
واحتمال الأذى ورؤية جانيه ... غذاء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار ... حجة لاجئ إليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام
ضاق ذرعا بأن أضيق به ... ذرعا زماني واستكرمتني الكرام
واقفا تحت أخمصي قدر نفسي ... واقفا تحت أخمصي الأنام
أقرارا ألذ فوق شرار ... ومراما أبغي وظلمي يرام
دون أن يشرق الحجاز ونجد ... والعراقان بالقنا والشآم
شرق الجو بالغبار إذا سا ... ر علي بن أحمد القمقام
الأديب المهذب الأصيد الضر ... ب الذكي الجعد السري الهمام
والذي ريب دهره من أسا ... راه ومن حاسدي يديه الغمام
يتداوى من كثرة المال بالإ ... قلال جودا كأن مالا سقام
حسن في عيون أعدائه ... أقبح من ضيفه رأته السوام
لو حمى سيدا من الموت حام ... لحماك الإجلال والإعظام
وعوار لوامع دينها الحـ ... ـل ولكن زيها الإحرام

كتبت في صحائف المجد بسم … ثم قيس وبعد ذاك السلام
إنما مرة بن عوف بن سعد … جمرات لا تشتهيها النعام
ليلها صبحها من النار والا … صباح ليل من الدخان تمام
همم بلغتكم رتبات … قصرت عن بلوغها الاوهام
ونفوس اذا انبرت لقتال … نفدت قبل ينفد الاقدام
وقلوب موطنات على الرو … ع كان اقتحامها استسلام
قايدوا كل شطبة وحصان … قد براها الاسراج والالجام
يتعثرن بالرؤوس كما مر … بتاآت نطقه التمتام
طال غشيانك الكرائه حتى … قال فيك الذي اقول الحسام
وكفتك الصفائح الناس حتى … قد كفتك الصفائح الاقلام
وكفتك التجارب الفكر حتى … قد كفاك التجارب الالهام
فارس يشتهي برازك للفخ … ر بقتل معجل لا يلام
نايل منك نظرة ساقه … الفقر عليه لفقره انعام
خير اعضائنا الرؤوس ولـ … كن فضلتها بقصدك الاقدام
قد لعمري اقصرت عنك وللو … فد ازدحام وللعطايا ازدحام
خفت ان صرت في يمينك ان … يأخذني في هباتك الاقوام
ومن الرشد لم ازرك على القر … ب على البعد يعرف الالمام
ومن الخير بطء سيبك عني … اسرع السحب في المسير الجهام
قل فكم من جواهر بنظام … ودها انها بفيك كلام
هابك الليل والنهار فلو … نهاهما لم تجز بك الايام
حسبك الله ما تضل عن الحق … ولا يهتدي اليك اثام
لم لا تحذر العواقب في غير الـ … ـدنايا او ما عليك حرام
كم حبيب لا عذر للوم فيه … لك فيه من التقى لوام
رفعت قدرك النزاهة عنه … وثنت قلبك المساعي الجسام
ان بعضا من القريض هذاء … ليس شيئا وبعضه احكام
منه ما يجلب البراعة والفضـ … ـل ومنه ما يجلب البرسام

وحمله علي بن أحمد على فرس وساله المقام عنده فقال له

لا تنكرن رحيلي عنك في عجل … فانني لرحيلي غير مختار
وربما فارق الانسان مهجته … يوم الوغا غير قال خشية العار
وقد منيت بحساد احاربهم … فاجعل نداك عليهم بعض انصاري

وقال يذم الاعور ويصف سيره في البوادي

عذيري من عذاري من امور … سكن جوانحي بدل الخدور
ومبتسمات هيجاوات عصر … عن الاسياف ليس عن الثغور
ركبت مشمرا قدمي اليها … وكل عذافر قلق الضفور
اوانا في بيوت البدو رحلي … وآونة على قتب البعير
اعرض للرماح الصم نحري … وانصب حر وجهي للهجير
واسري في ظلام الليل وحدي … كاني منه في قمر منير
فقل في حاجة لم اقض منها … على تعبي بها شروى نقير
ونفس لا تجيب الى خسيس … وعين لا تدار على نظير
وكف لا تنازع من اتاني … ينازعني سوى شرفي وخيري
وقلة ناصر جوزيت عني … بشر منك يا شر الدهور
عدوي كل شيء فيك حتى … لخلت الاكم موغرة الصدور

فلو أني حسدت على نفيس   لجدت به لدى الجد العثور
ولكني حسدت على حياتي   وما خير الحياة بلا سرور
فيا ابن كروس يا نصف أعمى   وإن تفخر فيا نصف البصير
تعادينا لأنا غير لكن   وتبغضنا لأنا غير عور
فلو كنت امرأ يهجى هجونا   ولكن ضاق فتر عن مسير

وقال يمدح أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخصيبي

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن   يخلو من الهم أخلاهم من الفطن
وإنما نحن في جيل سواسية   شر على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق   تخطي إذا جئت في استفهامها بمن
لا أقتري بلدا إلا على غرر   ولا أمر بخلق غير مضطغن
ولا أعاشر من أملاكهم أحدا   إلا أحق بضرب الرأس من وثن
إني لأعذرهم مما أعنفهم   حتى أعنف نفسي فيهم وأني
فقر الجهول بلا قلب إلى أدب   فقر الحمار بلا رأس إلى رسن
ومدقعين بسبروت صحبتهم   عارين من حلل كاسين من درن
خراب بادية غرثى بطونهم   مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا أعطيهم خبري   وما يطيش لهم سهم من الظنن
وخلة في جليس أتقيه بها   كيما يرى أننا مثلان في الوهن
وكلمة في طريق خفت أعربها   فيهتدى لي فلم أقدر على اللحن
قد هون الصبر عندي كل نازلة   ولين العزم حد المركب الخشن
كم مخلص وعلى في خوض مهلكة   وقتلة قرنت بالذم في الجبن
لا يعجبن مضيما حسن بزته   وهل يروق دفينا جودة الكفن

لله حال أرجيها وتخلفني   وأقتضي كونها دهري ويمطلني
مدحت قوما وإن عشنا نظمت لهم   قصائدا من إناث الخيل والحصن
تحت العجاج قوافيها مضمرة   إذا أنوشدن لم يدخلن في أذن
فلا أحارب مدفوعا على جدر   ولا أصالح مغرورا على دخن
مخيم الجمع بالبيداء يصهره   حر الهواجر في صم من الفتن
ألقى الكرام الألى بادوا مكارمهم   على الخصيبي عند الفرض والسنن
فهن في الحجر منه كلما عرضت   له اليتامى بدا بالمجد والمنن
قاض إذا التبس الأمران عن له   رأي يخلص بين الماء واللبن
غض الشباب بعيد فجر ليلته   مجانب العين للفحشاء والوسن
شرابه النشح لا للري يطلبه   وطعمه لقوام الجسم لا السمن
القائل الصدق فيه ما يضر به   والواحد الحالتين السر والعلن
الفاصل الحكم عي الأولون به   ومظهر الحق للساهي على الذهن
أفعاله نسب لو لم يقل معها   جدي الخصيب عرفنا العرق بالغصن
العارض الهتن بن العارض الهتن   بن العارض الهتن بن العارض الهتن
قد صيرت أول الدنيا وآخرها   آباؤه من مغار العلم في قرن
كأنهم ولدوا من قبل أن ولدوا   وكان فهمهم أيام لم تكن
الخاطرين على أعدائهم أبدا   من المحامد في أوقى من الجنن
للناظرين إلى إقباله فرح   يزيل ما بجباه القوم من غضن
كأن مال ابن عبد الله مغترف   من راحتيه بأرض الروم واليمن
لم نفتقد بك من مزن سوى لثق   ولا من البحر غير الريح والسفن
ولا من الليث إلا قبح منظره   ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

منذ احتبيت بانطاكية اعتدلت — حتى كأن ذوي الأوتار في هدن
ومذ مررت على أطوادها قرعت — من السجود فلا نبت على القنن
أخلت مواهبك الأسواق من صنع — أغنى نداك عن الأعمال والمهن
ذا جود من ليس من دهر على ثقة — وزهد من ليس من دنياه في وطن
وهذه هيبة لم يؤتها بشر — وذا اقتدار لسان ليس في المنن
فمر وأوم تطع قدست من جبل — تبارك الله مجري الروح في حضن

وكتب الى جدته لامه من الكوفة يستزيرها الى بغداد فماتت سرورا بكتابه لما ورد عليها فقال يرثيها

ألا لا أري الأحداث حمدا ولا ذما — فما بطشها جهلا ولا كفها حلما
إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى — يعود كما أبدى ويكري كما أرمى
لك الله من مفجوعة بحبيبها — قتيلة شوق غير ملحقها وصما
أحن إلى الكأس التي شربت بها — وأهوى لمثواها التراب وما ضما
بكيت عليها خيفة في فراقها — وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما
ولولا قتل الهجر المحبين كلهم — مضى بلد باق أجدت له صرما
منافعها ما ضر في نفع غيرها — تغذى وتروى أن تجوع وأن تظما
عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا — فلما دهتني لم تزدني بها علما
أتاها كتابي بعد يأس وترحة — فماتت سرورا بي فمت بها هما
حرام على قلبي السرور فإنني — أعد الذي ماتت به بعدها سما
تعجب من خطي ولفظي كأنها — ترى بحروف السطر أغربة عصما
وتلثمه حتى أصار مداده — محاجر عينيها وأنيابها سحما
رقا دمعها الجاري وجفت جفونها — وفارق حبي قلبها بعد ما أدمى
ولم يسلها إلا المنايا وإنما — أشد من السقم الذي أذهب السقما
طلبت لها حظا ففاتت وفاتني — وقد رضيت بي لو رضيت بها قسما
فأصبحت أستسقي الغمام لقبرها — وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصما
وكنت قبيل الموت أستعظم النوى — فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى
هبيني أخذت الثأر فيك من العدى — فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى
وما انسدت الدنيا علي لضيقها — ولكن طرفا لا أراك به أعمى
فوا أسفا ألا أكب مقبلا — لرأسك والصدر الذي ملئا حزما
وألا ألاقي روحك الطيب الذي — كأن ذكي المسك كان له جسما
ولو لم تكوني بنت أكرم والد — لكان أباك الضخم كونك لي أما
لئن لذ يوم الشامتين بيومها — لقد ولدت مني لأنفهم رغما
تغرب لا مستعظما غير نفسه — ولا قابلا إلا لخالقه حكما
ولا سالكا إلا فؤاد عجاجة — ولا واجدا إلا لمكرمة طعما
يقولون لي ما أنت في كل بلدة — وما تبتغي ما أبتغي جل أن يسمى
كأن بنيهم عالمون بأنني — جلوب إليهم من معادنه اليتما
وما الجمع بين الماء والنار في يدي — بأصعب من أن أجمع الجد والفهما
ولكنني مستنصر بذبابه — ومرتكب في كل حال به الغشما
وجاعله يوم اللقاء تحيتي — وإلا فلست السيد البطل القرما
إذا فل عزمي عن مدى خوف بعده — فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما
وإني لمن قوم كأن نفوسهم — بها أنف أن تسكن اللحم والعظما
كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهبي — ويا نفس زيدي في كرائهها قدما
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني — ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

واستكثر قوم ما قاله في آخر هذه المرثية وبلغه ذلك فقال

يستكثرون أبياتا نأمت بها … لا تحسدن على أن ينئم الأسدا
لو أن ثم قلوبا يعقلون بها … أنساهم الذعر مما تحتها الحسدا

وقال يمدح أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسن الانطاكي

لك يا منازل في القلوب منازل … أقفرت أنت وهن منك أواهل
يعلمن ذاك وما علمت وإنما … أولاكما يبكى عليه العاقل
وأنا الذي اجتلب المنية طرفه … فمن المطالب والقتيل القاتل
تخلو الديار من الظباء وعنده … من كل تابعة خيال خاذل
اللاء أفتكها الجبان بمهجتي … وأحبها قربا إلى الباخل
الراميات لنا وهن نوافر … والخاتلات لنا وهن غوافل
كافأننا عن شبههن من المها … فلهن في غير التراب حبائل
من طاعني ثغر الرجال جآذر … ومن الرماح دمالج وخلاخل
ولذا اسم أغطية العيون جفونها … من أنها عمل السيوف عوامل
كم وقفة سجرتك شوقا بعدما … غري الرقيب بنا ولج العاذل
دون التعانق ناحلين كشكلتي … نصب أدقهما وضم الشاكل
انعم ولذ فللأمور أواخر … أبدا إذا كانت لهن أوائل
ما دمت من أرب الحسان فإنما … روق الشباب عليك ظل زائل
للهو آونة تمر كأنها … قبل يزودها حبيب راحل
جمح الزمان فما لذيذ خالص … مما يشوب ولا سرور كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله … رؤيته المنى وهي المقام الهائل
ممطورة طرقي إليه ودونها … من جوده في كل فج وابل
محجوبة بسرادق من هيبة … تثني الأزمة والمطي ذوامل
للشمس فيه وللرياح وللسحاب … وللبحار وللأسود شمائل
ولديه ملعقيان والأدب المفا … د وملحياة وملممات مناهل
لو لم يهب لجب الوفود حواله … لسرى إليه قطا الفلاة الناهل
يدري بما بك قبل تظهره له … من ذهنه ويجيب قبل تسائل
وتراه معترضا لها ومولياً … أحداقنا وتحار حين تقابل
كلماته قضب وهن فواصل … كل الضرائب تحتهن مفاصل
هزمت مكارمه المكارم كلها … حتى كأن المكرمات قبائل
وقتلن دفرا والدهيم فما ترى … أم الدهيم وأم دفر هابل
علامة العلماء واللج الذي … لا ينتهي ولكل لج ساحل
لو طاب مولد كل حي مثله … ولد النساء وما لهن قوابل
لو بان بالكرم الجنين بيانه … لدرت به ذكر أم انثى الحامل
ليزد بنو الحسن الشراف تواضعا … هيهات تكتم في الظلام مشاعل
ستروا الندى ستر الغراب سفاده … فبدا وهل يخفى الرباب الهاطل
جفخت وهم لا يجفخون بها بهم … شيم على الحسب الأغر دلائل
متشابهي ورع النفوس كبيرهم … وصغيرهم عف الإزار حلاحل
يا افخر فإن الناس فيك ثلاثة … مستعظم أو حاسد أو جاهل
ولقد علوت فما تبالي بعد ما … عرفوا أيحمد أم يذم القائل
أثني عليك ولو تشاء لقلت لي … قصرت فالإمساك عني نائل
لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا … بيتا ولكني الهزبر الباسل
ما نال أهل الجاهلية كلهم … شعري ولا سمعت بسحري بابل

وإذا أتتك مذمتي من ناقص … فهي الشهادة لي بأني فاضل
من لي بفهم أهيل دهر يدعي … أن يحسب الهندي فيهم باقل
وأما وحقك فهو غاية مقسم … للحق أنت وما سواك الباطل
الطيب أنت إذا أصابك طيبه … والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل
ما دار في الحنك اللسان وقلبت … قلما بأحسن من نثاك أنامل

وقال يمدح أخاه أبا سهل سعيد بن عبد الله بن الحسن الانطاكي

قد علم البين منا البين أجفانا … تدمى وألف في ذا القلب أحزانا
أملت ساعة ساروا كشف معصمها … ليلبث الحي دون السير حيرانا
ولو بدت لأتاهتهم فحجبها … عون عقولهم من لحظها صانا
بالواخدات وحاديها وبي قمر … يظل من وخدها في الخدر حشيانا
أما الثياب فتعرى من محاسنه … إذا نضاها ويكسى الحسن عريانا
يضمه المسك ضم المستهام به … حتى يصير على الأعكان أعكانا
قد كنت أشفق من دمعي على بصري … فاليوم كل عزيز بعدكم هانا
تهدي البوارق أخلاف المياه لكم … وللمحب من التذكار نيرانا
إذا قدمت على الأهوال شيعني … قلب إذا شئت أن يسلاكم خانا
أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني … ولا أعاتبه صفحا وإهوانا
وهكذا كنت في أهلي وفي وطني … إن النفيس غريب حيثما كانا
محسد الفضل مكذوب على أثري … ألقى الكمي ويلقاني إذا حانا
لا أشرئب إلى ما لم يفت طمعا … ولا أبيت على ما فات حسرانا
ولا أسر بما غيري الحميد به … ولو حملت إلي الدهر ملآنا
لا يجذبن ركابي نحوه أحد … ما دمت حيا وما قلقلن كيرانا

لو استطعت ركبت الناس كلهم … إلى سعيد بن عبد الله بعرانا
فالعيس أعقل من قوم رأيتهم … عما يراه من الإحسان عميانا
ذاك الجواد وإن قل الجواد له … ذاك الشجاع وإن لم يرض أقرانا
ذاك المعد الذي تقنو يداه لنا … فلو أصيب بشيء منه عزانا
خف الزمان على أطراف أنمله … حتى توهمن للأزمان أزمانا
يلقى الوغى والقنا والنازلات به … والسيف والضيف رحب الباع جذلانا
تخاله من ذكاء القلب محتميا … ومن تكرمه والبشر نشوانا
وتسحب الحبر القينات رافلة … في جوده وتجر الخيل أرسانا
يعطي المبشر بالقصاد قبلهم … كمن يبشره بالماء عطشانا
جزت بني الحسن الحسنى فإنهم … في قومهم مثلهم في الغر عدنانا
ما شيد الله من مجد لسالفهم … إلا ونحن نراه فيهم الآنا
إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا … في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا
كأن ألسنهم في النطق قد جعلت … على رماحهم في الطعن خرصانا
كأنهم يردون الموت من ظمإ … أو ينشقون من الخطي ريحانا
الكائنين لمن أبغي عداوته … أعدى العدى ولمن آخيت إخوانا
خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا … ظمي الشفاه جعاد الشعر غرانا
وأنفس يلمعيات تحبهم … لها اضطرارا وإن أقصوك شنآنا
الواضحين أبوات وأجبنة … ووالدات وألبابا وأذهانا
يا صائد الجحفل المرهوب جانبه … إن الليوث تصيد الناس أحدانا
وواهبا كل وقت وقت نائله … وإنما يهب الوهاب أحيانا
أنت الذي سبك الأموال مكرمة … ثم اتخذت لها السؤال خزانا

عليك منك إذا أخليت مرتقب … لم تأت في السر ما لم تأت إعلانا
لا استزيدك فيما فيك من كرم … به ورد سخطا على الأيام رضوانا
وأنت أبعدهم ذكرا وأعظمهم … قدرا وأرفعهم في المجد بنيانا
قد شرف الله أرضا أنت ساكنها … وشرف الناس إذ سواك إنسانا

وقال يمدح أبا أيوب بن أحمد بن عمران بن ماهويه

سرب محاسنه حرمت ذواتها … داني الصفات بعيد موصوفاتها
أوفى فكنت إذا رميت بمقلتي … بشرا رأيت أرق من عبراتها
يستاق عيسهم أنيني خلفها … تتوهم الزفرات زجر حداتها
وكأنها شجر بدت لكنها … شجر جنيت الموت من ثمراتها
لا سرت من إبل لو أني فوقها … لمحت حرارة مدمعي سماتها
وحملت ما حملت من هذي المها … وحملت ما حملت من حسراتها
إني على شغفي بما في خمرها … لأعف عما في سراويلاتها
وترى المروة والفتوة والأ … بوة في كل مليحة ضراتها
هن الثلاث المانعاتي لذتي … في خلوتي لا الخوف من تبعاتها
ومطالب فيها الهلاك أتيتها … ثبت الجنان كأنني لم آتها
ومقانب بمقانب غادرتها … أقوات وحش كن من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد كأنما … أيدي بني عمران في جبهاتها
الثابتين فروسة كجلودها … في ظهرها والطعن في لباتها
العارفين بها كما عرفتهم … والراكبين جدودهم أماتها
فكأنها نتجت قياما تحتهم … وكأنهم ولدوا على صهواتها
إن الكرام بلا كرام منهم … مثل القلوب بلا سويداتها

تلك النفوس الغالبات على العلى … والمجد يغلبها على شهواتها
سقيت منابتها التي سقت الورى … بيدي أبي أيوب خير نباتها
ليس التعجب من مواهب ماله … بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجبا له حفظ العنان بأنمل … ما حفظها الأشياء من عاداتها
لو مر يركض في سطور كتابة … أحصى بحافر مهره ميماتها
يضع السنان بحيث شاء مجاولا … حتى من الآذان في أخراتها
تكبو وراءك يا ابن أحمد قرح … ليست قوائمهن من آلاتها
رعد الفوارس منك في أبدانها … أجرى من العسلان في قنواتها
لا خلق أسمح منك إلا عارف … بك راء نفسك لم يقل لك هاتها
غلت الذي حسب العشور بآية … ترتيلك السورات من آياتها
كرم تبين في كلامك ماثلا … ويبين عتق الخيل في أصواتها
أعيا زوالك عن محل نلته … لا تخرج الأقمار من هالاتها
لا يعذل المرض الذي بك شائق … أنت الرجال وشائق علاتها
فإذا نوت سفرا إليك سبقنها … فأضفت قبل مضافها حالاتها
ومنازل الحمى الجسوم فقل لنا … ما عذرها في تركها خيراتها
أعجبتها شرفا فطال وقوفها … لتأمل الأعضاء لا لأذاتها
وبذلت ما عشقته نفسك كله … حتى بذلت لهذه صحاتها
حق الكواكب أن تعودك من علو … وتعودك الآساد من غاباتها
والجن من ستراتها والوحش من … فلواتها والطير من وكناتها
ذكر الأنام لنا فكان قصيدة … كنت البديع الفرد من أبياتها
في الناس أمثلة تدور حياتها … كمماتها ومماتها كحياتها

هبت النكاح حذار نسل مثلها حتى وفرت على النساء بناتها

فاليوم صرت إلى الذي لو أنه ملك البرية لاستقل هباتها

مسترخص نظر إليه بما به نظرت وعثرة رجله بدياتها

وقال يمدح علي بن أحمد بن عامر الانطاكي

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر

وأشجع مني كل يوم سلامتي وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر

تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر

وأقدمت إقدام الأتي كأن لي سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

وتضريب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

وتركك في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص على هبة فالفضل فيمن له الشكر

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

علي لأهل الجور كل طمرة عليها غلام ملء حيزومه غمر

يدير بأطراف الرماح عليهم كؤوس المنايا حيث لا تشتهى الخمر

وكم من جبال جبت تشهد أنني الجبال وبحر شاهد أنني البحر

وخرق مكان العيس منه مكاننا من العيس فيه واسط الكور والظهر

يخدن بنا في جوزه وكأننا على كرة أو أرضه معنا سفر

ويوم وصلناه بليل كأنما على أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما على متنه من دجنه حلل خضر

وغيث ظننا تحته أن عامرا علا لم يمت أو في السحاب له قبر

أو ابن ابنه الباقي علي بن أحمد يجود به لو لم أجز ويدي صفر

وإن سحابا جوده مثل جوده سحاب على كل السحاب له فخر

فتى لا يضم القلب همات قلبه ولو ضمها قلب لما ضمه صدر

ولا ينفع الإمكان لولا سخاؤه وهل نافع لولا الأكف القنا السمر

قران تلاقى الصلت فيه وعامر كما يتلاقى الهندواني والنصر

فجاء به صلت الجبين معظما ترى الناس قلا حوله وهم كثر

مفدى بآباء الرجال سميدعا هو الكرم المد الذي ماله جزر

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكر

واستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

إليك طعنا في مدى كل صفصف بكل وآة كل ما لقيت نحر

إذا ورمت من لسعة مرحت لها كأن نوالا صر في جلدها النبر

فجئناك دون الشمس والبدر في النوى ودونك في أحوالك الشمس والبدر

كأنك برد الماء لا عيش دونه ولو كنت برد الماء لم يكن العشر

دعاني إليك العلم والحلم والحجى وهذا الكلام النظم والنائل النثر

وما قلت من شعر تكاد بيوته إذا كتبت يبيض من نورها الحبر

كأن المعاني في فصاحة لفظها نجوم الثريا أو خلائقك الزهر

وجنبني قرب السلاطين مقتها وما يقتضيني من جماجمها النسر

فإني رأيت الضر أحسن منظرا وأهون من مرأى صغير به كبر

لساني وعيني والفؤاد وهمتي أود اللواتي ذا اسمها منك والشطر

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

وماذا الذي فيه لذي الحسن رونق ... ولكن بدا في وجهه نحوك البشر
واني ولو نلت السماء لعالم ... بانك ما نلت الذي يوجب القدر
ازالت بك الايام عتبي كانما ... بنوها لها ذنب وانت لها عذر

وقال يمدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي وكان يحب الرمي ويتعاطاه وكان له وكيل يتعرض للشعر فمدح ابا الطيب وانفذ اليه فانشده فسار اليه ابو الطيب فتلقاه واجلسه في مرتبته وجلس بين يديه وانشده ابو الطيب فقال

ضروب الناس عشاق ضروبا ... فاعذرهم اشفهم حبيبا
وما سكني سوى قتل الاعادي ... فهل من زورة تشفي القلوبا
تظل الطير منها في حديث ... ترد به الصراصر والنعيبا
وقد لبست دماهم عليهم ... حدادا لم تشق لها جيوبا
ادمنا طعنهم والقتل حتى ... خلطنا في عظامهم الكعوبا
كان خيولنا كانت قديما ... تسقى في قحوفهم الحليبا
فمرت غير نافرة عليهم ... تدوس بنا الجماجم والتريبا
يقدمها وقد خضبت شواها ... فتى ترمي الحروب به الحروبا
شديد الخنزوانة ما يبالي ... اصاب اذا تنمر ام اصيبا
اعزمي طال هذا الليل فانظر ... امنك الصبح يفرق ان يؤوبا
كان الفجر حب مستزار ... يراعي من دجنته رقيبا
كان نجومه حلي عليه ... وقد حذيت قوائمه الجبوبا
كان الجو قاسى ما اقاسي ... فصار سواده فيه شحوبا
كان دجاه يجذبها سهادي ... فليس تغيب الا ان يغيبا
اقلب فيه اجفاني كاني ... اعد بها على الدهر الذنوبا
وما ليل باطول من نهار ... يظل بلحظ حسادي مشوبا
وما موت بابغض من حياة ... ارى لهم معي فيها نصيبا
عرفت نوائب الحدثان حتى ... لو انتسبت لكنت لها نقيبا
ولما قلت الابل امتطينا ... الى ابن ابي سليمان الخطوبا
مطايا لا تذل لمن عليها ... ولا يبغي لها احد ركوبا
وترتع دون نبت الارض فينا ... فما فارقتها الا جديبا
الى ذي شيمة شغفت فؤادي ... فلولاه لقلت بها النسيبا
تنازعني هواها كل نفس ... وان لم تشبه الرشا الربيبا
عجيب في الزمان وما عجيب ... اتى من آل سيار عجيبا
وشيخ في الشباب وليس شيخا ... يسمى كل من بلغ المشيبا
قسا فالاسد تفزع من يديه ... ورق فنحن نفزع ان يذوبا
اشد من الرياح الهوج بطشا ... واسرع في الندى منها هبوبا
وقالوا ذاك ارمى من رأينا ... فقلت رايتم الغرض القريبا
وهل يخطي باسهمه الرمايا ... وما يخطي بما ظن الغيوبا
اذا نكبت كنانته استبنا ... بانصلها لانصلها ندوبا
يصيب ببعضها افواق بعض ... فلولا الكسر لاتصلت قضيبا
بكل مقوم لم يعص امرا ... له حتى ظنناه لبيبا
يريك النزع بين القوس منه ... وبين رمية الهدف اللهيبا
الست ابن الالى سعدوا وسادوا ... ولم يلدوا امرا الا نجيبا
ونالوا ما اشتهوا بالحزم هونا ... وصاد الوحش نملهم دبيبا

وما ربح الرياض لها ولكن ... كساها دفنهم في الترب طيبا
ايا من عاد روح المجد فيه ... وعاد زمانه البالي قشيبا
تيممني وكيلك مادحا لي ... وانشدني من الشعر الغريبا
فآجرك الاله على عليل ... بعثت الى المسيح به طبيبا
ولست بمنكر منك الهدايا ... ولكن زدتني فيها اديبا
فلا زالت ديارك مشرقات ... ولا دانيت يا شمس الغروبا
لاصبح آمنا فيك الرزايا ... كما انا آمن فيك العيوبا

وقال يمدحه ايضا

اقل فعالي بله اكثره مجد ... وذا الجد فيه نلت او لم انل جد
ساطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كانهم من طول ما التثموا مرد
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا ... كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا
وطعن كان الطعن لا طعن عنده ... وضرب كان النار من حره برد
اذا شئت حفت بي على كل سابح ... رجال كان الموت في فمها شهد
اذم الى هذا الزمان اهيله ... فاعلمهم فدم واحزمهم وغد
واكرمهم كلب وابصرهم عم ... واسهدهم فهد واشجعهم قرد
ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى ... عدوا له ما من صداقته بد
بقلبي وان لم ارو منها ملالة ... وبي عن غوانيها وان وصلت صد
خليلاي دون الناس حزن وعبرة ... على فقد من احببت ما لهما فقد
تلج دموعي بالجفون كانما ... جفوني لعيني كل باكية خد
واني لتغنيني عن الماء نغبة ... واصبر عنه مثل ما تصبر الربد
وامضي كما يمضي السنان لطيتي ... واطوى كما تطوى المجلحة العقد
واكبر نفسي عن جزاء بغيبة ... فكل اغتياب جهد من ما له جهد
وارحم اقواما من العي والغبا ... واعذر في بغضي لانهم ضد
ويمنعني ممن سوى ابن محمد ... اياد له عندي يضيق بها عند
توالى بلا وعد ولكن قبلها ... شمائله من غير وعد بها وعد
سرى السيف مما يطبع الهند صاحبي ... الى السيف مما يطبع الله لا الهند
فلما راني مقبلا هز نفسه ... الي حسام كل صفح له حد
فلم ار قبلي من مشى البحر نحوه ... ولا رجلا قامت تعانقه الاسد
كان القسي العاصيات تطيعه ... هوى او بها في غير انمله زهد
يكاد يصيب الشيء من غير رميه ... ويمكنه في سهمه المرسل الرد
وينفذه في العقد وهو مضيق ... من الشعرة السوداء والليل مسود
بنفسي الذي لا يزدهى بخديعة ... وان كثرت فيها الذرائع والقصد
ومن بعده فقر ومن قربه غنى ... ومن عرضه حر ومن ماله عبد
ويصطنع المعروف مبتدئا به ... ويمنعه من كل من ذمه حمد
ويحتقر الحساد عن ذكره لهم ... كانهم في الخلق ما خلقوا بعد
وتامنه الاعدا من غير ذلة ... ولكن على قدر الذي يذنب الحقد
فان يك سيار بن مكرم انقضى ... فانك ماء الورد ان ذهب الورد
مضى وبنوه وانفردت بفضلهم ... والف اذا ما جمعت واحدا فرد
لهم اوجه غر وايد كريمة ... ومعرفة عد والسنة لد
واردية خضر وملك مطاعة ... ومركوزة سمر ومقربة جرد
وما عشت ما ماتوا ولا ابواهم ... تميم بن مر وابن طابخة اد
فبعض الذي يبدو الذي انا ذاكر ... وبعض الذي يخفى على الذي يبدو

الوم به من لامني في وداده … وحق لخير الخلق من خيره الود
كذا فتنحوا عن علي وطرقه … بني اللوم حتى يعبر الملك الجعد
فما في سجاياكم منازعة العلى … ولا في طباع التربة المسك والند

وقال وقد ودع صديقا له ٥

اما الفراق فانه ما اعهد … هو توامي لو ان بيننا يولد
ولقد علمنا اننا سنطيعه … لما علمنا اننا لا نخلد
واذا الجياد ابا البهي نقلننا … عنكم فاردا ما ركبنا الاجود
من خص بالذم الفراق فانني … من لا يرى في الدهر شيئا يحمد

وقال بدمشق يمدح ابا بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب

كفرندي فرند سيفي الجراز … لذة العين عدة للبراز
تحسب الماء خط في لهب النا … ر ادق الخطوط في الاحراز
كلما رمت لونه منع النا … ظر موج كانه منك هاز
ودقيق قذى الهباء انيق … متوال في مستو هزهاز
ورد الماء فالجوانب قدرا … شربت والتي تليها جواز
حملته حمائل الدهر حتى … هي محتاجة الى خراز
وهو لا تلحق الدماء غراريه … ولا عرض منتضيه المخازي
يا مزيل الظلام عني وروضي … يوم شربي ومعقلي في البراز
واليماني الذي لو استطعت كانت … مقلتي غمده من الاعزاز
ان برقي اذا برقت فعالي … وصليلي اذا صللت ارتجازي
ولم احملك معلما هكذا الا … لضرب الرقاب والاجواز
ولقطعي بك الحديد عليها … فكلانا لجنسه اليوم غاز
سله الركض بعد وهن بنجد … فتصدى للغيث اهل الحجاز
وتمنيت مثله فكاني … طالب لابن صالح من يوازي
ليس كل السراة بالروذبا … ري ولا كل ما يطير بباز
فارسي له من المجد تاج … كان من جوهر على ابرواز
نفسه فوق كل اصل شريف … ولو اني له الى الشمس عاز
شغلت قلبه حسان المعالي … عن حسان الوجوه والاعجاز
وكان الفريد والدر واليا … قوت من لفظه وسام الركاز
تقضم الجمر والحديد الاعا … دي دونه قضم سكر الاهواز
بلغته البلاغة الجهد بالعف … و ونال الاسهاب بالايجاز
حامل الحرب والديات عن القو … م وثقل الديون والاعواز
كيف لا يشتكي وكيف تشكوا … وبه لا بمن شكاها المرازي
ايها الواسع الفناء وما فيه … ه مبيت لمالك المجتاز
بك اضحى شبا الاسنة عندي … كشبا اسوق الجراد النوازي
وانثنى عني الرديني حتى … دار دور الحروف في هواز
وبآبائك الكرام التاسي … والتسلي عمن مضى والتعازي
تركوا الارض بعدما ذللوها … ومشت تحتهم بلا مهماز
واطاعتهم الجيوش وهيبوا … فكلام الورى لهم كالنحاز
وهجان على هجان تآتتك … عديد الحبوب في الاقواز
صفها السير في العراء فكانت … فوق مثل الملاء مثل الطراز
وحكى في اللحوم فعلك في الوف … ر فاودى بالعنتريس الكناز
كلما جادت الظنون بوعد … عنك جادت يداك بالانجاز

ملك منشد القريض لديه ... يضع الثوب في يدي بزّاز
ولنا القول وهو أدرى بفحوا ... ه وأهدى فيه إلى الإعجاز
ومن الناس من تجوز عليه ... شعراء كأنها الخازباز
ويرى أنه البصير بهذا ... وهو في العمي ضائع العكّاز
كل شعر نظير قائله منـ ... ـك وعقل المجيز مثل المجاز

وقال أيضاً يهجو علوياً عباسياً

أماتكم من قبل موتكم الجهل ... وجرّكم من خفّة بكم النمل
وليد أبي الطيب الكلب ما لكم ... فطنتم إلى الدعوى وما لكم عقل
ولو ضربتكم منجنيقي وأصلكم ... قوي لهدّتكم فكيف ولا أصل
ولو كنتم ممن يدبّر أمره ... لما كنتم نسل الذي ماله نسل

وقال يمدح الحسين بن علي الهمذاني

لقد حازني وجد بمن حازه بعد ... فيا ليتني بعد ويا ليته وجد
أسرّ بتجديد الهوى ذكر ما مضى ... وإن كان لا يبقى له الحجر الصلد
سهاد أتانا منك في العين عندنا ... رقاد وقلّام رعى سربكم ورد
ممثّلة حتى كأن لم تفارقي ... وحتى كأنّ اليأس من وصلك الوعد
وحتى تكادي تمسحين مدامعي ... ويعبق في ثوبي من ريحك الندّ
إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ... ومن عهدها أن لا يدوم لها عهد
فإن عشقت كانت أشدّ صبابة ... وإن فركت فاذهب فما فركها قصد
وإن حقدت لم يبق في قلبها رضى ... وإن رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك أخلاق النساء وربما ... يضلّ بها الهادي ويخفى بها الرشد
ولكنّ حبّاً خامر القلب في الصبا ... يزيد على مرّ الزمان ويشتدّ

سقى ابن عليّ كلّ مزن سقتكم ... مكافأة يغدو إليها كما تغدو
لتروى كما تروي بلاداً سكنتها ... وينبت فيها فوقك الفخر والمجد
بمن تشخص الأبصار يوم ركوبه ... ويخرق من زحم على الرجل البرد
وتلقي وما تدري البنان سلاحها ... لكثرة إيماء إليه إذا يبدو
ضروب لهام الضاربي الهام في الوغى ... خفيف إذا ما أثقل الفرس اللبد
بصير بأخذ الحمد من كل موضع ... ولو خبأته بين أنيابها الأسد
بتأميله يغنى الفتى قبل نيله ... وبالذعر من قبل المهنّد ينقدّ
وسيفي لأنت السيف لا ما تسلّه ... لضرب ومما السيف منه لك الغمد
ورمحي لأنت الرمح لا ما تبلّه ... نجيعاً ولولا القدح لم يثقب الزند
من القاسمين الشكر بيني وبينهم ... لأنهم يسدى إليهم بأن يسدوا
فشكري لهم شكران شكر على الندى ... وشكر على الشكر الذي وهبوا بعد
صيام بأبواب القباب جيادهم ... وأشخاصها في قلب خائفهم تعدو
وأنفسهم مبذولة لوفودهم ... وأموالهم في دار من لم يفد وفد
كأنّ عطيّات الحسين عساكر ... ففيها العبدّى والمطهّمة الجرد
أرى القمر ابن الشمس قد لبس العلى ... رويدك حتى يلبس الشعر الخدّ
وغال فضول الدرع من جنباتها ... على بدن قدّ القناة له قدّ
وباشر أبكار المكارم أمرداً ... وكان كذا آباؤه وهم مرد
مدحت أباه قبله فشفى يدي ... من العدم من تشفى به الأعين الرمد
حباني بأثمان السوابق دونها ... مخافة سيري إنها للنوى جند
وشهوة عود إنّ جود يمينه ... ثناء ثناء والجواد بها فرد
فلا زلت ألقى الحاسدين بمثلها ... وفي يدهم غيظ وفي يدي الرفد

وعندي قباطي الهمام وماله ... وعندهم مما ظفرت به الجحد
يرومون شأوي في الكلام وانما ... يحاكي الفتى فيما خلا المنطق القرد
فهم في جموع لا يراها ابن داية ... وهم في ضجيج لا يحس به الخلد
ومني استفاد الناس كل غريبة ... فجازوا بترك الذم ان لم يكن حمد
وجدت عليا وابنه خير قومه ... وهم خير قوم واستوى الحر والعبد
واصبح شعري منهما في مكانه ... وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

وكثرت على ابي الطيب مراسلة الامير ابي محمد الحسن بن عبيد الله ابن طغج من الرملة وهي بلده بالشام فسار اليه فلما حل به حمل اليه واكرمه وحدثني ابو عمر عبد العزيز بن الحسن السلمي بحضرة ابي الطيب وقال حدثني محمد بن القسم المعروف بالصوفي قال ارسلني الامير ابو محمد بن عبيد الله بن طغج الى ابي الطيب ومعي مركوب ليركبه فصعدت اليه الى دار كان نزلها فسلمت عليه وعرفته رسالة الامير ابي محمد وانه منتظر له فامتنع علي وقال اعلم انه يطلب شعرا وما قلت شيئا فقلت له ما نفترق فقال فاقعد اذا ثم دخل الى بيت في الحجرة ورد الباب عليه فلبث فيه مقدار كتب القصيدة ثم خرج الي ومعه في يده مكتوبة لم تجف بعد فقلت انشدنيها فامتنع وقال الساعة تسمعها ثم ركب وسرنا فدخل على الامير ابي محمد وعينه ممدودة الى الباب منتظر الورود فسألني عن سبب الابطاء فاخبرته الخبر فسلم عليه ورفعه ارفع مجلس وانشده ابو الطيب فقال

انا لائمي ان كنت وقت اللوائم ... علمت بما بي بين تلك المعالم
ولكنني مما ذهلت متيم ... كسال وقلبي بائح مثل كاتم
وقفنا كأنا كل وجد قلوبنا ... تمكن من اذوادنا في القوائم
ودسنا باخفاف المطي ترابها ... فما زلت استشفي بلثم المناسم
ديار اللواتي دارهن عزيزة ... بطول القنا يحفظن لا بالتمائم
حسان التثني ينقش الوشي مثله ... اذا مسن في اجسادهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله ... كأن التراقي وشحت بالمباسم
فما لي وللدنيا طلابي نجومها ... ومسعاي فيها في شدوق الاراقم
من الحلم ان تستعمل الجهل دونه ... اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
وان ترد الماء الذي شطره دم ... فتسقى اذا لم يسق من لا يزاحم
ومن عرف الايام معرفتي بها ... وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به ... ولا في الردى الجاري عليهم بآثم
اذا صلت لم اترك مصالا لفاتك ... وان قلت لم اترك مقالا لعالم
والا فخانتني القوافي وعاقني ... عن ابن عبيد الله ضعف العزائم
عن المقتني بذل التلاد تلاده ... ومجتنب البخل اجتناب المحارم
تمنى اعاديه محل عفاته ... وتحسد كفيه ثقال الغمائم
ولا يتلقى الحرب الا بمهجة ... معظمة مذخورة للعظائم
وذي لجب لا ذو الجناح امامه ... بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الشمس وهي ضعيفة ... تطالعه من بين ريش القشاعم
اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة ... تدور فوق البيض مثل الدراهم
ويخفى عليك البرق والرعد فوقه ... من اللمع في حافاته والهماهم
ارى دون ما بين الفرات وبرقة ... ضرابا يمشي الخيل فوق الجماجم

وطعنِ غطاريفٍ كأنّ أكفّهم ... عرفن الرُّدينيّات قبل المعاصمِ
حمته على الأعداء من كلّ جانبٍ ... سيوفُ بني طُغجَ بن جُفّ القماقمِ
همُ المحسنون الكرَّ في حومة الوغى ... وأحسنُ منه كرُّهم في المكارمِ
وهم يحسنون العفوَ عن كلّ مذنبٍ ... ويحتملون الغُرمَ عن كلّ غارمِ
حيِيّون إلّا أنّهم في نزالهم ... أقلّ حياءً من شِفار الصوارمِ
ولولا احتقار الأُسد شبّهتها بهم ... ولكنّها معدودةٌ في البهائمِ
سرى النوم عنّي في سُراي إلى الذي ... صنائعُه تسري إلى كلّ نائمِ
إلى مُطلِق الأسرى ومخترِم العدى ... ومُشكي ذوي الشكوى ورَغمِ المراغمِ
كريمٌ نفضتُ الناس لمّا بلغتُه ... كأنّهمُ ما جفّ من زاد قادمِ
وكاد سروري لا يفي بندامتي ... على تركه في عمريَ المتقادمِ
وفارقتُ شرَّ الأرض أهلاً وتربةً ... بها علويٌّ جدُّه غيرُ هاشمِ
بلا الله حُسّادَ الأمير بحلمه ... وأجلسه منهم مكانَ العمائمِ
فإنّ لهم في سرعة الموت راحةً ... وإنّ لهم في العيش حزَّ الغلاصمِ
كأنّك ما جاودتَ من بان جوده ... عليك ولا قاتلتَ من لم تقاومِ

وسأله أبو محمد الشرب فامتنع فقال له بحقّي إلّا شربتَ فقال أبو الطيّب ٥

سقاني الخمرَ قولُك لي بحقّي ... ووُدٌّ لم تَشُبه لي بمَذقِ
يمينًا لو حلفتَ وأنت ناءٍ ... على قتلي بها لضربتُ عنقي

ثمّ أخذ الكأس وقال

حُيِّيتَ من قسمٍ وأفدي المُقسِما ... أمسى الأنامُ له مُجِلًّا مُعظِما
وإذا طُلبتُ رضى الأمير بشُربها ... وأخذتُها فلقد تركتُ الأحرما

وغنّى المغنّي بحضرة أبي محمد وأبو[الطيب] حاضر فقال ٥

ماذا يقول الذي يغنّي ... يا خيرَ من تحت ذي السماءِ
شغلتَ قلبي بلحظ عيني ... إليك عن حسن ذا الغناءِ

وعرض عليه سيفًا فأشار به إلى بعض من حضر وقال

أرى مرهفًا مُدهِشَ الصيقلَيـ ... ـنِ وبابةَ كلّ غلامٍ عتا
أتأذن لي ولك السابقا ... تُ أجرّبه لك في ذا الفتى

وأراد الانصراف فقال

يقاتلني عليك الليلُ جدًّا ... ومنصرفي له أمضى السلاحِ
لأنّي كلّما فارقتُ طرفي ... بعيدٌ بين جفني والصباحِ

وسايره وهو لا يدري أين يريد فلمّا دخلا كفر زنس قال

وزيارةٍ عن غير موعدْ ... كالغُمض في الجفن المسهَّدْ
معجت بنا فيها الجيا ... دُ مع الأمير أبي محمّدْ
حتّى دخلنا جنّةً ... لو أنّ ساكنها مخلّدْ
خضراءَ حمراءَ الترا ... بِ كأنّها في خدّ أغيدْ
أحببتُ تشبيهًا لها ... فوجدتُه ما ليس يوجدْ
وإذا رجعتُ إلى الحقا ... ئقِ فهي واحدةٌ لأوحدْ

وقال أيضًا يمدحه

ووقتٍ وفى بالدهر لي عند واحدٍ ... وفى لي بأهليه وزاد كثيرا
شربتُ على استحسان ضوء جبينه ... وزهرٍ ترى للماء فيه خريرا
غدا الناسُ مثليهم به لا عدمتُه ... وأصبح دهري في ذراه دهورا

وذكر أبو محمد نزول كلّ واحد من المجلسين عن الآخر ليرى من كلّ وا[حد]

منهما ما لا يرى من صاحبه فقال ٥

المجلسان على التمييز بينهما … مقابلان ولكن أحسنا الأدبا
إذا صعدت إلى ذا مال ذا رهبا … وإن صعدت إلى ذا مال ذا رغبا
فلم يهابك ما لا حس يردعه … إني لأبصر من فعليهما عجبا

وقال أيضا وقد أقبل الليل وكان أبو محمد يشرب وهو عنده

زال النهار ونور منك يوهمنا … أن لم يزل ولجنح الليل إجنان
فإن يكن طلب البستان يمسكنا … فرح فكل مكان منك بستان

فلما استقل في القبة نظر إلى السحاب فقال

تعرض لي السحاب وقد قفلنا … فقلت إليك إن معي السحابا
فشم في القبة الملك المرجى … فأمسك بعد ما عزم انسكابا

وكره الشرب فلما كثر البخور وارتفعت رائحة الند قال

أنشر الكباء ووجه الأمير … وحسن الغناء وصافي الخمور
فداو خماري بشربي لها … فإني سكرت بشرب السرور

وقال وقد عرض عليه بعض الحاضرين مسكا وكان علويا ومحمد حاضر

الطيب مما غنيت عنه … كفى بقرب الأمير طيبا
يبني به ربنا المعالي … كما بكم يغفر الذنوبا

فجعل الأمير يضربه بكمه ويقول سوقا إلى أبي الطيب فقال

يا أكرم الناس في الفعال … وأفصح الناس في المقال
إن قلت في ذا البخور سوقا … فهكذا قلت في النوال

وتحدث أبو محمد عن مسيره في الليل لكبس بادية وأن المطر
أصابهم فقال أبو الطيب ٥

غير مستنكر لك الإقدام … فلمن ذا الحديث والإعلام
قد علمنا من قبل أنك من لا … يمنع الليل همه والغمام

ثم قال أيضا

قد بلغت الذي أردت من البـ … ـر ومن حق ذا الشريف عليكا
وإذا لم تسر إلى الدار في وقـ … ـتك ذا خفت أن تسير إليكا

وهم بالانصراف من مجلسه فقال له

يا من رأيت الحليم وغدا … به وحر الملوك عبدا
مال على الشراب جدا … وأنت للمكرمات أهدى
فإن تفضلت بانصرافي … عددته من لدنك رفدا

وذكر أبو محمد أن أباه استخفى مرة فعرفه يهودي فدل عليه
فقال مجيبا له

لا تلومن اليهودي على أ … ن يرى الشمس فلا ينكرها
إنما اللوم على حاسبها … ظلمة من بعد ما يبصرها

وسئل عما ارتجل من الشعر بديها فأعاده فتعجب قوم
من حفظه إياه فقال

إنما أحفظ المديح بعيني … لا بقلبي لما أرى في الأمير
من خصال إذا نظرت إليها … نظمت لي غرائب المنثور

وجرى حديث وقعة ابن أبي الساج مع أبي الطاهر القرمطي صاحب
الأحساء فذكر أبو الطيب ما كان فيهما من القتل فاستهول بعض
الجلساء ذلك وجزع منه فقال أبو الطيب بديها لأبي محمد

أباعث كل مكرمة طموح ٥ وفارس كل سلهبة سبوح

وطاعن كل نجلاء غموس   وعاصي كل عذال نصيح
سقاني الله قبل الموت يوما   دم الاعداء من جوف الجروح
الم تر ذا الحديث اعاد هذا   من الجزع الدخيل بغير روح

واطلق ابو محمد الباشق على سماناة فاخذها فقال

امن كل شيء بلغت المرادا   وفي كل شأو شأوت العبادا
فماذا تركت لمن لم يسد   وما تركت لمن كان سادا
كأن السمانى اذا ما رأتك   تصيدها تشتهي ان تصادا

واجتاز ابو محمد ببعض الجبال فاثار الغلمان خشفا فالتقفته الكلاب فقال ابو الطيب ارتجالا ٥

وشامخ من الجبال اقود   فرد كيافوخ البعير الاصيد
يسار من مضيقه والجلمد   في مثل متن المسد المعقد
زرناه للامر الذي لم يعهد   للصيد والنزهة والتمرد
بكل مسقي الدماء اسود   معاود مقود مقلد
بكل ناب ذرب محدد   على حفافي حنك كالمبرد
كطالب الثار وان لم يحقد   يقتل ما يقتله ولا يدي
ينشد من ذا الخشف ما لم يفقد   فثار من اخضر ممطور ندي
كأنه بدء عذار الامرد   فلم يكد الا لحتف يهتدي
ولم يقع الا على بطن يد   ولم يدع للشاعر المجود
وصفا له عند الامير الامجد   الملك القرم ابي محمد
القابض الابطال بالمهند   ذي النعم الغر البوادي العود
اذا اردت عدها لم احدد   وان ذكرت فضله لم ينفد

وقال بديها وقد استحسن عين باز في مجلسه ٥

ايا ما احيسنها مقلة   ولولا الملاحة لم اعجب
خلوقية في خلوقيها   سويداء من عنب الثعلب
اذا نظر الباز في عطفه   كسته شعاعا على المنكب

فلما نزل ابو الطيب الرملة بعد مفارقة سيف الدولة سنة ست واربعين وثلثمائة يريد مصر دعاه ابو محمد فاكل معه وشرب وخلع عليه وحمله على فرس جواد بسرج ولجام محليين حلية ثقيلة وقلده سيفا محلى وعاتبه على تركه مدحه فقال

ترك مدحيك كالهجاء لنفسي   وقليل لك المديح الكثير
غير اني تركت مقتضب الشعـ   ـر لامر مثلي به معذور
وسجاياك مادحاتك لا لفـ   ـظي وجود على كلامي يغير
فسقى الله من احب بكفيـ   ـك واسقاك ايهذا الامير

وقال يودعه ارتجالا

ماذا الوداع وداع الوامق الكمد   هذا الوداع وداع الروح للجسد
اذا السحاب زفته الريح مرتفعا   فلا عدا الرملة البيضاء من بلد
ويا فراق الامير الرحب منزله   ان انت فارقتنا يوما فلا تعد

وحدثني ابو عمر عبد العزيز بن الحسن السلمي بحضرة ابي الطيب قال سالت محمد بن القسم طاهر بن الحسين العلوي بن محمد المعروف بالصوفي كيف كان سبب امتداح ابي الطيب لابي القسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي فحدثني ان الامير ابا محمد بن عبيد الله لم يزل يسال ابا الطيب في كل ليلة من شهر

رمضان اذا اجتمعنا عنده للافطار ان يخص ابا القسم طاهرا
بقصيدة من شعره يمدحه بها وذكر انه اشتهى ذلك عليه ولم يزل
ابو الطيب يمتنع ويقول ما قصدت غير الامير وما امتدح احدا سواه
فقال له الامير ابو محمد قد كنت عزمت ان اسالك في قصيدة
اخرى تعملها في فاجعلها في ابي القسم وضمن له عنه ميات دنانير
فاجابه الى ذلك قال محمد بن القسم الصوفي فمضيت انا والمطلبي
برسالته الى طاهر لوعد ابي الطيب فركب معنا ابو الطيب حتى دخلنا
على طاهر وعنده جماعة من اهل بيته واشراف وكتاب فلما اقبل
ابو الطيب نزل ابو القسم طاهر عن سريره وتلقاه بعيدا من مكانه
مسلما عليه ثم اخذ بيده واجلسه في المرتبة التي كان فيها جالسا
وجلس بين يديه فتحدث معه طويلا ثم انشده فخلع عليه للوقت
خلعا نفيسة قال عبد العزيز وحدثني ابو علي بن القسم
الكاتب قال كنت حاضرا لهذا المجلس وهو كما حدثك به محمد الصوفي
ثم قال لي اعلم اني ما رايت ولا سمعت في خبر ان شاعرا اجلس
الممدوح بين يديه مستمعا لمدحه غير ابي الطيب فاني رايت
طاهرا قد تلقاه ثم اجلسه مجلسه وجلس بين يديه وانشده ابو الطيب

أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب ... وردوا رقادي فهو لحظ الحبائب
فإن نهاري ليلة مدلهمة ... على مقلة من فقدكم في غياهب
بعيدة ما بين الجفون كأنما ... عقدتم أعالي كل هدب بحاجب
وأحسب أني لو هويت فراقكم ... لفارقته والدهر أخبث صاحب
فيا ليت ما بيني وبين أحبتي ... من البعد ما بيني وبين المصائب

أراك ظننت السلك جسمي فعقته ... عليك بدر عن لقاء الترائب
ولو قلم ألقيت في شق رأسه ... من السقم ما غيرت من خط كاتب
تخوفني دون الذي أمرت به ... ولم تدر أن العار شر العواقب
ولا بد من يوم أغر محجل ... يطول استماعي بعده للنوادب
يهون على مثلي إذا رام حاجة ... وقوع العوالي دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها ... يزول وباقي عيشه مثل ذاهب
إليك فإني لست ممن إذا اتقى ... عضاض الأفاعي نام فوق العقارب
أتاني وعيد الأدعياء وإنهم ... أعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم ... فهل في وحدي قولهم غير كاذب
إلي لعمري قصد كل عجيبة ... كأني عجيب في عيون العجائب
بأي بلاد لم أجر ذوائبي ... وأي مكان لم تطأه ركائبي
كأن رحيلي كان من كف طاهر ... فأثبت كوري في ظهور المواهب
فلم يبق خلق لم يردن فناءه ... ومن له شرب ورود المشارب
فتى علمته نفسه وجدوده ... قراع الأعادي وابتذال الرغائب
فقد غيب الشهاد عن كل موطن ... ورد إلى أوطانه كل غائب
كذا الفاطميون الندى في بنانهم ... أعز امحاء من خطوط الرواجب
أناس إذا لاقوا عدى فكأنما ... سلاح الذي لاقوا غبار السلاهب
رموا بنواصيها القسي فجئنها ... دوامي الهوادي سالمات الجوانب
أولئك أحلى من حياة معادة ... وأكثر ذكرا من دهور الشبائب
نصرت عليا يابنه ببواتر ... من الفعل لا فل لها في مضارب
وأبهر آيات التهامي أنه ... أبوك وإحدى ما لكم من مناقب

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله		فماذا الذي تغني كرام المناصب
وما قربت أشباه قوم أباعد		ولا بعدت أشباه قوم أقارب
إذا علوي لم يكن مثل طاهر		فما هو إلا حجة للنواصب
يقولون تأثير الكواكب في الورى		فما باله تأثيره في الكواكب
علا كتد الدنيا إلى كل غاية		تسير به سير الذلول براكب
وحق له أن يسبق الناس جالسا		ويدرك ما لم يدركوا غير طالب
ويحذى عرانين الملوك وإنها		لمن قدميه في أجل المراتب
يد للزمان الجمع بيني وبينه		لتفريقه بيني وبين النوائب
هو ابن رسول الله وابن وصيه		وشبههما شبهت بين التجارب
يرى أن ما ما بان منك لضارب		بأقتل مما بان منك لعائب
ألا أيها المال الذي قد أباده		تعز فهذا فعله بالكتائب
لعلك في وقت شغلت فؤاده		عن الجود أو كثرت جيش محارب
حملت إليه من لساني حديقة		سقاها الحجى سقي الرياض السحائب
فحييت خير ابن لخير بني أب		لأشرف بيت من لؤي بن غالب

وكانت لأبي الطيب حجر تسمى الجهامة ولها مهر يسمى الطخرور فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر الرعي على المهر فقال أبو الطيب يصف تأخر الكلاء عنه

ما للمروج الخضر والحدائق		يشكو خلاها كثرة العوائق
أقام فيها الثلج كالمرافق		يعقد فوق السن ريق الباصق
ثم مضى لا عاد من مفارق		بقائد من ذوبه وسائق
كأنما الطخرور باغي آبق		يأكل من نبت قصير لاصق
كقشرك الحبر من المهارق		أروده منه بكالشوذانق
بمطلق اليمنى طويل الفائق		عبل الشوى مقارب المرافق
رخو اللبان نائه الطرائق		ذي منخر رحب وإطل لاحق
محجل نهد كميت زاهق		شادخة غرته كالشارق
كأنها من لونه في بارق		باق على البوغاء والشقائق
والأبردين والهجير الماحق		للفارس الراكض منه الواثق
خوف الجبان في فؤاد العاشق		كأنه في ريد طود شاهق
يشأى إلى المسمع صوت الناطق		لو سابق الشمس من المشارق
جاء إلى الغرب مجيء السابق		يترك في حجارة الأبارق
آثار قلع الحلي في المناطق		مشيا وإن يعد فكالخنادق
لو أوردت غب سحاب صادق		لأحسبت خوامس الأيانق
إذا اللجام جاءه لطارق		شحا له شحو الغراب الناعق
كأنما الجلد لعري الناهق		منحدر عن سيتي جلاهق
بذ المذاكي وهو في العقائق		وزاد في الساق على النقانق
وزاد في الوقع على الصواعق		وزاد في الأذن على الخرانق
وزاد في الحذر على العقاعق		يميز الهزل من الحقائق
وينذر الركب بكل سارق		يريك خرقا وهو عين الحاذق
يحك أنى شاء حك الباشق		قوبل من آفقة وآفق
بين عتاق الخيل والعتائق		فعنقه يربي على البواسق
وحلقه يمكن فتر الخانق		أعده للطعن في الفيالق
والضرب في الأوجه والمرافق		والسير في ظل اللواء الخافق

يحملني والنصل ذو السفاسق | يقطر في كمّي الى البنائق
لا ألحظ الدنيا بعيني وامق | ولا أبالي قلة الموافق
أي كبت كل حاسد منافق | أنت لنا وكلنا للخالق

وكبست انطاكية فقتل المهر والحجر فقال

إذا غامرت في شرف مروم | فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير | كطعم الموت في أمر عظيم
ستبكي شجوها فرسي ومهري | صفائح دمعها ماء الجسوم
قربن النار ثم نشأن فيها | كما نشأ العذارى في النعيم
وفارقن الصياقل مخلصات | وأيديها كثيرات الكلوم
يرى الجبناء أن العجز عقل | وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغني | ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً | وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه | على قدر القرائح والعلوم

وسار أبو الطيب من الرملة يريد انطاكية سنة ست وثلثين وثلثمائة فنزل بطرابلس وبها اسحق بن الاعور ابرهيم ابن كيغلغ وكان رجلاً جاهلاً وكان يجالسه ثلثة من بني حيدرة وبين أبي الطيب وبين أبيهم عداوة قديمة فقالوا له ما تحب أن يتجاوزك ولم يمتدحك وإنما يترك مدحك استصغاراً لك وجعلوا يغرونه به فراسله اسحق وسأله أن يمدحه فاحتج أبو الطيب بيمين عليه أنه لا يمتدح أحداً الى مدة حدّها فعاقه عن سفره ينتظر انقضاء تلك المدة فأخذ عليه الطرق وضبطها ومات الثلاثة الذين كانوا يغرونه به في مدة أربعين يوماً فقال أبو الطيب يهجوه وهو بطرابلس قال ولو فارقته قبل قولها لم أقلها آنفة من اللفظ بما فيها قال وأملاها على من يثق به فلما ذاب الثلج وخف عن لبنان خرج كأنه يسير فرسه وسار الى دمشق فاتبعه ابن كيغلغ خيلاً ورجلاً فأعجزهم فظهرت القصيدة وهي ۝

لهوى القلوب سريرة لا تعلم | عرضاً نظرت وخلت أني أسلم
يا أخت معتنق الفوارس في الوغى | لأخوك ثم أرق منك وأرحم
يرنو إليك مع العفاف وعنده | أن المجوس تصيب فيما تحكم
راعتك راعية البياض بعارضي | ولو انها الأولى لراع الأسحم
لو كان يمكنني سفرت عن الصبى | فالشيب من قبل الأوان تلثم
ولقد رأيت الحادثات فلا أرى | يققاً يميت ولا سواداً يعصم
والهم يخترم الجسيم نحافة | ويشيب ناصية الصبي ويهرم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله | وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلق | ينسى الذي يولى وعاف يندم
لا يخدعنك من عدو دمعه | وارحم شبابك من عدو ترحم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى | حتى يراق على جوانبه الدم
يؤذي القليل من اللئام بطبعه | من لا يقل كما يقل ويلؤم
والظلم في خلق النفوس فإن تجد | ذا عفة فلعلة لا يظلم
يحمي ابن كيغلغ الطريق وعرسه | ما بين رجليها الطريق الأعظم

اقم المسالح فوق شفر سكينة … ان المنى بحلقتيها خضرم
وارفق بنفسك ان خلقك ناقص … واستر اباك فان اصلك مظلم
واحذر مناواة الرجال فانما … تقوى على كمر العبيد وتقدم
وغناك مسئلة وطيشك نفخة … ورضاك فيشلة وربك درهم
فى ذكر امك للزناة دلالة … فاحب من ذكرا ابنها من يشتم
ومن البلية عذل من لا يرعوى … عن جهله وخطاب من لا يفهم
يمشى باربعة على اعقابه … تحت العلوج ومن وراء يلجم
وجفونه ما تستقر كانها … مطروفة او فت فيها حصرم
واذا اشار محدثا فكانه … قرد يقهقه او عجوز تلطم
يقلى مفارقة الاكف قذاله … حتى يكاد على يد يتعمم
وتراه اصغر ما تراه ناطقا … ويكون اكذب ما يكون ويقسم
والذل يظهر فى الذليل مودة … واود منه لمن يود الارقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه … ومن الصداقة ما يضر ويولم
ارسلت تسألنى المديح سفاهة … صفرا اضيق منك ماذا ازعم
اترى القيادة فى سواك تكسبا … يا بن الاعير وهى فيك تكرم
فلشد ما جاوزت قدرك صاعدا … ولشد ما قربت عليك الانجم
وارغت ما لابى العشائر خالصا … ان الثنا لمن يزار فينعم
ولمن اقمت على الهوان ببابه … تدنو فيوجا اخدعاك وتنهم
ولمن يهين المال وهو مكرم … ولمن يجر الجيش وهو عرمرم
ولمن اذا التقت الكماة بمازق … فنصيبه منها الكمى المعلم
ولربما اطر القناة بفارس … وثنى فقومها بآخر منهم

والوجه ازهر والفؤاد مشيع … والرمح اسمر والحسام مصمم
افعال من تلد الكرام كريمة … وفعال من تلد الاعاجم اعجم

ولقى بعض الغزاة ابا الطيب وهو بدمشق فعرفه ان ابن كيغلغ لم يزل يذكره فى بلد الروم فقال ٥

اتانى كلام الجاهل ابن كيغلغ … يجوب حزونا بيننا وسهولا
ولو لم يكن بين ابن صفراء حائل … وبينى سوى رمحى لكان طويلا
واسحق مأمون على من اهانه … ولكن تسلى بالبكاء قليلا
ولولا الذى فى وجهه من سماجة … لنمت عليه بكرة واصيلا
وليس جميلا عرضه فيصونه … وليس جميلا ان يكون جميلا
ويكذب ما اذللته بهجائه … لقد كان من قبل الهجاء ذليلا

وبلغ الخبر الى مصر بان غلمان ابن كيغلغ قتلوه بجملة من ساحل الشام فقال ابو الطيب يهجوه ٥

قالوا لنا مات اسحق فقلت لهم … هذا الدواء الذى يشفى من الحمق
ان مات مات بلا فقد ولا اسف … او عاش عاش بلا خلق ولا خلق
منه تعلم عبد شق هامته … خون الصديق ودس الغدر فى الملق
وحلف الف يمين غير صادقة … مطرودة ككعوب الرمح فى نسق
ما زلت اعرفه قردا بلا ذنب … صفرا من البأس مملوا من النزق
كريشة بمهب الريح ساقطة … لا تستقر على حال من القلق
تستغرق الكف فوديه ومنكبه … وتكتسى منه ريح الجورب العرق
فسائلوا قاتليه كيف مات لهم … موتا من الضرب او موتا من الفرق
واين موقع حد السيف من شبح … بغير جسم ولا راس ولا عنق

لولا اللئام وشيء من مشابهه … لكان ألأم طفل لف في خرق
كلام أكثر من تلقى ومنظره … مما يشق على الآذان والحدق

وقال وقد نزل على علي بن عسكر لما سار عن طرابلس وهو يتقلد الحرب ببعلبك فحمل إليه وخلع عليه وأمسكه عنده أياما اغتناما لمشاهدته وأراد أبو الطيب الخروج إلى أبي العشائر إلى انطاكية فقال ٥

روينا يا ابن عسكر الهماما … ولم يترك نداك بنا هياما
وصار أحب ما تهدي إلينا … لغير قلى وداعك والسلاما
ولم نملك تفقدك الموالي … ولم نذمم أياديك الجساما
ولكن الغيوث إذا توالت … بأرض مسافر كره الغماما

العشائريات

وقال يمدح أبا العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن الحرث العدوي بن حمدان ومن أول شعره في بني حمدان ٥

أتراها لكثرة العشاق … تحسب الدمع خلقة في المآقي
كيف ترثي التي ترى كل جفن … رآها غير جفنها غير راقي
أنت منا فتنت نفسك لكنـ … ـك عوفيت من ضنى واشتياق
حلت دون المزار فاليوم لو … زرت لحال النحول دون العناق
إن لحظا أدمته وأدمنا … كان عمدا لنا وحتف اتفاق
لو عدا عنك غير هجرك بعد … لأرار الرسيم مخ المناقي
ولسرنا ولو وصلنا عليها … مثل أنفاسنا على الأرماق
ما بنا من هوى العيون اللواتي … لون أشفارهن لون الحداق
قصرت مدة الليالي المواضي … فأطالت بها الليالي البواقي
كاثرت نائل الأمير من الما … ل بما نولت من الإيراق
ليس إلا أبا العشائر خلق … ساد هذا الأنام باستحقاق
طاعن الطعنة التي تطعن الفيـ … ـلق بالذعر والدم المهراق
ذات فرغ كأنها في حشا المخـ … ـبر عنها من شدة الإطراق
ضارب الهام في الغبار وما ير … هب أن يشرب الذي هو ساق
فوق شقاء للأشق مجال … بين أرساغها وبين الصفاق
ما رآها مكذب الرسل إلا … صدق القول في صفات البراق
همه في ذوي الأسنة لا فيـ … ـها وأطرافها له كالنطاق
ثاقب العقل ثابت الحلم لا … يقدر أمر له على إقلاق
يا بني الحرث بن لقمان لا تعـ … ـدمكم في الوغى متون العتاق
بعثوا الرعب في قلوب الأعادي … فكأن القتال قبل التلاقي
وتكاد الظبى لما عودوها … تنتضي نفسها إلى الأعناق
وإذا أشفق الفوارس من وقـ … ـع القنا أشفقوا من الإشفاق
كل ذمر يزيد في الموت حسنا … كبدور تمامها في المحاق
جاعل درعه منيته إن … لم يكن دونها من العار واق
كرم خشن الجوانب منهم … فهو كالماء في الشفار الرقاق
ومعال إذا ادعاها سواهم … لزمته جناية السراق
يا ابن من كلما بدوت بدا لي … غائب الشخص حاضر الأخلاق
لو تنكرت في المكر لقوم … حلفوا أنك ابنه بالطلاق
كيف يقوى بكفك الزند والآ … فاق فيها كالكف في الآفاق

قَلّ نفعُ الحديدِ فيك فما لا … قاكَ إلّا من سيفُه من نفاقِ

إلفُ هذا الهواءِ أوقعَ في الأنـ … ـفسِ أنّ الحِمامَ مُرُّ المذاقِ

والأسى قبلَ فُرقةِ الرّوحِ عجزٌ … والأسى لا يكونُ بعدَ الفراقِ

كم ثراءٍ فرّجتَ بالرّمحِ عنهُ … كان من بخلِ أهلهِ في وثاقِ

والغنى في يدِ اللّئيمِ قبيحٌ … قدرَ قبحِ الكريمِ في الإملاقِ

ليس قولي في شمسِ فعلِك كالشّـ … ـمسِ ولكن في الشّمسِ كالإشراقِ

شاعرُ المجدِ خِدنُهُ شاعرُ اللّفـ … ـظِ كلانا ربُّ المعاني الدّقاقِ

لم تزل تسمعُ المديحَ ولكنّ … صَهالَ الجيادِ غيرُ النُّهاقِ

ليت لي مثلَ جدِّ ذا الدّهرِ في الأ … دهُرِ أو رزقِه من الأرزاقِ

أنتَ فيه وكان كلُّ زمانٍ … يشتهي بعضَ ذا على الخلّاقِ

ودخل يوماً عليه فوجده على الشّراب وبين يديه بطّيخة من ندٍّ في غشاءٍ من خيزرانٍ على رأسها عنبرٌ وحولها قلادة لؤلؤ فحيّاه بها يعني حيّا أبو العشائر بها وقال له أيّ شيءٍ تشبه هذه يا أبا الطّيّب فقال مجيباً له ٥

وبنيّةٍ من خيزرانٍ ضُمّنت … بطّيخةً نبتت بنارٍ في يدِ

نظمَ الأميرُ لها قلادةَ لؤلؤٍ … كفعالهِ وكلامهِ في المشهدِ

كالكأسِ باشرها المزاجُ فأبرزت … زبداً يدورُ على شرابٍ أسودِ

وقال أيضاً ارتجالاً ٥

وسوداءَ منظومٍ عليها لآلئٌ … لها صورةُ البطّيخِ وهي من النّدِّ

كأنّ بقايا عنبرٍ فوق رأسها … طلوعُ رواعي الشّيبِ في الشّعرِ الجعدِ

وقال أيضاً يصفها ٥

ما أنا والخمرُ وبطّيخةٌ … سوداءُ في قشرٍ من الخيزرانْ

يشغلني عنها وعن غيرها … توطيني النّفسَ ليومِ الطّعانْ

وكلُّ نجلاءَ لها صائكٌ … تخضبُ ما بين يديّ والسّنانْ

وقال أبو العشائر لبعض جلسائه لو أراد أن يقول فيها السّاعة ألف بيتٍ لفعل ذلك فدلّ أبا الطّيّب ذلك على أنّ الرّجل حمله عليه قبل دخوله عليه وكان جيش السّلطان قد كبس أنطاكية وقصد باب أبي العشائر وهو يومئذٍ يلي حربها فلم يجده بها لبكوره إلى الميدان فعاد من الميدان وتفرّق النّاس عنه فلقي أوائل الخيل في السّوق فهزمها من السّوق إلى باب فارس فأصابه سهم في خدّه فأضرّ به وضرب رجلاً منهم على رأسه فقتله وكثر النّاس عليه فرجع حتّى خرج من باب مسلمة وما تبعه أحد ومضى إلى حلب ثمّ إلى الرّقّة وعاد بعد ذلك إلى أنطاكية واتّصل خبر عودته بأبي الطّيّب وهو بالرّملة فصار متوجّهاً إلى طرابلس فلحقه من ابن كيغلغ ما تقدّم ذكره شهوة أن يمتدحه فلم يفعل وهجاه بالقصيدة الميميّة وسار إلى دمشق وتوجّه منها إلى أنطاكية فقال يمدح أبا العشائر ٥

مبيتي من دمشقَ على فراشِ … حشاهُ لي بحرِّ حشايَ حاشِ

لقى ليلٍ كعينِ الظّبيِ لوناً … وهمٍّ كالحُميّا في المُشاشِ

وشوقٍ كالتّوقّدِ في فؤادٍ … كجمرٍ في جوانحَ كالمحاشِ

سقى الدّمَ كلَّ نصلٍ غيرِ نابٍ … وروّى كلَّ رمحٍ غيرِ راشِ

فان الفارس المنعوت خفت / لمنصله الفوارس كالرياش
فقد اضحى ابا الغمرات يكنى / كان ابا العشائر غير فاش
وقد نسي الحسين بما يسمى / ردى الابطال او غيث العطاش
لقوه حاسرا في درع ضرب / دقيق النسج ملتهب الحواشي
كان على الجماجم منه نارا / وايدي القوم اجنحة الفراش
كان جواري المهجات ماء / يعاودها المهند من عطاش
فولوا بين ذي روح مفات / وذي رمق وذي عقل مطاش
ومنعفر لنصل السيف فيه / تواري الضب خاف من احتراش
يدمي بعض ايدي الخيل بعضا / وما بعجاية اثر ارتهاش
ورائعها وحيد لم يرعه / تباعد جيشه والمستجاش
كان تلوي النشاب فيه / تلوي الخوص في سعف العشاش
ونهب نفوس اهل النهب اولى / باهل المجد من نهب القماش
تشارك في الندام اذا نزلنا / بطان لا تشارك في الجحاش
ومن قبل النطاح وقبل ياني / تبين لك النعاج من الكباش
فيا بحر البحور ولا اوري / ويا بدر البدور ولا احاشي
كانك ناظر في كل قلب / فما يخفى عليك محل غاش
اصبر عنك لم تبخل بشيء / ولم تقبل على كلام واش
وكيف وانت في الرؤساء عندي / عتيق الطير ما بين الخشاش
فما خاشيك للتكذيب راج / ولا راجيك للتخييب خاش
تطاعن كل خيل سرت فيها / ولو كانوا النبيط على الجحاش
ارى الناس الظلام وانت نور / واني فيهم لاليك عاش

بليت بهم بلاء الورد يلقى / انوفا هن اولى بالخشاش
عليك اذا هزلت مع الليالي / وحولك حين تسمن في هراش
اتى خبر الامير فقيل كروا / فقلت نعم ولو لحقوا بشاش
يقودهم الى الهيجا لجوج / يسن قتاله والكر ناش
واسرجت الكميت فناقلت بي / على اعقاقها وعلى غشاشي
من المتمردات تذب عنها / برمحي كل طائرة الرشاش
ولو عقرت لبلغني اليه / حديث عنه يحمل كل ماش
اذا ذكرت مواقفه لحاف / وشيك فما ينكس لانتقاش
تزيل مخافة المصبور عنه / وتلهي ذا الفياش عن الفياش
وما وجد اشتياق كاشتياقي / ولا وجد انكماش كانكماشي
فسرت اليك في طلب المعالي / وسار سواي في طلب المعاش

وخرج ابو العشائر ذات يوم يتصيد بالايسون وخرج معه ابو الطيب فارسل بازيا على حجلة فاخذها فقال ارتجالا

وطائرة تتبعها المنايا / على آثارها زجل الجناح
كان الريش منه في سهام / على جسد تجسم من رياح
كان رؤوس اقلام غلاظ / مسحن بريش جؤجؤه الصحاح
فاقعصها بحجن تحت صفر / لها فعل الاسنة والرماح
فقلت لكل حي يوم سوء / وان حرص النفوس على الفلاح

فقال له ابو العشائر متعجبا من سرعة خاطره فقال مجيبا له

اتنكر ما نطقت به بديها / وليس بمنكر سبق الجواد
اراكض معوصات القول قسرا / فاقتلها وغيري في الطراد

فإنّ الفارس المنعوت خفّت … لمنصله الفوارس كالرياش
فقد أضحى أبا الغمرات يُكنى … كأنّ أبا العشائر غير فاش
وقد نُسي الحسين بما يُسمّى … ردى الأبطال أو غيث العطاش
لقوه حاسرا في درع ضرب … دقيق النسج ملتهب الحواشي
كأنّ على الجماجم منه نارا … وأيدي القوم أجنحة الفراش
كأنّ جواري المهجات ماء … يعاودها المهنّد من عطاش
فولّوا بين ذي روح مفات … وذي رمق وذي عقل مطاش
ومنعفر لنصل السيف فيه … تواري الضبّ خاف من احتراش
يُدمّي بعض أيدي الخيل بعضا … وما بعجاية أثر ارتهاش
ورائعها وحيد لم يرعه … تباعد جيشه والمستجاش
كأنّ تلوّي النشّاب فيه … تلوّي الخوص في سعف العشاش
ونهب نفوس أهل النهب أولى … بأهل المجد من نهب القماش
تشارك في الندام إذا نزلنا … بطان لا تشارك في الجحاش
ومن قبل النطاح وقبل يأني … تبين لك النعاج من الكباش
فيا بحر البحور ولا أورّي … ويا بدر البدور ولا أحاشي
كأنّك ناظر في كل قلب … فما يخفى عليك محلّ غاش
أأصبر عنك لم تبخل بشيء … ولم تقبل عليّ كلام واش
وكيف وأنت في الرؤساء عندي … عتيق الطير ما بين الخشاش
فما خاشيك للتكذيب راج … ولا راجيك للتخييب خاش
تطاعن كل خيل سرت فيها … ولو كانوا النبيط على الجحاش
أرى الناس الظلام وأنت نور … وإني فيهم لإليك عاش

بليت بهم بلاء الورد يلقى … أنوفا هنّ أولى بالخشاش
عليك إذا هزلت مع الليالي … وحولك حين تسمن في هراش
أتى خبر الأمير فقيل كرّوا … فقلت نعم ولو لحقوا بشاش
يقودهم إلى الهيجا لجوج … يسنّ قتاله والكرّ ناش
وأسرجت الكميت فناقلت بي … على أعقابها وعلى غشاش
من المتمردات تذبّ عنها … برمحي كل طائرة الرشاش
ولو عقرت لبلّغني إليه … حديث عنه يحمل كل ماش
إذا ذكرت مواقفه لحاف … وشيك فما ينكّس لانتقاش
تزيل مخافة المصبور عنه … وتلهي ذا الفياش عن الفياش
وما وجد اشتياق كاشتياقي … ولا وجد انكماش كانكماشي
فسرت إليك في طلب المعالي … وسار سواي في طلب المعاش

وخرج أبو العشائر ذات يوم يتصيّد بالأنيسون وخرج معه أبو الطيّب فأرسل بازيا على حجلة فأخذها فقال ارتجالا

وطائرة تتبّعها المنايا … على آثارها زجل الجناح
كأنّ الريش منه في سهام … على جسد تجسّم من رياح
كأنّ رؤوس أقلام غلاظا … مُسحن بريش جؤجؤه الصحاح
فأقعصها بحجن تحت صفر … لها فعل الأسنّة والرماح
فقلت لكل حيّ يوم سوء … وإن حرص النفوس على الفلاح

فقال له أبو العشائر متعجبا من سرعة خاطره فقال مجيبا له

أتنكر ما نطقت به بديها … وليس بمنكر سبق الجواد
أراكض معوصات القول قسرا … فأقتلها وغيري في الطراد

ودخل على ابي العشاير يوما فوجد عنده انسانا ينشده شعرا وصف فيه بركة في داره فقال ابو الطيب ارتجالا

لئن كان احسن في وصفها * لقد ترك الحسن في الوصف لك
لانك بحر وان البحار * لتأنف من حال هذي البرك
كانك سيفك لا ما ملكت * يبقى لديك ولا ما ملك
فاكثر من جريها ما وهبت * واكثر من مائها ما سفك
اسأت واحسنت عن قدرة * ودرت على الناس دور الفلك

وقال ايضا يمدحه ويعرض بقوم لحقه منهم الاذى

لا تحسبوا ربعكم ولا طلله * اول حي فراقكم قتله
قد تلفت قبله النفوس بكم * واكثرت في هواكم العذله
خلا وفيه اهل واوحشنا * وفيه صرم مروح ابله
لو سار ذاك الحبيب عن فلك * ما رضي الشمس برجه بدله
احبه والهوى وادوره * وكل حب صبابة وولة
ينصرها الغيث وهي ظامئة * الى سواه وسحبها هطله
واحربا منك يا جدايتها * مقيمة فاعلمي ومرتحله
لو خلط المسك والعبير بها * ولست فيها لخلتها تفله
انا ابن من بعضه يفوق ابا الـ * باحث والنجل بعض من نجله
وانما يذكر الجدود لهم * من نفروه وانفدوا حيله
فخرا لعضب اروح مشتمله * وسمهري اروح معتقله
وليفخر الفخر اذ غدوت به * مرتديا خيره ومنتعله
انا الذي بين الاله به * الاقدار والمرء حيثما جعله
جوهرة تفرح الشراف بها * وغصة لا تسيغها السفله
ان الكذاب الذي اكاد به * اهون عندي من الذي نقله
فلا مبال ولا مداج ولا * وان ولا عاجز ولا تكله
ودارع سفته فخر لقى * في الملتقى والعجاج والعجله
وسامع رعته بقافية * يحار فيها المنقح القوله
وربما يشهد الطعام معي * من لا يساوي الخبز الذي اكله
ويظهر الجهل بي واعرفه * والدر در برغم من جهله
مستحييا من ابي العشاير ان * اسحب في غير ارضه حلله
اسحبها عنده لدى ملك * ثيابه من جليسه وجله
وبيض غلمانه كنائله * اول محمول سيبه الحمله
ما لي لا امدح الحسين ولا * ابذل مثل الود الذي بذله
أأخفت العين عنده خبرا * ام بلغ الكيذبان ما امله
ام ليس ضراب كل جمجمة * منخوة ساعة الوغى زعله
وصاحب الجود ما يفارقه * لو كان للجود منطق عذله
وراكب الهول ما يفتره * لو كان للهول محزم هزله
وفارس الاحمر المكلل في * طيئ المشرع القنا قبله
لما رأت وجهه خيولهم * اقسم بالله لا رأت كفله
فاكبروا فعله واصغره * اكبر من فعله الذي فعله
القاتل الواصل الكميل فلا * بعض جميل عن بعضه شغله
فواهب والرماح تشجره * وطاعن والهبات متصله
وكلما امن البلاد سرى * وكلما خيف منزل نزله

وكلما جاهر العدو ضحى أمكن حتى كأنه ختله
يحتقر البيض واللدان إذا شن عليه الدلاص أو نثله
قد هذبت فهمه الفقاهة لي وهذبت شعري الفصاحة له
فصرت كالسيف حامدا يده ما يحمد السيف كل من حمله

وجلس أبو الطيب مع أبي العشائر ليلة على الشراب فنهض أبو الطيب لينصرف فسأله الجلوس فجلس فخلع عليه ثيابا نفيسة ثم نهض أيضا لينصرف فسأله الجلوس فجلس فأمر له بجارية أو بثمنها تحمل إليه ونهض أيضا فسأله الجلوس فجلس فأمر بقود مهرة كانت له فقال له ابن الطوسي الكاتب لا تبرحن الليلة يا أبا الطيب فقال مجيبا له ۝

أعن إذني تهب الريح رهوا ويسري كلما شئت الغمام
ولكن الغمام له طباع تبجسه بها وكذا الكرام

وأراد أبو العشائر سفرا فقال أبو الطيب عند توديعه إياه ارتجالا

الناس ما لم يروك أشباه والدهر لفظ وأنت معناه
والجود عين وأنت ناظرها والبأس باع وأنت يمناه
أفدي الذي كل مأزق حرج أغبر فرسانه تحاماه
أعلى قناة الحسين أوسطها فيه وأعلى الكمي رجلاه
تنشد أثوابنا مدائحه بألسن ما لهن أفواه
إذا مررنا على الأصم بها أغنته عن مسمعيه عيناه
سبحان من خار للكواكب بالـ بعد ولو نلن كن جدواه
لو كان ضوء الشموس في يده لصاعه جوده وأفناه
يا راحلا كل من يودعه مودع دينه ودنياه
إن كان فيما نراه من كرم فيك مزيد فزادك الله

فقال قوم لأبي العشائر إنه ما كناك وإنما تعرف بكنيتك فقال

قالوا ألم تكنه فقلت لهم ذلك عي إذا وصفناه
لا يتوقى أبو العشائر من لبس معاني الورى بمعناه
أفرس من تسبح الجياد به وليس إلا الحديد أمواه

وأخرج إليه أبو العشائر جوشنا حسنا أراه إياه بميافارقين وأهداه له فقال أبو الطيب ۝

به وبمثله شق الصفوف وزلت عن مباشرها الحتوف
فدعه لقى فإنك من كرام جواشنها الأسنة والسيوف

وضرب لأبي العشائر مضرب بميافارقين على الطريق فكثر سائله وغاشيه فقال له إنسان جعلت مضربك على الطريق فقال أبو العشائر أحب أن يذكر هذا يا أبا الطيب فقال ارتجالا

لام أناس أبا العشائر في جود يديه بالعين والورق
وإنما قيل لم خلقت كذا وخالق الخلق خالق الخلق
قالوا ألم تكفه سماحته حتى بنى بيته على الطرق
فقلت إن الفتى شجاعته تريه في الشح صورة الفرق
بضرب هام الكماة تم له كسب الذي يكسبون بالملق
كن لجة أيها السماح فقد آمنه سيفه من الغرق

وانتسب له بعض من رماه على باب سيف الدولة في الليلة التي نشرحها بعد قوله وأحر قلباه ممن قلبه شبم

إلى أبي العشائر وذكر له أنه هو الذي أمرهم بذلك فقال أبو الطيب

ومنتسب عندي إلى من أحبه … وللنبل حولي من يديه حفيف
فهيج من شوقي وما من مذلة … حننت ولكن الكريم ألوف
وكل وداد لا يدوم على الأذى … دوام ودادي للحسين ضعيف
فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً … فأفعاله اللائي سررن ألوف
ونفسي له نفسي الفداء لنفسه … ولكن بعض المالكين عنيف

تمت الشاميات بحمد الله تعالى وعونه

كتب الشاعر الضبي إلى أبي الطيب المتنبي ٥

أطلت يا أيها الشقي دمك … لا رحم الله روح من رحمك
لو كان هذا الأمير يعجل في … قتلك قبل العشاء ما ظلمك

فأجابه المتنبي بقوله

أيها أتاك الحمام فاخترمك … غير سفيه عليك من شتمك
همك في أمرد تقلب ما … بين دواة لصلبه قلمك
وهمتي في انتضاء ذي شطب … أقد منه بحله آدمك
فاخس كليب واقعد على ذنب … واطل عما بين أليتيك فمك

فكتب إليه ثانياً ٥

قد صح شعرك والنبوة لم تصح … والقول بالصدق المبين يتضح
فالزم مقال الشعر تحظ برتبة … وعن النبوة لا أبا لك فانتزح
تربح دماً قد كنت توجب سفكه … إن الممتع بالحياة لمن ربح

فأجابه المتنبي أيضاً

نار الذرابة من لسانك تنقدح … يعدوا على من النهى ما المزح
بحر لو اغترفت لطامنه موجه … بالأرض والسبع الطباق لما نزح
أمري إلي فإن سمحت بمهجة … كرمت علي فإن مثلي من سمح

وروى عن بعض أصحاب فاتك ابن عم بني ضبة قال آخر ما سمعنا من المتنبي عند محاربتنا إياه قوله ٥

كأن الزمان يغرني بأمانه … فإذا اتني المكروه من جد ثانه
فأنا النذير من الزمان لكل من … يمسي ويصبح واثقاً بزمانه

ومر أبو الطيب في صباه برجلين قتلا جرذاً وأبرزاه يعجبان الناس من كبره فقال لهما ٥

لقد أصبح الجرذ المستغير … أسير المنايا صريع العطب
رماه الكناني والعامري … وتلاه للوجه فعل العرب
كلا الرجلين اتلى قتله … فأيكما غل حر السلب
وأيكما كان من خلفه … فإن به عضة في الذنب

وقال في صباه يهجو الذهبي ٥

لما نسبت فكنت ابناً لغير أب … ثم اختبرت فلم ترجع إلى أدب
سميت بالذهبي اليوم تسمية … مشتقة من ذهاب العقل لا الذهب
ملقب بك ما لقبت ويك به … يا أيها اللقب الملقى على اللقب

ومما قاله في صباه هذه القصيدة وقد شذ تمامها وأولها ٥

سيف الصدود على أعلى مقلده … يفري طلى عاشقيه في تجرده
ما اهتز منه على عضو ليبتره … إلا اتقاه بترس من تجلده
ذم الزمان إليه من أحبته … ما ذم من بدره في حمد أحمده
شمس إذا الشمس لاقته على فرس … تردد النور فيها من تردده

مهالك لم تصحب بها الذئب نفسه … ولا حملت فيها الغراب قوادمه
فصبحت بدرا لا يرى البدر مثله … وخاطبت بحرا لا يرى العبر عائمه
غضبت له لما رأيت صفاته … بلا واصف والشعر تهذي طماطمه
وكنت اذا يممت ارضا بعيدة … سريت فكنت السر والليل كاتمه
لقد سل سيف الدولة المجد معلما … فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه
على عاتق الملك الاغر نجاده … وفي يد جبار السموات قائمه
تحاربه الاعدا وهى عباده … وتدخر الاموال وهى غنائمه
ويستكبرون الدهر والدهر دونه … ويستعظمون الموت والموت خادمه
وان الذى سمى عليا لمنصف … وان الذى سماه سيفا لظالمه
وما كل سيف يقطع الهام حده … وتقطع لزبات الزمان مكارمه

وقال يمدحه وقد عزم على الرحيل عن انطاكية ٥

اين ازمعت ايهذا الهمام … نحن نبت الربى وانت الغمام
نحن من ضايق الزمان له فيـ … ـك وخانته قربك الايام
في سبيل العلى فنالك والسلـ … ـم وهذا المقام والاجذام
ليت انا اذا ارتحلت لك الخيـ … ـل وانا اذا نزلت الخيام
كل يوم لك ارتحال جديد … ومسير للمجد فيه مقام
واذا كانت النفوس كبارا … تعبت في مرادها الاجسام
وكذا تطلع البدور علينا … وكذا تقلق البحور العظام
ولنا عادة الجميل من الصبـ … ـر لو انا سوى نواك نسام
كل عيش ما لم تطبه حمام … كل شمس ما لم تكنها ظلام
ازل الوحشة التى عندنا يا … من به يانس الخميس اللهام
والذى يشهد الوغا ساكن القلـ … ـب كان القتال فيها ذمام
والذى يضرب الكتائب حتى … تتلاقى الفهاق والاقدام
واذا حل ساعة بمكان … فاذاه على الزمان حرام
والذى تنبت البلاد سرور … والذى تمطر السحاب مدام
كلما قيل قد تناهى ارانا … كرما ما اهتدت اليه الكرام
وكفاحا تكع عنه الاعادى … وارتياحا يحار فيه الانام
انما هيبة المومل سيف الدو … لة الملك في القلوب حسام
فكثير من الشجاع التوقى … وكثير من البليغ السلام

وقال ايضا عند مسيره عنها وقد كان المطر اشتد وزاد وكثرت الوحول في الطريق يوم السبت ٥

رويدك ايها الملك الجليل … تان وعده مما تنيل
وجودك بالمقام ولو قليلا … فما فيما تجود به قليل
لاكبت حاسدا وارى عدوا … كانهما وداعك والرحيل
ويهدا ذا السحاب فقد شككنا … اتغلب ام حياه لكم قبيل
وكنت اعيب عذلا في سماح … فها انا في السماح له عذول
وما اخشى نبوك عن طريق … وسيف الدولة الماضى الثقيل
وكل شواة غطريف تمنى … لسيرك ان مفرقها السبيل
ومثل العمق مملوء وماء … مشت بك في مجاريه السيول
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا … فاهون ما يمر به الوحول
ومن امر الحصون فما عصته … اطاعته الحزونة والسهول
اتخفر كل من رمت الليالى … وتنشر كل من دفن الخمول

وندعوك الحسام وهل حسام ... يعيش به من الموت القتيل
وما للسيف الا القطع فعل ... وانت القاطع البرّ الوصول
وانت الفارس القوّال صبرا ... وقد فني التكلم والصهيل
يحيد الرمح عنك وفيه قصد ... ويقصر ان ينال وفيه طول
فلو قدر السنان على لسان ... لقال لك السنان كما اقول
ولو جاز الخلود خلدت فردا ... ولكن ليس للدنيا خليل

وقال يرثي والدة سيف الدولة وقد ورد خبرها الى انطاكية في جمادى الآخرة سنة سبع وثلثين وثلثمائة

نعد المشرفية والعوالي ... وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات ... وما ينجين من خبب الليالي
ومن لم يعشق الدنيا قديما ... ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب ... نصيبك في منامك من خيال
رماني الدهر بالارزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال
وهان فما ابالي بالرزايا ... لاني ما انتفعت بان ابالي
وهذا اول الناعين طرّا ... لاول ميتة في ذا الجلال
كان الموت لم يفجع بنفس ... ولم يخطر لمخلوق ببال
صلوة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال
على المدفون قبل الترب صونا ... وقبل اللحد في كرم الخلال
فان له ببطن الارض شخصا ... جديد ذكرناه وهو بال
اطاب النفس انك متّ موتا ... تمنّته البواقي والخوالي
وزلت ولم ترى يوما كريها ... تسرّ الروح فيه بالزوال
رواق العز فوقك مسبطرّ ... وملك علي ابنك في كمال
سقى مثواك غاد في الغوادي ... نظير نوال كفك في النوال
لساحيه على الاجداث حفش ... كايدي الخيل ابصرت المخالي
اسائل عنك بعدك كل مجد ... وما عهدي بمجد عنك خال
يمرّ بقبرك العافي فيبكي ... ويشغله البكاء عن السؤال
وما اهداك للجدوى عليه ... لو انك تقدرين على فعال
بعيشك هل سلوت فان قلبي ... وان جانبت ارضك غير سال
نزلت على الكراهة في مكان ... بعدت عن النعامى والشمال
تحجّب عنك رائحة الخزامى ... وتمنع منك انداء الطلال
بدار كل ساكنها غريب ... طويل الهجر منبتّ الحبال
حصان مثل ماء المزن فيه ... كتوم السر صادقة المقال
يعللها نطاسي الشكايا ... وواحدها نطاسي المعالي
اذا وصفوا له داء بثغر ... سقاه اسنة الاسل الطوال
وليست كالاناث ولا اللواتي ... تعدّ لها القبور من الحجال
ولا من في جنازتها تجار ... يكون وداعها نفض النعال
مشى الامراء حوليها حفاة ... كان المرو من زف الرئال
وابرزت الخدور مخبّآت ... يضعن النقس امكنة الغوالي
اتتهن المصيبة غافلات ... فدمع الحزن في ايدي الدلال
ولو كان النساء كمن فقدنا ... لفضلت النساء على الرجال
وما التانيث لاسم الشمس عيبا ... ولا التذكير فخر للهلال

وأفجع من فقدنا من وجدنا / قبيل الفقد مفقود المثال
يدفّن بعضنا بعضاً وتمشي / أواخرنا على هام الأوالي
وكم عين مقبّلة النواحي / كحيل بالجنادل والرمال
ومغض كان لا يغضي لخطب / وبال كان يفكر في الهزال
أسيف الدولة استنجد بصبر / وكيف بمثل صبرك للجبال
وأنت تعلّم الناس التعزّي / وخوض الموت في الحرب السجال
وحالات الزمان عليك شتّى / وحالك واحد في كل حال
فلا غيضت بحارك يا جموما / على علل الغرائب والدخال
رأيتك في الذين أرى ملوكا / كأنك مستقيم في محال
فإن تفق الأنام وأنت منهم / فإن المسك بعض دم الغزال

وقال أيضاً يمدحه ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب ابن داود بن حمدان لما أسره الخارجي الذي كان نجم في كلب وكان أبو وائل قد ضمن لهم وهو في الأسر إسارهم خيلاً طلبوها منه منها العروس وابن العروس ومالاً اشترطوه عليه وأقاموا ينتظرون الخيل والمال فصبّحهم الجيش فأبادهم وقتل الخارجي في شعبان سنة سبع وثلثين وثلثمائة

إلام طماعية العاذل / ولا رأي في الحبّ للعاقل
يراد من القلب نسيانكم / وتأبى الطباع على الناقل
وإني لأعشق من عشقكم / نحولي وكلّ امرئ ناحل
ولو زلتم ثم لم أبككم / بكيت على حبّي الزائل
أأنكر خدّي دموعي وقد / جرت منه في مسلك سائل
أأوّل دمع جرى فوقه / وأوّل حزن على راحل
وهبت السلوّ لمن لامني / وبتّ من الشوق في شاغل
كأن الجفون على مقلتي / ثياب شققن على ثاكل
ولو كنت في أسر غير الهوى / ضمنت ضمان أبي وائل
فدى نفسه بضمان النضار / وأعطى صدور القنا الذابل
ومنّاهم الخيل مجنوبة / فجئن بكل فتى باسل
كأن خلاص أبي وائل / معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت / على البعد عندك كالقائل
فلبّيته بك في جحفل / له ضامن وبه كافل
خرجن من النقع في عارض / ومن عرق الركض في وابل
فلما نشفن لقين السياط / بمثل صفا البلد الماحل
شفنّ لخمس إلى من طلبن / قبيل الشفون إلى نازل
فدانت مرافقهن البرى / على ثقة بالدم الغاسل
وما بين كاذتي المستغير / كما بين كاذتي البائل
فلقّين كل ردينيّة / ومصبوحة لبن الشائل
وجيش إمام على ناقة / صحيح الإمامة في الباطل
فأقبلن ينحزن قدّامه / نوافر كالنحل والعاسل
فلما بدون لأصحابه / رأت أسدها آكل الآكل
بضرب يعمّهم جائر / له فيهم قسمة العادل
وطعن يجمّع شذّانهم / كما اجتمعت درّة الحافل
إذا ما نظرت إلى فارس / تحيّر عن مذهب الراجل

فظل تخضب منها اللحى … فتى لا يعيد على الناصل
ولا يستغيث الى ناصر … ولا يتضعضع من خاذل
ولا يزع الطرف عن مقدم … ولا يرجع الطرف عن هائل
اذا طلب التبل لم يشأه … وان كان دينا على ماطل
خذوا ما اتاكم به واع … ذروا فان الغنيمة في العاجل
وان كان اعجبكم عامكم … فعودوا الى حمص في القابل
فان الحسام الخضيب الذي … قتلتم به في يد القاتل
يجود بمثل الذي رمتم … فلم تدركوه على السائل
امام الكتيبة تزهى به … مكان السنان من العامل
واني لاعجب من آمل … قتالا بكم على بازل
اقال له الله لا تلقهم … بماض على فرس حائل
اذا ما ضربت به هامة … براها وغناك في الكاهل
وليس باول ذي همة … دعته لما ليس بالنائل
يشمر للج عن ساقه … ويغمره الموج في الساحل
اما للخلافة من مشفق … على سيف دولتها الفاصل
يقد عداها بلا ضارب … ويسري اليهم بلا حامل
تركت جماجمهم في النقا … وما يتخلصن للناخل
وانبت منهم ربيع السبا … ع فاثنت باحسانك الشامل
وعدت الى حلب ظافرا … كعود الحلي الى العاطل
ومثل الذي دسته حافيا … يؤثر في قدم الناعل
وكم لك من خبر شائع … له شية الابلق الجائل

ويوم شراب بنيه الردى … بغيض الحضور الى الواغل
تفك العناة وتغني العفا … ة وتغفر للمذنب الجاهل
فهنأك النصر معطيكه … وارضاه سعيك في الآجل
فذي الدار اخون من مومس … واخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها … وما يحصلون على طائل

وقال ايضا يمدحه عند مسيره نحو اخيه ناصر الدولة لنصرته لما قصد معز الدولة ابو الحسين احمد بن بويه الديلمي الى الموصل في ذي القعدة سنة سبع وثلثين وثلثمائه ٥

اعلى الممالك ما يبنى على الاسل … والطعن عند محبيهن كالقبل
وما تقر سيوف في ممالكها … حتى تقلقل دهرا قبل في القلل
مثل الامير بغى امرا فقربه … طول الرماح وايدي الخيل والابل
وعزمة بعثتها همة زحل … من تحتها بمكان الترب من زحل
على الفرات اعاصير وفي حلب … توحش لملقى النصر مقتبل
تتلو اسنته الكتب التي نفذت … وتجعل الخيل ابدالا من الرسل
يلقى الملوك فلا يلقى سوى جزر … وما اعدوا فلا يلقى سوى نفل
صان الخليفة بالابطال مهجته … صيانة الذكر الهندي بالخلل
الفاعل الفعل لم يفعل لشدته … والقائل القول لم يترك ولم يقل
والباعث الجيش قد غالت عجاجته … ضوء النهار فصار الظهر كالطفل
الجو اضيق ما لاقاه ساطعها … ومقلة الشمس فيه احير المقل
ينال ابعد منها وهي ناظرة … فما تقابله الا على وجل
قد عرض السيف دون النازلات به … وظاهر الحزم بين النفس والغيل

وو كل الظن بالاسرار فانكشفت | له ضمائر اهل السهل والجبل
هو الشجاع يعد البخل من جبن | هو الجواد يعد الجبن من بخل
يعود من كل فتح غير مفتخر | وقد اغذ اليه غير محتفل
ولا يجير عليه الدهر بغيته | ولا تحصن درع مهجة البطل
اذا خلعت على عرض له حللا | وجدتها منه في ابهى من الحلل
بذي الغباوة من انشادها ضرر | كما تضر رياح الورد بالجعل
لقد رات كل عين منك مالئها | وجربت خير سيف خيرة الدول
فما تكشفك الاعداء عن ملل | من الحروب ولا الآراء عن زلل
وكم رجال بلا ارض لكثرتهم | تركت جمعهم ارضا بلا رجل
ما زال طرفك يجري في دمائهم | حتى مشى بك مشي الشارب الثمل
يا من يسير وحكم الناظرين له | فيما يراه وحكم النفس في الجذل
ان السعادة فيما انت فاعله | وفقت مرتحلا او غير مرتحل
اجر الجياد على ما كنت مجريها | وخذ بنفسك في اخلاقك الاول
ينظرن من مقل ادمى احجتها | قرع الفوارس بالعسالة الذبل
فلا هجمت بها الا على ظفر | ولا وصلت بها الا الى امل

وقال وقد سامه المسير معه في هذا الطريق لما سار لنصرة اخيه ناصر الدولة ٥

سر حل حيث تحله النوار | واراد فيك مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة | حيث اتجهت وديمة مدرار
واراك دهرك ما تحاول في العدى | حتى كأن صروفه انصار
وصدرت اغنم صادر عن مورد | مرفوعة لقدومك الابصار
انت الذي بجح الزمان بذكره | وتزينت بحديثه الاسمار
واذا تنكر فالفناء عقابه | واذا عفا فعطاؤه الاعمار
وله وان وهب الملوك مواهب | در الملوك لدرها اغبار
لله قلبك ما تخاف من الردى | وتخاف ان يدنو اليك العار
وتحيد عن طبع الخلائق كله | ويحيد عنك الجحفل الجرار
يا من يعز على الاعزة جاره | ويذل في سطواته الجبار
كن حيث شئت فما تحول تنوفة | دون اللقاء ولا يشط مزار
وبدون ما انا من ودادك مضمر | ينضى المطي ويقرب المستار
ان الذي خلفت خلفي ضائع | ما لي على قلقي اليه خيار
واذا صحبت فكل ماء مشرب | لولا العيال وكل ارض دار
اذن الامير بان اعود اليهم | صلة تسير بشكرها الاشعار

وقال يرثي ابنة ابا الهيجا عبد الله بن علي بن سيف الدولة وقد توفي بميافارقين في صفر سنة ثمان وثلثين وثلثمائة

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل | وهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي
كأنك ابصرت الذي بي وخفته | اذا عشت فاخترت الحمام على الثكل
تركت خدود الغانيات وفوقها | دموع تذيب الحسن في الاعين النجل
تبل الثرى سودا من المسك وحده | وقد قطرت حمرا على الشعر الجثل
فان تك في قبر فانك في الحشا | وان تك طفلا فالاسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكى على قدر سنه | ولكن على قدر المخيلة والاصل
الست من القوم الذي من رماحهم | نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل
بمولودهم صمت اللسان كغيره | ولكن في اعطافه منطق الفضل

تسليهم علياؤه عن مصابهم | ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
اقل بلائي بالرزايا من القنا | واقدم بين الجحفلين من النبل
عزاءك سيف الدولة المقتدى | به فانك نصل والشدائد للنصل
مقيم من الهيجاء في كل منزل | كانك من كل الصوارم في اهل
ولم ار اعصى منك للحزن عبرة | واثبت عقلا والقلوب بلا عقل
تخون المنايا عهده في سليله | وتنصره بين الفوارس والرجل
ويبقى على مر الحوادث صبره | ويبدو كما يبدو الفرند على الصقل
ومن كان ذا نفس كنفسك حرة | ففيه لها مغن وفيها له مسل
وما الموت الا سارق دق شخصه | يصول بلا كف ويسعى بلا رجل
يرد ابو الشبل الخميس عن ابنه | ويسلمه عند الولادة للنمل
بنفسي وليد عاد من بعد حمله | الى بطن ام لا تطرق بالحمل
بدا وله وعد السحابة بالروى | وصد وفينا غلة البلد المحل
وقد مدت الخيل العتاق عيونها | الى وقت تبديل الركاب من النعل
وريع له جيش العدو وما مشى | وجاشت له الحرب الضروس وما تغلي
ايفطمه التوراب قبل فطامه | وياكله قبل البلوغ الى الاكل
وقبل يرى من جوده ما رايته | ويسمع فيه ما سمعت من العذل
ويلقى كما تلقى من السلم والوغى | ويمسي كما تمسي مليكا بلا مثل
توليه اوساط البلاد رماحه | وتمنعه اطرافهن من العزل
نبكي لموتانا على غير رغبة | تفوت من الدنيا ولا موهب جزل
اذا ما تاملت الزمان وصرفه | تيقنت ان الموت ضرب من القتل
هل الولد المحبوب الا تعلة | وهل خلوة الحسناء الا اذى البعل

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا | فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل
وما تسع الازمان علمي بامرها | وما تحسن الايام تكتب ما املي
وما الدهر اهل ان تؤمل عنده | حيوة وان يشتاق فيه الى النسل

وقال ارتجالا وقد ساله عن صفة فرس ينفذه اليه ٥

موقع الخيل من نداك طفيف | ولو ان الجياد فيها الوف
ومن اللفظ لفظة تجمع الـ | وصف وذاك المطهم المعروف
ما لنا في الندى عليك اختيار | كل ما يمنح الشريف شريف

وقال ايضا وقد خيره بين فرسين دهماء وكميت

اخترت دهماء تين يا مطر | ومن له في الفضائل الخير
وربما قالت العيون وقد | يصدق فيها ويكذب النظر
انت الذي لو يعاب في ملاء | ما عيب الا بانه بشر
وان اعطاءه الصوارم والخيـ | ـل وسمر الرماح والعكر
فاضح اعدائه كانهم | له يقلون كلما كثروا
اعاذك الله من سهامهم | ومخطئ من رميه القدر

وامر سيف الدولة بانفاذ خلع اليه فقال

فعلت بنا فعل السماء بارضه | خلع الامير وحقه لم نقضه
فكان صحة نسجها من لفظه | وكان حسن نقائها من عرضه
واذا وكلت الى كريم رايه | في الجود بان مذيقه من محضه

وقال يمدحه ٥

لا الحلم جاد به ولا بمثاله | لولا ادكار وداعه وزياله
ان المعيد لنا المنام خياله | كانت اعادته خيال خياله

يثنا يداولنا المدام بكفه ... من لبس تخطوا ان نراه بباله
تجني الكواكب من قلائد جيده ... وتنال عين الشمس من خلخاله
بنتم عن العين القريحة فيكم ... وسكنتم وطن الفؤاد الواله
فدنوتم ودنوكم من عنده ... وسخطتم وسماحكم من ماله
اني لابغض طيف من اجبته ... اذ كان يهجرنا زمان وصاله
مثل الصبابة والكآبة والاسى ... فارقته فحدثن عن ترحاله
وقد استقدت من الهوى واذقته ... من عفتي ماذقت من بلباله
ولقد ذخرت لكل ارض ساعة ... تستجفل الضرغام عن اشباله
تلقى الوجوم بها الوجوه وبينها ... ضرب يجول الموت في اجواله
ولقد خبأت من الكلام سلافة ... وسقيت من نادمت من جرياله
واذا تعثرت الجياد بسهله ... برزت غير معثر بجباله
وحكمت في البلد العراء بناعج ... معتاده مجتابه مغتاله
يمشي كما عدت المطي وراءه ... ويزيد وقت جمامها وكلاله
وتراع غير معقلات حوله ... فيفوتها متجفلا بعقاله
فغدا النجاح وراح في اخفافه ... وغدا المراح وراح في ارقاله
وشركت دولة هاشم في سيفها ... وشققت خيس الملك عن رئباله
عن ذا الذي حرم الليوث كماله ... ينسي الفريسة خوفه بجماله
وتواضع الامراء حول سريره ... وترى المحبة وهي من اكاله
ويميت قبل قتاله ويبش قبـ ... ـل نواله وينيل قبل سؤاله
ان الرياح اذا عمدن لناظر ... اغناه مقبلها عن استعجاله
اعطى ومن على الملوك بعفوه ... حتى تساوى الناس في افضاله

واذا غنوا بعطائه عن هزه ... والى فاغنى ان يقولوا واله
فكانما جدواه من اكثاره ... حسد لسائله على اقلاله
غربا النجوم فغرن دون همومه ... وطلعن حين طلعن دون مناله
والله يسعد كل يوم جده ... ويزيد من اعدائه في آله
لو لم تكن تجري على اسيافه ... مهجاتهم لجرت على اقباله
فلمثله جمع العرمرم نفسه ... وبمثله انفصمت عرى اقتاله
لم يتركوا اثرا عليه من الوغى ... الا دماءهم على سرباله
يا ايها القمر المباهي وجهه ... لا تكذبن فلست من اشكاله
واذا طما البحر المحيط فقل له ... دع ذا فانك عاجز عن حاله
وهب الذي ورث الجدود وما رأى ... افعالهم لابن بلا افعاله
حتى اذا فني التراث سوى العلى ... قصد العداة من القنا بطواله
وبارعن لبس العجاج اليهم ... فوق الحديد وجر من اذياله
فكانه قذى النهار بنقعه ... او غض عنه الطرف من اجلاله
الجيش جيشك غير انك جيشه ... في قلبه ويمينه وشماله
ترد الطعان المر عن فرسانه ... وتنازل الابطال عن ابطاله
كل يريد رجاله لحياته ... يا من يريد حياته لرجاله
دون الحلاوة في الزمان مرارة ... لا تختطى الا على اهواله
فلذاك جاوزها علي وحده ... وسعى بمنصله الى آماله

وقال يمدحه وقد اسدى اليه معروفا

انا منك بين فضائل ومكارم ... ومن ارتياحك في غمام دائم
ومن احتقارك كل ما تحبو به ... فيما الاحظه بعيني حالم

إن الخليفة لم يسمك سيفه ... حتى بلاك فكنت عين الصارم
فإذا تتوج كنت درة تاجه ... وإذا تختم كنت فص الخاتم
وإذا انتضاك على العدى في معرك ... هلكوا وضاقت كفه بالقائم
أبدى سخاؤك عجز كل مشمر ... في وصفه وأضاق ذرع الكاتم

وقال يمدحه وقد أنفذ إليه جارية وفرسا دهماء

أيدري الربع أي دم أراقا ... وأي قلوب هذا الركب شاقا
لنا ولأهله أبدا قلوب ... تلاقى في جسوم ما تلاقى
وما عفت الرياح لهم محلا ... عفاه من حدا بهم وساقا
فليت هوى الأحبة كان عدلا ... فحمل كل قلب ما أطاقا
نظرت إليهم والعين سكرى ... فصارت كلها للدمع ماقا
وقد أخذ التمام البدر فيهم ... وأعطاني من السقم المحاقا
وبين الفرع والقدمين نور ... يقود بلا أزمتها النياقا
وطرف إن سقى العشاق كاسا ... بها نقص سقانيها دهاقا
وخصر تثبت الأبصار فيه ... كأن عليه من حدق نطاقا
سلي عن سيرتي فرسي ورمحي ... وسيفي والهملعة الدفاقا
تركنا من وراء العيس نجدا ... ونكبنا السماوة والعراقا
فما زالت ترى والليل داج ... لسيف الدولة الملك ائتلاقا
أدلتها رياح المسك منه ... إذا فتحت مناخرها انتشاقا
أباح الوحش يا وحش الأعادي ... فلم تتعرضين له الرفاقا
ولو تبعت ما طرحت قناه ... لكفك عن رذايانا وعاقا
ولو سرنا إليه في طريق ... من النيران لم نخف احتراقا

إمام للأئمة من قريش ... إلى من يتقون له شقاقا
يكون لهم إذا غضبوا حساما ... وللهيجاء حين تقوم ساقا
فلا تستنكرن له ابتساما ... إذا فهق المكر دما وضاقا
فقد ضمنت له المهج العوالي ... وحمل همه الخيل العتاقا
إذا أنعلن في آثار قوم ... وإن بعدوا جعلنهم طراقا
وإن نقع الصريخ إلى مكان ... نصبن له مؤللة دقاقا
فكان الطعن بينهما جوابا ... وكان اللبث بينهما فواقا
ملاقية نواصيها المنايا ... معاودة فوارسها العناقا
تبيت رماحه فوق الهوادي ... وقد ضرب العجاج لها رواقا
تميد كأن في الأبطال خمرا ... عللن بها اصطباحا واغتباقا
تعجبت المدام وقد حساها ... فلم يسكر وجاد فما أفاقا
أقام الشعر ينتظر العطايا ... فلما فاقت الأمطار فاقا
وزنا قيمة الدهماء منه ... ووفينا القيان به الصداقا
وحاشا لارتياحك أن يباري ... وللكرم الذي لك أن يباقى
ولكنا نداعب منك قرما ... تراجعت القروم له حقاقا
فتى لا تسلب القتلى يداه ... ويسلب عفوه الأسرى الوثاقا
ولم تأت الجميل إلي سهوا ... ولم أظفر به منك استراقا
فأبلغ حاسدي عليك أني ... كبا برق يحاول بي لحاقا
وهل تغني الرسائل في عدو ... إذا ما لم يكن ظبى رقاقا
إذا ما الناس جربهم لبيب ... فإني قد أكلتهم وذاقا
فلم أر ودهم إلا خداعا ... ولم أر دينهم إلا نفاقا

يقصر عن يمينك كل بحر   وعما لم تلقه ما الاقا
ولولا قدرة الخلاق قلنا   اعمدا كان خلقك ام وفاقا
فلا حطت لك الهيجاء سرجا   ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقال يمدحه ويرثي اباوائل بن داود بن حمدان وقد توفي بحمص في جمادى الاولى سنة ثمان وثلثين وثلثمايه

ما سدكت علة بمورود   اكرم من تغلب بن داود
يانف من ميتة الفراش وقد   حل به اصدق المواعيد
ومثله انكر الممات على   غير سروج السوابح القود
بعد عثار القنا بلبته   وضربه ارؤس الصناديد
وخوضه غمر كل مهلكة   للذمر فيها فواد رعديد
فان صبرنا فاننا صبر   وان بكينا فغير مردود
وان جزعنا له فلا عجب   ذا الجزر في البحر غير معهود
اين الهبات التي يفرقها   على الزرافات والمواحيد
سالم اهل الوداد بعدهم   يسلم للحزن لا لتخليد
فما ترجي النفوس من زمن   احمد حاليه غير محمود
ان نيوب الزمان تعرفني   انا الذي طال عجمها عودي
وفي ما قارع الخطوب وما   آنسني بالمصايب السود
ما كنت عنه اذا استغاثك يا   سيف بني هاشم بمغمود
يا اكرم الاكرمين يا ملك الا   ملاك طرا يا اصيد الصيد
قد مات من قبلها فانشره   وقع قنا الخط في اللغاديد
ورميك الليل بالجنود وقد   رميت اجفانهم بتسهيد
فصبحته رعالها شزبا   بين ثبات الى عبابيد
تحمل اغمادها الفداء لهم   فانتقدوا الضرب كالاخاديد
موقعه في فراش هامهم   وريحه في مناخر السيد
افنى الحيوة التي وهبت له   في شرف شاكرا وتسويد
سقيم جسم صحيح مكرمة   منجود كرب غياث منجود
ثم غدا قده الحمام وما   تخلص منه يمين مصفود
لا ينقص الهالكون من عدد   منه علي مضيق البيد
تهب في ظهرها كتائبه   هبوب ارواحها المراويد
اول حرف من اسمه كتبت   سنابك الخيل في الجلاميد
مهما يعز الفتى الامير به   فلا باقدامه ولا الجود
ومن منانا بقاؤه ابدا   حتى يعزى بكل مولود

وقال ايضا وقد ركب سيف الدولة لتشييع عبده اباشجاع يمانك فاتك التركي لما نفذه في المقدمة الى الرقة وهاجت ريح شديده

لا عدم المشيع المشيع   ليت الرياح صنع ما تصنع
بكرن ضرا وبكرت تنفع   وسجسج انت ومن زعزع
وواحد انت ومنا اربع   وانت نبع والملوك خروع

وقال ايضا يخاطب سيف الدولة وهو ساير يريد الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف بالثديين بشاطي الفرات

لعيني كل يوم منك حظ   تحير منه في امر عجاب
حمالة ذا الحسام على حسام   وموقع ذا السحاب على سحاب

وزاد المطر فقال له ارتجالاً ٥

تجف الارض من هذا الرباب   وتخلق ما كساها من ثياب
وما ينفك منك الدهر رطبا   ولا ينفك غيثك في انسكاب
تسايرك السواري والغوادي   مسايرة الاحباء الطراب
تفيد الجود منك فتحتذيه   وتعجز عن خلائقك العذاب

واجمل سيف الدولة ذكره وهو يسايره في طريق آمد فقال

انا بالوشاة اذا ذكرتك اشبه   تأتي الندى ويذاع عنك فتكره
واذا رأيتك دون عرض عارضا   ايقنت ان الله يبغي نصره

وزاد سيف الدولة في وصفه فقال له ٥

رب نجيع بسيف الدولة انسفكا   ورب قافية غاظت به ملكا
من يعرف الشمس لا ينكر مطالعها   او يبصر الخيل لا يستكرم الرمكا
تسر بالمال بعض المال تملكه   ان البلاد وان العالمين لكا

وقال يخاطبه وقد سار يريد آمد وقد توسط جبالا ٥

يؤم ذا السيف آماله   فلا يفعل السيف افعاله
اذا سار في مهمه عمه   وان سار في جبل طاله
وانت بما نلتنا مالك   يثمر من ماله ماله
كأنك ما بيننا ضيغم   يرشح للفرس اشباله

ونزل سيف الدولة آمد وكثر المطر بها ودعا ابا الطيب فدخل عليه وهو يشرب فقال له قال بعض الناس في قولك

لينا انا اذا ارتحلت لك الخيـ   ـل وانا اذا نزلت الخيام

جعل الخيام فوقك وعرض بتجليس له فقال ابو الطيب واراد

بهذا قطع الكلام ٥

لقد نسبوا الخيام الى علاء   ابيت قبوله كل الاباء
وما سلمت فوقك للثريا   ولا سلمت فوقك للسماء
وقد اوحشت ارض الروم حتى   سلبت ربوعها ثوب البهاء
تنفس والعواصم منك عشر   فتعرف طيب ذلك في الهواء

وذكر سيف الدولة لابي العشائر جده واباه فقال ابو الطيب

اغلب الحيزين ما كنت فيه   وولي النماء من تنميه
ذا الذي انت جده وابوه   دنية دون جده وابيه

ومما لا يشك فيه انه من لفظه وكلامه ووجدته في نسخ شتى ولم يسمع منه وترجمته ونزل سيف الدولة آمد ومعه ابو الطيب وكثر المطر والريح ودام وسقطت الخيم فقال ابو الطيب

آمد هل الم بك النهار   قديما ام اثير بك الغبار
اذا ما الارض كانت فيك ماء   فاين بها لغرقاك القرار
تغصبت الشموس بها علينا   وماجت فوق ارؤسنا البحار
حنين البخت ودعها حجيج   كأن تخيمنا لهم جمار
فلا حيا الاله ديار بكر   ولا روى مزارعها القطار
بلاد لا سمين من رعاها   ولا حسن باهليها اليسار
اذا لبس الدروع ليوم حرب   فاحسن ما لبست لها الفرار

واذن المؤذن فوضع سيف الدولة القدح من يده فقال ابو الطيب

الا اذن فما اذكرت ناس   ولا لينت قلبا وهو قاس
ولا شغل الامير عن المعالي   ولا عن حق خالقه بكاس

٧٧

وسأله سيف الدولة بيتاً أحب إجازته وهو

خرجت غداة النفر أعترض الدمى فلم أر أحلى منك في العين والقلب

فقال أبو الطيب

فديناك أهدى الناس سهماً إلى قلب وأقتلهم للدارعين بلا حرب
تفرد بالأحكام في أهله الهوى فأنت جميل الخلف مستحسن الكذب
وإني لممنوع المقاتل في الوغى وإن كنت مبذول المقاتل في الحب
ومن خلقت عيناك بين جفونه أصاب الحدور السهل في المرتقى الصعب

وقال يمدحه بميافارقين وقد نزلها سيف الدولة وأمر الغلمان والجيش أن يركبوا بالسلاح والتجافيف في شوال سنة ثمان وثلثين وثلثمائة

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم
لحب ابن عبد الله أولى فإنه به يبدأ الذكر الجميل ويختم
أطعت الغواني قبل مطمح ناظري إلى منظر يصغرن عنه ويعظم
تعرض سيف الدولة الدهر كله يطبق في أوصاله ويصمم
فجاز له حتى على الشمس حكمه وبان له حتى على البدر ميسم
كأن العدى في أرضهم خلفاؤه فإن شا حازوها وإن شا سلموا
ولا كتب إلا المشرفية عنده ولا رسل إلا الخميس العرمرم
فلم يخل من نصر له من له يد ولم يخل من شكر له من له فم
ولم يخل من أسمائه عود منبر ولم يخل دينار ولم يخل درهم
ضروب وما بين الحسامين ضيق بصير وما بين الشجاعين مظلم
تباري نجوم القذف في كل ليلة نجوم له منهن ورد وأدهم
يطأن من الأبطال من لا حملنه ومن قصد المران ما لا يقوم
فهن مع السيدان في البر عسل وهن مع الحيتان في الماء عوم
وهن مع الغزلان في الواد كمن وهن مع العقبان في النيق حوم
إذا جلب الناس الوشيج فإنه بهن وفي لباتهن يحطم
بغرته في الحرب والسلم والحجى وبذل اللهى والحمد والمجد معلم
يقر له بالفضل من لا يوده ويقضي له بالسعد من لا ينجم
أجار على الأيام حتى ظننته تطالبه بالرد عاد وجرهم
ضلالاً لهذي الريح ماذا تريده وهدياً لهذا السيل ماذا يؤمم
ألم يسئل الوبل الذي رام ثنينا فيخبره عنك الحديد المثلم
ولما تلقاك السحاب بصوبه تلقاه أعلى منه كعباً وأكرم
فباشر وجهاً طالما باشر القنا وبل ثياباً طالما بلها الدم
تلاك وبعض الغيث يتبع بعضه من الشام يتلو الحاذق المتعلم
فزار التي زارت بك الخيل قبرها وجشمه الشوق الذي تتجشم
ولما عرضت الجيش كان بهاؤه على الفارس المرخى الذؤابة منهم
حواليه بحر للتجافيف مائج يسير به طود من الخيل أيهم
تساوت به الأقطار حتى كأنه يجمع أشتات الجبال وينظم
وكل فتى للحرب فوق جبينه من الضرب سطر بالأسنة معجم
يمد يديه في المفاضة ضيغم وعينيه من تحت التريكة أرقم
كأجناسها راياتها وشعارها وما لبسته والسلاح المسمم
وأدبها طول القتال فطرفه يشير إليها من بعيد فتفهم
تجاوبه فعلاً وما تسمع الوحي ويسمعها وحياً وما يتكلم

تجانف عن ذات اليمين كأنها … ترق لميافارقين وترحم
ولو زحمتها بالمناكب زحمة … درت أي سوريها الضعيف المهدم
على كل طاو تحت طاو كأنه … من الدم يسقى أو من اللحم يطعم
لها في الوغى زي الفوارس فوقها … فكل حصان دارع متلثم
وما ذاك بخلا بالنفوس على القنا … ولكن صدم الشر بالشر أحزم
أتحسب بيض الهند أصلك أصلها … وأنك منها ساء ما تتوهم
إذا نحن سميناك خلنا سيوفنا … من التيه في أغمادها تتبسم
ولم نر ملكا قط يدعى بدونه … فيرضى ولكن يجهلون وتحلم
أخذت على الأرواح كل ثنية … من العيش تعطي من تشاء وتحرم
فلا موت إلا من سنانك يتقى … ولا رزق إلا من يمينك يقسم

وقال فيه وقد ضربت لسيف الدولة قبل رحلته خيمة كبيرة بميافارقين وأشاع الناس بأن المقام يتصل وهبت ريح شديدة وسقطت الخيمة وتكلم الناس عند سقوطها فقال أبو الطيب

أينفع في الخيمة العذل … وتشمل من دهرها يشمل
وتعلو الذي زحل تحته … محال لعمرك ما تسأل
فلم لا تلوم الذي لامها … وما فص خاتمه يذبل
تضيق بشخصك أرجاؤها … ويركض في الواحد الجحفل
وتقصر ما كنت في جوفها … ويركز فيها القنا الذبل
وكيف تقوم على راحة … كأن البحار لها أنمل
فليت وقارك فرقته … وحملت أرضك ما تحمل
فصار الأنام به سادة … وسدتهم بالذي يفضل
رأت لون نورك في لونها … كلون الغزالة لا يغسل
فإن لها شرفا باذخا … وإن الخيام بها تخجل
فلا تنكرن لها صرعة … فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناس ما بلغت … لخانتهم حولك الأرجل
ولما أمرت بتطنيبها … أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها … ولكن أشار بما تفعل
وعرف أنك من همه … وأنك في نصره ترفل
فما العاندون وما أثلوا … وما الحاسدون وما قولوا
هم يطلبون فمن أدركوا … وهم يكذبون فمن يقبل
وهم يتمنون ما يشتهون … ومن دونه جدك المقبل
وملمومة زرد ثوبها … ولكنه بالقنا مخمل
يفاجئ جيشا بها حينه … وينذر جيشا بها القسطل
جعلتك بالقلب لي عدة … لأنك باليد لا تجعل
لقد رفع الله من دولة … لها منك يا سيفها منصل
وانطبعت قبلك المرهفا … ت فإنك من قبلها المقصل
وإن جاد قبلك قوم مضوا … فإنك في الكرم الأول
وكيف تقصر عن غاية … وأمك من ليثها مشبل
وقد ولدتك فقال الورى … ألم تكن الشمس لا تنجل
فتبا لدين عبيد النجوم … ومن يدعي أنها تعقل
وقد عرفتك فما بالها … تراك تراها ولا تنزل
ولو بتما عند قدريكما … لبت وأعلاكما الأسفل

أنلت عبادك ما أملوا ... أنالك ربك ما تأمل

وقال وقد ركب سيف الدولة في بلد الروم إلى منزل يعرف بالسنبوس في جمادى الأولى من سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وقد صف الجيش يريد سمندو وبه وكان أبو الطيب متقدماً فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف يدير رمحاً بيده فعرفه فرد الفرس إليه فسايره وأنشده

لهذا اليوم بعد غد أريج ... ونار في العدو لها أجيج
تبيت بها الحواصن آمنات ... وتسلم في مسالكها الحجيج
فلا زالت عداتك حيث كانت ... فرائس أيها الأسد المهيج
عرفتك والصفوف معبّآت ... وأنت بغير سيفك لا تعيج
ووجه البحر يعرف من بعيد ... إذا يسجو فكيف إذا يموج
بأرض تهلك الأشواط فيها ... إذا ملئت من الركض الفروج
تحاول نفس ملك الروم فيها ... فتفديه رعيته العلوج
أبالغمرات توعدنا النصارى ... ونحن نجومها وهي البروج
وفينا السيف حملته صدوق ... إذا لاقى وغارته لجوج
نعوّذه من الأعيان بأساً ... ويكثر بالدعاء له الضجيج
رضينا والدمستق غير راض ... بما حكم القواضب والوشيج
فإن يقدم فقد زرنا سمندو ... وإن يحجم فموعدنا الخليج

واجتاز سيف الدولة في هذه الغزاة بسمندو وعبر آلس وهو نهر عظيم ونزل على صارخة وخرشنة فأحرق ربضهما وكنائسهما وأكثر القتل وأقام بمكانه أياماً ثم رحل غانماً حتى عبر آلس راجعاً فلما أمسى ترك السواد وأكثر الجيش وسرى حتى جاز خرشنة وانتهى إلى بطن اللقان في غد ظهراً فلقي الدمستق به وكان الدمستق في ألوف من الخيل فلما نظر إلى أوائل خيل المسلمين ظنها سرية فثبت لها وقاتل أول الناس حتى هزمهم وأشرف عليه سيف الدولة فانهزم وقتل من فرسانه خلق وأسر من بطارقته وزراريه ووجوه رجاله نيف على ثمانين وأفلت الدمستق وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده فقفل غانماً فلما وصل إلى عقبة تعرف بمقطعة الأثفار صافه العدو على رأسها وأخذ سيف الدولة ساقة الناس يحميهم فلما انحدر بعد عبور الناس ركبها الأعداء فجرح من الفرسان جماعة ونزل سيف الدولة على بردا وهو نهر عظيم وضبط العدو عقبة السير وهي عقبة صعبة طويلة فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها فعدل متياسراً في طريق وصفه له بعض الأدلة وأخذ ساقة الناس يحميهم وكانت الإبل كثيرة متثقلة معيية وجاء العدو آخر النهار من خلفه فقاتله إلى العشاء وأقبل الليل وتسلل أصحاب سيف الدولة يطلبون سوادهم فلما رأى ذلك وبقي وحده في نفر يسير سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة قريبة من حصن الحدث فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين ومن نجا من العقبة نهاراً لم يرجع ومن بقي تحتها لم تكن له نصرة وتخاذل

وتخاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة والمأسورين من الزراورة وكل من كان في السلاسل وكان فيها مئات وانصرف سيف الدولة آخر النهار واجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين بعضهم نيام بين القتلى من التعب وبعضهم يتحركون ثم فيجهزون على من تحرك منهم ورجع سيف الدولة إلى حلب فقال أبو الطيب يصف حال سيف الدولة بعد القفول وما عامل به أهل الروم وأنشدها لسيف الدولة في جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ٥

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع ... إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا
أهل الحفيظة إلا أن تجربهم ... وفي التجارب بعد الغي ما يزع
وما الحياة ونفسي بعد ما علمت ... أن الحياة كما لا تشتهي طبع
ليس الجمال لوجه صح مارنه ... أنف العزيز بقطع العز يجتدع
أأطرح المجد عن كتفي وأطلبه ... وأترك الغيث في غمدي وأنتجع
والمشرفية لا زالت مشرفة ... دواء كل كريم أو هي الوجع
وفارس الخيل من خفت فوقرها ... في الدرب والدم في أعطافها دفع
وأوحدته وما في قلبه قلق ... وأغضبته وما في لفظه قذع
بالجيش تمتنع السادات كلهم ... والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع
قاد المقانب أقصى شربها نهل ... على الشكيم وأدنى سيرها سرع
لا يعتقي بلد مسراه عن بلد ... كالموت ليس له ري ولا شبع
حتى أقام على أرباض خرشنة ... تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا ... والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
يخلى له المرج منصوبا بصارخة ... له المنابر مشهودا بها الجمع
يطمع الطير فيهم طول أكلهم ... حتى تكاد على أحيائهم تقع
ولو رآه حواريوهم لبنوا ... على محبته الشرع الذي شرعوا
ذم الدمستق عينيه وقد طلعت ... سود الغمام فظنوا أنها قزع
فيها الكماة التي مفطومها رجل ... على الجياد التي حوليها جذع
تذري اللقان غبارا في مناخرها ... وفي حناجرها من آلس جرع
كأنما تتلقاهم لتسلكهم ... فالطعن يفتح في الأجواف ما يسع
تهدي نواظرها والحرب مظلمة ... من الأسنة نار والقنا شمع
دون السهام ودون الفر طافحة ... على نفوسهم المقورة المزع
إذا دعا العلج علجا حال بينهما ... أظمى تفارق منه أختها الضلع
أجل من ولد الفقاس منكتف ... إذ فاتهن وأمضى منه منصرع
وما نجا من شفار البيض منفلت ... نجا ومنهن في أحشائه فزع
يباشر الأمن دهرا وهو مختبل ... ويشرب الخمر حولا وهو ممتقع
كم من حشاشة بطريق تضمنها ... للباترات أمين ماله ورع
يقاتل الخطو عنه حين يطلبه ... ويطرد النوم عنه حين يضطجع
تغدو المنايا فلا تنفك واقفة ... حتى يقول لها عودي فتندفع
قل للدمستق إن المسلمين لكم ... خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا
وجدتموهم نياما في دمائكم ... كأن قتلاكم إياهم فجعوا
ضعفى تعف الأعادي عن مثالهم ... من الأعادي وإن هموا بهم نزعوا
لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق ... فليس يأكل إلا الميت الضبع
هلا على عقب الوادي وقد صعدت ... أسد تمر فرادى ليس تجتمع

تشقكم بقناها كل سلهبة … والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع
وانما عرّض الله الجنود لكم … لكي يكونوا بلا فسل اذا رجعوا
فكل غزو اليكم بعد ذا فله … وكل غاز لسيف الدولة التبع
تمشي الكرام على آثار غيرهم … وانت تخلق ما تأتي وتبتدع
وهل يشينك وقت كنت فارسه … وكان غيرك فيه العاجز الضرع
من كان فوق محل الشمس موضعه … فليس يرفعه شيء ولا يضع
لم يسلم الكر في الاعقاب مهجته … ان كان اسلمها الاصحاب والشيع
ليت الملوك على الاقدار معطية … فلم يكن لدنيّ عندها طمع
رضيت منهم بان زرت الوغى فرأوا … وان قرعت حبيك البيض فاستمعوا
لقد اباحك غشا في معاملة … من كنت منه بغير الصدق تنتفع
الدهر معتذر والسيف منتظر … وارضهم لك مصطاف ومرتبع
وما الجبال لنصران بحامية … ولو تنصّر فيها الاعصم الصدع
وما حمدتك في هول ثبتّ له … حتى بلوتك والابطال تمتصع
فقد يظن شجاعا من به خرق … وقد يظن جبانا من به زمع
ان السلاح جميع الناس تحمله … وليس كل ذوات المخلب السبع

وتوقف سيف الدولة في الغزاة الصائفة في جمادى الآخرة سنة اربعين وثلثمائة ببقعة عرنسوس على احراق القرى ثم اصبح صافا يريد سمندو وقد اتصل به ان العدو بها جامع معد في اربعين الفا فتهيب جيش سيف الدولة الاقدام عليها واحب سيف الدولة المسير اليها فاعترضه ابو الطيب وانشده ارتجالا

نزور ديارا ما نحب لها مغنى … ونسئل فيها غير سكانها الاذنا
نقود اليها الآخذات لنا المدى … عليها الكماة المحسنون بها ظنا
ونصفي الذي يكنى ابا الحسن الهوى … ونرضي الذي يسمى الاله ولا يكنى
وقد علم الروم الشقيون اننا … اذا ما تركنا ارضهم خلفنا عدنا
وانا اذا ما الموت صرّح في الوغى … لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا
قصدنا له قصد الحبيب لقاؤه … الينا وقلنا للسيوف هلمّنا
وخيل حشوناها الاسنة بعدما … تكدّسن من هنا علينا ومن هنا
ضربن الينا بالسياط جهالة … فلما تعارفنا ضربن بها عنا
نعد القرى والمس بنا الجيش لمسة … نبادر الى ما تشتهي يدك اليمنى
فقد بردت فوق اللقان دماؤهم … ونحن اناس نتبع البارد السخنا
وان كنت سيف الدولة العضب فيهم … فدعنا نكن قبل الضراب القنا اللدنا
فنحن الالى لا نأتلي لك نصرة … وانت الذي لو انه وحده اغنى
يقيك الردى من يبتغي عندك العلى … ومن قال لا ارضى من العيش بالادنى
فلولاك لم تجر الدما ولا اللهى … ولم يك للدنيا ولا اهلها معنى
وما الخوف الا ما تخوّفه الفتى … وما الامن الا ما رآه الفتى امنا

وقال ايضا يمدحه ويذكر هذه الغزاة الصائفة الثانية وانه لم يتمم قصد خرشنة بسبب الثلج وهجوم الشتاء عليه سنة اربعين وثلثمائة

عواذل ذات الخال فيّ حواسد … وان ضجيع الخود مني لماجد
يرد يدا عن ثوبها وهو قادر … ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد
متى يشتفي من لاعج الشوق في الحشا … محب لها في قربه متباعد

اذا كنت تخشى العار في كل خلوة ... فلم تتصباك الحسان الخرائد
الح علىّ السقم حتى الفته ... ومل طبيبي جانبي والعوائد
مررت على دار الحبيب فحمحمت ... جوادي وهل تشجو الجياد المعاهد
وما تنكر الدهماء من رسم منزل ... سقتها ضريب الشول فيها الولائد
اهم بشيء والليالي كانها ... تطاردني عن كونه واطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة ... اذا عظم المطلوب قل المساعد
وتسعدني في غمرة بعد غمرة ... سبوح لها منها عليها شواهد
تثنى على قدر الطعان كانما ... مفاصلها تحت الرماح مراود
واورد نفسي والمهند في يدي ... موارد لا يصدرن من لا يجالد
ولكن اذا لم يحمل القلب كفه ... على حالة لم يحمل الكف ساعد
خليلي ما لي لا ارى غير شاعر ... فلم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثيرة ... ولكن سيف الدولة اليوم واحد
له من كريم الطبع في الحرب منتض ... ومن عادة الاحسان والصفح غامد
ولما رايت الناس دون محله ... تيقنت ان الدهر للناس ناقد
احقهم بالسيف من ضرب العدى ... وبالامن من هانت عليه الشدائد
واشقى بلاد الله ما الروم اهلها ... بهذا وما فيها لمجدك جاحد
شننت بها الغارات حتى تركتها ... وجفن الذي خلف الفرنجة ساهد
مخضبة والقوم صرعى كانها ... وان لم يكونوا ساجدين مساجد
تنكسهم والسابقات جبالهم ... وتطعن فيهم والرماح المكائد
وتضربهم هبرا وقد سكنوا الكدى ... كما سكنت بطن التراب الاساود
وتضحي الحصون المشمخرات في الذرى ... وخيلك في اعناقهن قلائد

عصفن بهم يوم اللقان وسقنهم ... بهنزيط حتى ابيض بالسبي آمد
والحقن بالصفصاف سابور فانهوى ... وذاق الردى اهلاهما والجلامد
وغلس في الوادي بهن مشيع ... مبارك ما بين اللثامين عابد
فتى يشتهي طول البلاد ووقته ... تضيق به اوقاته والمقاصد
اخو غزوات ما تغب سيوفه ... رقابهم الا وسيحان جامد
فلم يبق الا من حماها من الظبى ... لمى شفتيها والثدي النواهد
تبكي عليهن البطاريق في الدجى ... وهن لدينا ملقيات كواسد
اذا قضت الايام ما بين اهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد
ومن شرف الاقدام انك فيهم ... على القتل موموق كانك شاكد
وان دما اجريته بك فاخر ... وان فؤادا رعته لك حامد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى ... ولكن طبع النفس للنفس قائد
نهبت من الاعمار ما لو حويته ... لهنئت الدنيا بانك خالد
فانت حسام الملك والله ضارب ... وانت لواء الدين والله عاقد
وانت ابو الهيجاء ابن حمدان يا ابنه ... تشابه مولود كريم ووالد
وحمدان حمدون وحمدون حارث ... وحارث لقمان ولقمان راشد
اولئك انياب الخلافة كلها ... وسائر املاك البلاد الزوائد
احبك يا شمس النهار وبدره ... وان لامني فيك السهى والفراقد
وذاك لان الفضل عندك باهر ... وليس لان العيش عندك بارد
وان قليل الحب بالعقل صالح ... وان كثير الحب بالجهل فاسد

وقال يعزيه بعبده يماك التركي وقد توفي سحر يوم الاربعا لعشر بقين من شهر رمضان سنة اربعين وثلثمائة

لا يحزن الله الأمير فإنني — لآخذ من حالاته بنصيب
ومن سرّ أهل الأرض ثم بكى — أسىً بكى بعيون سرّها وقلوب
وإني وإن كان الدفين حبيبه — حبيب إلى قلبي حبيب حبيبي
وقد فارق الناس الأحبة قبلنا — وأعيا دواء الموت كل طبيب
سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها — مُنعنا بها من جيئة وذهوب
تملّكها الآتي تملّك سالب — وفارقها الماضي فراق سليب
ولا فضل فيها للشجاعة والندى — وصبر الفتى لولا لقاء شعوب
وأوفى حيوة الغابرين لصاحب — حيوة امرئ خانته بعد مشيب
لأبقى يماكُ في حشاي صبابة — إلى كل تركي النجار جليب
وما كل وجه أبيض بمبارك — ولا كل جفن ضيق بنجيب
لئن ظهرت فينا عليه كآبة — لقد ظهرت في حدّ كل قضيب
وفي كل قوس كل يوم تناضل — وفي كل طرف كل يوم ركوب
يعزّ عليه أن يخلّ بعادة — وتدعو لأمر وهو غير مجيب
وكنت إذا أبصرته لك قائما — نظرت إلى ذي لبدتين أديب
فإن يكن العلق النفيس فقدته — فمن كفّ متلاف أغرّ وهوب
كأنّ الردى عادٍ على كل ماجد — إذا لم يعوّذ مجده بعيوب
ولولا أيادي الدهر في الجمع بيننا — غفلنا فلم نشعر له بذنوب
وللترك للإحسان خير لمحسن — إذا جعل الإحسان غير ربيب
وإنّ الذي أمست نزار عبيده — غنيّ عن استعباده لغريب
كفى بصفاء الودّ رقّاً لمثله — وبالقرب منه مفخراً للبيب
فعوّض سيف الدولة الأجر إنه — أجلّ مثاب من أجلّ مثيب

فتى الخيل قد بلّ النجيع نحورها — يطاعن في ضنك المقام عصيب
يعاف خيام الريط في غزواته — فما خيمه إلا غبار حروب
علينا لك الإسعاد إن كان نافعا — بشقّ قلوب لا بشقّ جيوب
فربّ كئيب ليس تندى جفونه — وربّ كثير الدمع غير كئيب
تسلّ بفكر في أبيك فإنما — بكيت فكان الضحك بعد قريب
إذا استقبلت نفس الكريم مصابها — بخبث ثنت فاستدبرته بطيب
وللواجد المكروب من زفراته — سكون عزاء أو سكون لغوب
وكم لك جدّاً لم تر العين وجهه — فلم تجر في آثاره بغروب
فدتك نفوس الحاسدين فإنها — معذّبة في حضرة ومغيب
وفي تعب من يحسد الشمس نورها — ويجهد أن يأتي لها بضريب

وقال يمدحه ويذكر بناءه مرعش سنة احدى واربعين وثلثمائه

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا — فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا — فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبّا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة — لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا
نذمّ السحاب الغرّ في فعلها به — ونعرض عنها كلما طلعت عتبا
ومن صحب الدنيا طويلاً تقلّبت — على عينه حتى يرى صدقها كذبا
وكيف التذاذي بالأصائل والضحى — إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبّا
ذكرت به وصلاً كأن لم أفز به — وعيشاً كأني كنت أقطعه وثبا
وفتّانة العينين قتّالة الهوى — إذا نفحت شيخاً روائحها شبّا
لها بشر الدرّ الذي قلّدت به — ولم أر بدراً قبلها قلّد الشهبا
فيا شوق ما أبقى ويا لي من النوى — ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبى

لقد لعب البين المشتّ بها وبي … وزوّدني في السير ما زوّد الضبّا

ومن تكن الاسد الضواري جدوده … يكن ليله صبحاً ومطعمه غصبا

ولست ابالي بعد ادراكي العلى … اكان تراثاً ما تناولت ام كسبا

فربّ غلامٍ علّم المجد نفسه … كتعليم سيف الدولة الدولة الضربا

اذا الدولة استكفت به في ملمّة … كفاها فكان السيف والكفّ والقلبا

تهاب سيوف الهند وهي حدائد … فكيف اذا كانت نزاريّة عربا

ويرهب ناب الليث والليث وحده … فكيف اذا كان الليوث له صحبا

ويخشى عباب البحر وهو مكانه … فكيف بمن يغشى البلاد اذا عبّا

عليم باسرار الديانات واللغى … له خطرات تفضح الناس والكتبا

فبوركت من غيثٍ كأنّ جلودنا … به تنبت الديباج والوشي والعصبا

ومن واهبٍ جزلاً ومن زاجرٍ هلا … ومن هاتكٍ درعاً ومن ناثرٍ قصبا

هنيئاً لاهل الثغر رأيك فيهم … وانّك حزب الله صرت لهم حزبا

وانّك رعت الدهر فيها وريبه … فان شكّ فليحدث بساحتها خطبا

فيوماً بخيلٍ تطرد الروم عنهم … ويوماً بجودٍ تطرد الفقر والجدبا

سراياك تترى والدمستق هارب … واصحابه قتلى وامواله نهبى

اتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلاً … وادبر اذ اقبلت تستبعد القربا

كذا يترك الاعداء من يكره القنا … ويقفل من كانت غنيمته رعبا

وهل ردّ عنه باللقان وقوفه … صدور العوالي والمطهّمة القبّا

مضى بعد ما التفّ الرماحان ساعةً … كما يتلقّى الهدب في الرقدة الهدبا

ولكنّه ولّى وللطعن سورة … اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا

وخلّى العذارى والبطاريق والقرى … وشعث النصارى والقرابين والصلبا

ارى كلّنا يبغي الحياة بسعيه … حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا

فحبّ الجبان النفس اورده التقى … وحبّ الشجاع النفس اورده الحربا

ويختلف الرزقان والفعل واحد … الى ان ترى احسان هذا لذا ذنبا

فاضحت كأنّ السور من فوق بدئه … الى الارض قد شقّ الكواكب والتربا

تصدّ الرياح الهوج عنها مخافةً … وتفزع فيها الطير ان تلقط الحبّا

وتردي الجياد الجرد فوق جبالها … وقد ندف الصنّبر في طرقها العطبا

كفى عجباً ان يعجب الناس انّه … بنى مرعشاً تبّاً لآرائهم تبّا

وما الفرق ما بين الانام وبينه … اذا حذر المحذور واستصعب الصعبا

لامرٍ اعدّته الخلافة للعدى … وسمّته دون العالم الصارم العضبا

ولم تفترق عنه الاسنّة رحمةً … ولم تترك الشام الاعادي له حبّا

ولكن نفاها عنه غير كريمةٍ … كريم الثنا ما سبّ قطّ ولا سبّا

وجيش يثنّي كلّ طودٍ كأنّه … خريق رياحٍ واجهت غصناً رطبا

كأنّ نجوم الليل خافت مغاره … فمدّت عليها من عجاجته حجبا

فمن كان يرضي اللؤم والكفر ملكه … فهذا الذي يرضي المكارم والربّا

وقال ايضاً فيه وكان سيف الدولة اذا تأخّر عنه مدحه شقّ عليه واكثر من اذاه واحضر من لا خير فيه وتقدّم اليه بالتعرّض له في مجلسه بما لا يحبّ ولا يجيب ابو الطيّب احداً عن شيء فيزيد ذلك في غيظ سيف الدولة ويتمادى ابو الطيّب في ترك قول الشعر ويلجّ سيف الدولة فيما يستعمله من ذلك واكثر عليه مرّة بعد اخرى وزاد الامر على ابي الطيّب فقال وانشده ايّاها في محفل من العرب والعجم في رجب سنة

واحر قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بحالي وجسمي عنده سقم
مالي اكاتم حبا قد برى جسدي ... وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كان يجمعنا حبا لغرته ... فليت انا بقدر الحب نقتسم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة ... وقد نظرت اليه والسيوف دم
فكان احسن خلق الله كلهم ... وكان احسن ما في الاحسن الشيم
فوت العدو الذي يممته ظفر ... في طيه اسف في طيه نعم
قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت ... لك المهابة ما لا تصنع البهم
الزمت نفسك شيئا ليس يلزمها ... الا تواريهم ارض ولا علم
اكلما رمت جيشا فانثنى هربا ... تصرفت بك في آثاره الهمم
عليك هزمهم في كل معترك ... وما عليك بهم عار اذا انهزموا
اما ترى ظفرا حلوا سوى ظفر ... تصافحت فيه بيض الهند واللمم
يا اعدل الناس الا في معاملتي ... فيك الخصام وانت الخصم والحكم
تصغي باذن الى قوم تخالهم ... من الرجال وان هم حصلوا حرم
ما قدر ما انا فيه ان اقاسيهم ... مثلا بمثل وان واجهتهم علموا
اعيذها نظرات منك صادقة ... ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع اخي الدنيا بناظره ... اذا استوت عنده الانوار والظلم
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي ... واسمعت كلماتي من به صمم
انام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جراها ويختصم
وجاهل مده في جهله ضحكي ... حتى اتته يد فراسة وفم
اذا رايت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن ان الليث مبتسم
ومهجة مهجتي من هم صاحبها ... ادركتها بجواد ظهره حرم
رجلاه في الركض رجل واليدان يد ... وفعله ما تريد الكف والقدم
ومرهف سرت بين الجحفلين به ... حتى خرجت وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني ... والحرب والضرب والقرطاس والقلم
صحبت في الفلوات الوحش منفردا ... حتى تعجب مني القور والاكم
يا من يعز علينا ان نفارقه ... وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ما كان اخلقنا منكم بتكرمة ... لو ان امركم من امرنا امم
ان كان سركم ما قال حاسدنا ... فما لجرح اذا ارضاكم الم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة ... ان المعارف في اهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ... ويكره الله ما تاتون والكرم
ما ابعد العيب والنقصان من شرفي ... انا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقه ... يزيلهن الى من عنده الديم
ارى النوى تقتضيني كل مرحلة ... لا تستقل بها الوخادة الرسم
لئن تركن ضميرا عن ميامننا ... ليحدثن لسيف الدولة الندم
اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... الا تفارقهم فالراحلون هم
تالله ما قيمة الدنيا لذي ادب ... يهان فيها وان صحت له زلم
شر البلاد بلاد لا صديق بها ... وشر ما يكسب الانسان ما يصم
وشر ما قنصته راحتي قنص ... شهب البزاة سواء فيه والرخم
باي لفظ يقول الشعر زعنفة ... تجوز عندك لا عرب ولا عجم
هذا عتابك الا انه مقة ... قد ضمن الدر الا انه كلم

انشد هذه القصيدة وانصرف اضطرب المجلس وقال له نبطي كان في المجلس اتركني اسعى في دمه فرخص له في ذلك

والنبطي هو السامري وفيه يقول ابو الطيب ٥

اسامري ضحكة كل راي ... فطنت وانت اغبى الاغبياء
صغرت عن المديح فقلت اهجى ... كانك ما صغرت عن الهجاء
وما فكرت قبلك في محال ... ولا جربت سيفي في هباء

فانصرف ووقف له رجالة في طريقه ليغتالوه فلما راهم ٥ ابو الطيب في طريقه وتبين السلاح تحت ثيابهم امكن يده من قائم سيفه وجاء حتى خرقها فلم تقدم عليه ثم انفذ الطير الى ابي العشائر ابن امره فانفذ عشرة من خاصته فوقفوا ٥ بباب سيف الدولة اول الليل وجاءه الرسول على لسان سيف الدولة فسار اليه فلما قرب منهم ضرب راجل منهم بين ايديهم بيده الى عنان فرسه وسل ابو الطيب السيف فوثب الراجل وتقدمت فرسه بر الخيل فعبر قنطرة كانت بين يديه واجترهم الى الصحراء فاصاب احدهم نحرة فرسه بسهم فانفذه فانتزع ابو الطيب السهم ورمى واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن مدد ان كان لهم ثم كر عليهم بعد ان فني النشاب فضرب يد احدهم فقطع الوتر وبعض القوس واسرع السيف في الذراع ووقفوا على المضروب فسار وتركهم فلما يئسوا منه قال له احدهم في آخر الوقت نحن غلمان ابي العشائر فلذلك قال

ومنتسب عندي الى من احبه ٥ وللنبل عندي من يديه حفيف

وقد قدمناها في ذكر ابي العشائر وعاد ابو الطيب الى المدينة في الليلة الثانية مستخفيا فاقام عند صديق له والمراسلة

بينه وبين سيف الدولة متصلة وسيف الدولة ينكر ان ٥ يكون فعل ذلك او امر به فعند ذلك يقول ابو الطيب رحمه الله

الا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا ... فداه الورى امضى السيوف مضاربا
وما لي اذا ما اشتقت ابصرت دونه ... تنائف لا اشتاقها وسباسبا
وقد كان يدني مجلسي من سمائه ... احادث فيها بدرها والكواكبا
حنانيك مسؤولا ولبيك داعيا ... وحسبي موهوبا وحسبك واهبا
اهذا جزاء الصدق ان كنت صادقا ... اهذا جزاء الكذب ان كنت كاذبا
وان كان ذنبي كل ذنب فانه ... محى الذنب كل المحو من كان تائبا

ودخل على سيف الدولة بتسع عشرة ليلة فتلقاه الغلمان وادخلوه الى الخزانة الكسوة فخلع عليه وطيب ثم دخل الى سيف الدولة فساله عن حاله وهو مستحيي فقال ابو الطيب له رايت الموت عندك احب الي من الحيوة بعدك فقال له بل يطيل الله بقاك ودعا له ثم ركب ابو الطيب وسار معه خلق كثير الى منزله واتبعه سيف الدولة طيبا كثيرا وهدية فقال له يمدحه ويعتذر اليه وانشدها في شعبان سنة احدى واربعين وثلثمائة

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل ... دعا فلباه قبل الركب والابل
ظللت بين اصيحابي اكفكفه ... وظل يسفح بين العذر والعذل
اشكوا النوى ولهم من عبرتي عجب ... كذاك كنت وما اشكوا سوى الكلل
وما صبابة مشتاق على امل ... من اللقاء كمشتاق بلا امل
متى تزر قوم من تهوى زيارتها ... لا يتحفوك بغير البيض والاسل
والهجر اقتل لي مما اراقبه ... انا الغريق فما خوفي من البلل

ما بال كل فؤاد في عشيرتها ... به الذي بي وما بي غير منتقل
مطاعة اللحظ في الألحاظ مالكة ... لمقلتيها عظيم الملك في المقل
تشبه الخفرات الآنسات بها ... في مشيها فينلن الحسن بالحيل
قد ذقت شدة أيامي ولذتها ... فما حصلت على صاب ولا عسل
وقد أراني الشباب الروح في بدني ... وقد أراني المشيب الروح في بدلي
وقد طرقت فتاة الحي مرتديا ... بصاحب غير عزهاة ولا غزل
فبات بين تراقينا ندفعه ... وليس يعلم بالشكوى ولا القبل
ثم اغتدى وبه من ردعها أثر ... على ذوائبه والجفن والخلل
لا اكسب الذكر الا من مضاربه ... او من سنان أصم الكعب معتدل
جاد الأمير به لي في مواهبه ... فزانها وكساني الدرع في الحلل
ومن علي بن عبد الله معرفتي ... بحمله من كعبد الله من كعلي
معطي الكواعب والجرد السلاهب وال ... بيض القواضب والعسالة الذبل
ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ... ملء الزمان وملء السهل والجبل
فنحن في جذل والروم في وجل ... والبر في شغل والبحر في خجل
من تغلب الغالبين الناس منصبه ... ومن عدي أعادي الجبن والبخل
والمدح لابن أبي الهيجاء تنجده ... بالجاهلية عين العي والخطل
ليت المدائح تستوفي مناقبه ... فما كليب وأهل الأعصر الأول
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة ... فإن وجدت لسانا قائلا فقل
إن الهمام الذي فخر الأنام به ... خير السيوف بكفي خيرة الدول
تمسي الأماني صرعى دون مبلغه ... فما يقول لشيء ليت ذلك لي

انظر إذا اجتمع السيفان في رهج ... إلى اختلافهما في الخلق والعمل
هو المعد لريب الدهر منصلتا ... أعد هذا لرأس الفارس البطل
فالعرب منه مع الكدري طائرة ... والروم طائرة منه مع الحجل
وما الفرار إلى الأجبال من أسد ... تمشي النعام به في معقل الوعل
جاز الدروب إلى ما خلف خرشنة ... وزال عنها وذاك الروع لم يزل
فكلما حلمت عذراء عندهم ... فإنما حلمت بالسبي والجمل
إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بذلوا ... منها رضاك ومن للعور بالحول
ناديت مجدك في شعري وقد صدرا ... يا غير منتحل في غير منتحل
بالشرق والغرب أقوام نحبهم ... فطالعاهم وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم بأني في مكارمه ... أقلب الطرف بين الخيل والخول
يا أيها المحسن المشكور من جهتي ... والشكر من قبل الإحسان لا قبلي
ما كان نومي إلا فوق معرفتي ... بأن رأيك لا يؤتى من الزلل
أقل أنل اقطع احمل عل سل أعد ... زد هش بش تفضل ادن سر صل
لعل عتبك محمود عواقبه ... فربما صحت الأجسام بالعلل
وما سمعت ولا غيري بمقتدر ... أذب منك لزور القول عن رجل
لأن حلمك حلم لا تكلفه ... ليس التكحل في العينين كالكحل
وما ثناك كلام الناس عن كرم ... ومن يسد طرق العارض الهطل
أنت الجواد بلا من ولا كدر ... ولا مطال ولا وعد ولا مذل
أنت الشجاع إذا ما لم يطأ فرس ... غير السنور والأشلاء والقلل
ورد بعض القنا بعضا مقارعة ... كأنه من نفوس القوم في جدل
لا زلت تضرب من عاداك عن عرض ... بعاجل النصر في مستأخر الأجل

فاستحسن سيف الدولة ومن حضره القصيدة واطنبوا في وصفها فقال ارتجالا ٥

إن هذا الشعر في الشعر ملك … سار فهو الشمس والدنيا فلك
عدل الرحمن فيه بيننا … فقضى باللفظ لي والحمد لك
فإذا مر بأذني حاسد … صار ممن كان حيا فهلك

ولما انشد أقل أنل راى قوما يعدون ألفاظه ويستكثرونها فزاد فيه وأنشد ٥

أقل أنل ان صن احمل علّ سلّ اعد … زد هش بش هب اغفر ادن سر صل

فراهم يستكثرون الحروف ويستعظمون سرعة خاطره فقال

عش ابق اسم سد جد قد … مر انه ره فه اسر نل
غظ ارم صب احم اغز اسب … رع زع ده له اثن بل
وهذا دعاء لو سكتّ كفيته … لأني سألت الله فيك وقد فعل

وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة في شوال سنة احدى واربعين وثلثمائة وبين يديه نارنج وطلع وهو يمتحن الفرسان فقال سيف الدولة لابن جش شيخ المصيصة لا تتوهم ان هذا للشرب فقال ابو الطيب ٥

شديد البعد من شرب الشمول … ترنج الهند او طلع النخيل
ولكن كل شيء فيه طيب … لديك من الدقيق الى الجليل
لشغلك بالمعالي والعوالي … وكسب الحمد والذكر الجميل
وميدان الفصاحة والقوافي … وممتحن الفوارس والخيول

فلم يتبين معنى البيت الأول لقوم حضروا وذاك ان المعروف

في اللغة الأترج لا الترنج وهو قال ترنج فلهذا انكروا فقال

اتيت بمنطق العرب الاصيل … وكان بقدر ما عاينت قيلي
فعارضه كلام كان منه … بمنزلة النساء من البعول
وهذا الدر مأمون التشظي … وانت السيف مأمون الفلول
وليس يصح في الأوهام شيء … إذا احتاج النهار الى دليل

ودخل الى سيف الدولة في ذي القعدة سنة احدى واربعين وثلثمائة وقد جلس لرسول ملك الروم وقد ورد يلتمس الفداء وركب الغلمان ولبسوا التجافيف واحضروا لبوة مقتولة ومعها ثلثة اشبال احياء والقوها بين يديه فقال

لقيت العفاة بآمالها … وزرت العداة بآجالها
واقبلت الروم تمشي اليك … بين الليوث واشبالها
إذا رأت الأسد مسبية … فاين تفر باطفالها

وقال بعد ذلك يذكر الفداء الذي التمسه الرسول وكتاب ملك الروم الوارد معه ٥

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي … وللحب ما لم يبق مني وما بقي
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه … ولكن من يبصر جفونك يعشق
وبين الرضى والسخط والقرب والنوى … مجال لدمع المقلة المترقرق
واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه … وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي
وغضبى من الادلال سكرى من الصبى … شفعت اليها من شبابي بريق
واشنب معسول الثنيات واضح … سترت فمي عنه فقبل مفرقي
واجياد غزلان كجيدك زرنني … فلم اتبين عاطلا من مطوق

وما كل من يهوى يعف إذا خلا … عفافي ويرضي الحب والخيل تلتقي
سقى الله أيام الصبى ما يسرها … ويفعل فعل البابلي المعتق
إذا ما لبست الدهر مستمتعا به … تخرقت والملبوس لم يتخرق
ولم أر كالألحاظ يوم رحيلهم … بعثن بكل القتل من كل مشفق
أدرن عيونا حائرات كأنها … مركبة أحداقها فوق زئبق
عشية يعدونا عن النظر البكا … وعن لذة التوديع خوف التفرق
نودعهم والبين فينا كأنه … قنا ابن أبي الهيجاء في كل فيلق
قواض مواض نسج داود عندها … إذا وقعت فيه كنسج الخدرنق
هواد لأملاك الجيوش كأنها … تخير أرواح الكماة وتنتقي
تقد عليهم كل درع وجوشن … وتفري إليهم كل سور وخندق
يغير بها بين اللقان وواسط … ويركزها بين الفرات وجلق
ويرجعها حمرا كأن صحيحها … يبكي دما من رحمة المتدقق
فلا تبلغاه ما أقول فإنه … شجاع متى يذكر له الطعن يشتق
ضروب بأطراف السيوف بنانه … لعوب بأطراف الكلام المشقق
كسائله من يسأل الغيث قطرة … كعاذله من قال للفلك ارفق
لقد جدت حتى جدت في كل ملة … وحتى أتاك الحمد من كل منطق
رأى ملك الروم ارتياحك للندى … فقام مقام المجتدي المتملق
وخلى الرماح السمهرية صاغرا … لأدرب منه بالطعان وأحذق
وكاتب من أرض بعيد مرامها … قريب على خيل حواليك سبق
وقد سار في مسراك منها رسوله … فما سار إلا فوق هام مفلق
فلما دنا أخفى عليه مكانه … شعاع الحديد البارق المتألق
وأقبل يمشي في البساط فما درى … إلى البحر يمشي أم إلى البدر يرتقي
ولم يثنك الأعداء عن مهجاتهم … بمثل خضوع في كلام منمق
وكنت إذا كاتبته قبل هذه … كتبت إليه في قذال الدمستق
فإن تعطه بعض الأمان فسائل … وإن تعطه حد الحسام فأخلق
وهل ترك البيض الصوارم منهم … حبيسا لفاد أو رقيقا لمعتق
لقد وردوا ورد القطا شفراتها … ومروا عليها رزدقا بعد رزدق
بلغت بسيف الدولة النور رتبة … أنرت بها ما بين غرب ومشرق
إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق … أراه غباري ثم قال له الحق
وما كمد الحساد شيئا قصدته … ولكنه من يزحم البحر يغرق
ويمتحن الناس الأمير برأيه … ويغضي على علم بكل ممخرق
وإطراق طرف العين ليس بنافع … إذا كان طرف القلب ليس بمطرق
فيا أيها المطلوب جاوره تمتنع … ويا أيها المحروم يممه ترزق
ويا أجبن الفرسان صاحبه تجترئ … ويا أشجع الشجعان فارقه تفرق
إذا سعت الأعداء في كيد مجده … سعى جده في ماله سعي محنق
وما ينصر الفضل المبين على العدى … إذا لم يكن فضل السعيد الموفق

وقال وقد دخل عليه ليلا وقد نزع سلاحا كان بين يديه وهو في ذكره ووصفه فقال له ارتجالا ٥

وصفت لنا ولم نره سلاحا … كأنك واصف وقت النزال
وأن البيض صف على دروع … فشوق من رآه إلى القتال
فلو أطفأت نارك تالديه … قرأت الخط في سود الليالي
ولو لحظ الدمستق حافتيه … لقلب رأيه حالا لحال

إن استحسنت وهو على بساط – فأحسن ما يكون على الرجال
وإن بها وإن به لنقصا – فأنت لها النهاية في الكمال

وقال وقد عرض عليه شروخ فوجد فيها شرخا واحدا غير مذهب فأمر باذهابه فقال أبو الطيب ٥

أحسن ما يخضب الحديد به – وخاضبيه النجيع والغضب
فلا تشينه بالنضار فما – يجتمع الماء فيه والذهب

وقال أيضا وقد أنفذ إليه أحد أهل بغداد أبياتا من الرحبة إلى سيف الدولة يذكر أنه رآها في المنام يشكو إليه الفقر والضر فأجابه أبو الطيب ٥

قد سمعنا ما قلت في الأحلام – وأنلناك بدرة في المنام
وانتبهنا كما انتبهت بلا شيء – فكان النوال قدر الكلام
كنت فيما كتبته نائم العين – فهل كنت نائم الأقلام
أيها المشتكي إذا رقد الإعـ – ـدام لا رقدة مع الإعدام
افتح الجفن واترك القول في النـ – ـوم وميز خطاب سيف الإمام
الذي ليس عنه مغن ولا منـ – ـه بديل ولا لما رام حام
كل آبائه كرام بني الدنـ – ـيا ولكنه كريم الكرام

وقال وقد أمره سيف الدولة أن يعمل قصيدة على وزن هذه القصيدة وهي لأبي ذر سهل بن محمد النحوي وله عذل العواذل

يا لائمي كف الملام عن الذي – أضناه طول سقامه وشقائه
إن كنت ناصحه فداو سقامه – وأعنه ملتمسا لأمر شفائه
حتى يقال بأنك الخل الذي – يرجى لشدة دهره ورخائه

أو لا فدعه فما به يكفيه من – طول الملام فلست من نصحائه
نفسي الفداء لمن عصيت عواذلا – في حبه لم أخش من رقبائه
والشمس تطلع من أسرة وجهه – والبدر يطلع من خلال قبائه

فامتثل أمر سيف الدولة فقال هذه الأبيات على الوزن والروي

عذل العواذل حول قلبي التائه – وهوى الأحبة منه في سودائه
يشكو الملام إلى اللوائم حره – ويصد حين يلمن عن برحائه
وبمهجتي يا عاذلي الملك الذي – أسخطت أعذل منك في إرضائه
إن كان قد ملك القلوب فإنه – ملك الزمان بأرضه وسمائه
الشمس من حساده والنصر من – قرنائه والسيف من أسمائه
أين الثلاثة من ثلاث خلاله – من حسنه وإبائه ومضائه
مضت الدهور وما أتين بمثله – ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

وقال وقد استزاده سيف الدولة ٥

القلب أعلم يا عذول بدائه – وأحق منك بجفنه وبمائه
فومن أحب لأعصينك في الهوى – قسما به وبحسنه وبهائه
أأحبه وأحب فيه ملامة – إن الملامة فيه من أعدائه
عجب الوشاة من اللحاة وقولهم – دع ما نراك ضعفت عن إخفائه
ما الخل إلا من أود بقلبه – وأرى بطرف لا يرى بسوائه
إن المعين على الصبابة بالأسى – أولى برحمة ربها وإخائه
مهلا فإن العذل من أسقامه – وترفقا فالسمع من أعضائه
وهب الملامة في اللذاذة كالكرى – مطرودة بسهاده وبكائه
لا تعذل المشتاق في أشواقه – حتى يكون حشاك في أحشائه

إنّ القتيل مضرّجاً بدموعه … مثل القتيل مضرّجاً بدمائه
والعشق كالمعشوق يعذب قربه … للمبتلى وينال من حوبائه
لو قلت للدنف الحزين فديته … مما به لأغرته بفدائه
وقى الأمير هوى العيون فإنه … ما لا يزول ببأسه وسخائه
يستأصل البطل الكمي بنظرة … ويحول بين فؤاده وعزائه
إني دعوتك للنوائب دعوة … لم يدع سامعها إلى أكفائه
فأتيت من فوق الزمان وتحته … متصلصلاً وأمامه ووارئه
من للسيوف بأن تكون سميها … في أصله وفرنده ووفائه
طبع الحديد فكان من أجناسه … وعليّ المطبوع من آبائه

وجاءه رسول سيف الدولة مستعجلاً ومعه رقعة فيها بيتان في كتمان السر ليسأله إجازتهما وهما للعباس بن الأحنف

أمنّي تخاف انتشار الحديث … وحظي في ستره أوفر
ولو لم أصنه لبقيا عليك … نظرت لنفسي كما تنظر

فقال أبو الطيب

رضاك رضاي الذي أوثر … وسرّك سرّي فما أظهر
كفتك المروءة ما تتقي … وآمنك الودّ ما تحذر
وسرّكم في الحشا ميّت … إذا أنشر السرّ لا ينشر
كأني عصت مقلتي فيكم … وكاتمت القلب ما تبصر
وإفشاء ما أنا مستودع … من الغدر والحرّ لا يغدر
إذا ما قدرت على نطقة … فإني على تركها أقدر
وأصرف نفسي كما أشتهي … وأملكها والقنا أحمر
دواليك يا سيفها دولة … وأمرك يا خير من يأمر
أتاني رسولك مستعجلاً … فلبّاه شعري الذي أذخر
ولو كان يوم وغى قاتماً … للبّاه سيفي والأشقر
فلا غفل الدهر عن أهله … فإنك عين بها ينظر

قال وكان سيف الدولة استبطأ مدحه وعاتبه مدة ثم لقيه في الميدان فأنكر أبو الطيب تقصيره فيما كان عوّده من الإقبال إليه والسلام عليه فعاد إلى منزله وكتب إليه بهذه الأبيات في وقته

أرى ذلك القرب صار ازورارا … وصار طويل السلام اختصارا
تركتني اليوم في خجلة … أموت مراراً وأحيا مرارا
أسارقك اللحظ مستحيياً … وأزجر في الخيل مهري سرارا
وأعلم أني إذا ما اعتذرت إليك … أراد اعتذاري اعتذارا
كفرت مكارمك الباهرات … إن كان ذلك مني اختيارا
ولكن حمى الشعر إلا القليل … همّ حمى النوم إلا غرارا
وما أنا أسقمت جسمي به … ولا أنا أضرمت في القلب نارا
فلا تلزمنّي ذنوب الزمان … إليّ أساء وإياي ضارا
وعندي لك الشرّد السائرات … لا يختصصن من الأرض دارا
فإني إذا سرن من مقولي … وثبن الجبال وخضن البحارا
ولي فيك ما لم يقل قائل … وما لم يسر قمر حيث سارا
فلو خلق الناس من دهرهم … لكانوا الظلام وكنت النهارا
أشدّهم في الندى هزّة … وأبعدهم في عدوّ مغارا

سَمَا بِكَ هَمِّي فَوْقَ الهُمُومِ   فَلَسْتُ اَعُدُّ يَسَارًا يَسَارَا
وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِيُّ   لَا يَقْبَلُ الدُّرَّ اِلَّا كِبَارَا

وَسَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مِنْ حَلَبَ اِلَى دِيَارِ مِصْرَ لِاضْطِرَابِ البَادِيَةِ بِهَا فَنَزَلَ حَرَّانَ فَاَخَذَ رَهَائِنَ بَنِي عُقَيْلٍ وَقُشَيْرٍ وَالعَجْلَانِ وَحَدَثَ لَهُ بِهَا رَأْيٌ فِي الغَزْوِ فَعَبَرَ الفُرَاتَ اِلَى دُلُوكَ اِلَى قَنْطَرَةِ صَنْجَةَ اِلَى دَرْبِ القُلَّةِ فَشَنَّ الغَارَةَ عَلَى اَرْضِ عَرْقَةَ وَمَلَطْيَةَ ثُمَّ عَادَ لِيَعْبُرَ مِنْ دَرْبِ مُوزَارَ فَوَجَدَ العَدُوَّ قَدْ ضَبَطَهُ عَلَيْهِ فَرَجَعَ وَتَبِعَهُ العَدُوُّ فَعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ كَثِيرًا مِنَ الاَرْمَنِ وَرَجَعَ اِلَى مَلَطْيَةَ وَعَبَرَ اِلَى قُبَاقِبَ وَهُوَ نَهْرٌ عَظِيمٌ حَتَّى وَرَدَ المَخَاضَ عَلَى الفُرَاتِ تَحْتَ حِصْنٍ يُعْرَفُ بِالمِنْشَارِ فَعَبَرَ اِلَى بَطْنِ هِنْزِيطَ وَسِمْنِينَ وَنَزَلَ بِحِصْنِ الرَّانِ ثُمَّ رَحَلَ اِلَى سُمَيْسَاطَ فَوَرَدَ عَلَيْهِ بِهَا مَنْ اَخْبَرَهُ اَنَّ العَدُوَّ فِي بَلَدِ المُسْلِمِينَ فَاَسْرَعَ اِلَى دُلُوكَ وَعَبَرَهَا فَاَدْرَكَهُ رَاجِعًا عَلَى جَيْحَانَ فَهَزَمَهُ وَاَسَرَ قُسْطَنْطِينَ ابْنَ الدُّمُسْتُقِ وَجَرَحَ الدُّمُسْتُقَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ اَبُو الطَّيِّبِ يَصِفُ مَا كَانَ فِي جُمَادَى الاٰخِرَةِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَاَرْبَعِينَ وَثَلٰثِمِائَةٍ ۝

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ   طِوَالٌ وَلَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ
يُبِنَّ لِيَ البَدْرَ الَّذِي لَا اُرِيدُهُ   وَيُخْفِينَ بَدْرًا مَا اِلَيْهِ سَبِيلُ
وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الاَحِبَّةِ سَلْوَةً   وَلٰكِنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ
وَاِنَّ رَحِيلًا وَاحِدًا حَالَ بَيْنَنَا   وَفِي المَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلُ
اِذَا كَانَ شَمُّ الرُّوحِ اَدْنَى اِلَيْكُمُ   فَلَا بَرِحَتْنِي رَوْضَةٌ وَقَبُولُ
وَمَا شَرَقِي بِالمَاءِ اِلَّا تَذَكُّرًا   لِمَاءٍ بِهِ اَهْلُ الحَبِيبِ نُزُولُ
يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الاَسِنَّةِ فَوْقَهُ   فَلَيْسَ لِظَمْاٰنٍ اِلَيْهِ وُصُولُ
اَمَا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا   لِعَيْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ
اَلَمْ يَرَ هٰذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيَتِي   فَتَظْهَرَ فِيهِ رِقَّةٌ وَنُحُولُ
لَقِيتُ بِدَرْبِ القُلَّةِ الفَجْرَ لَقْيَةً   شَفَتْ كَمَدِي وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ
وَيَوْمًا كَاَنَّ الحُسْنَ فِيهِ عَلَامَةٌ   بَعَثْتِ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ
وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اثَّارَ عَاشِقٌ   وَلَا طُلِبَتْ عِنْدَ الظَّلَامِ ذُحُولُ
وَلٰكِنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ   تَرُوقُ عَلَى اسْتِغْرَابِهَا وَتَهُولُ
رَمَى الدَّرْبَ بِالجُرْدِ الجِيَادِ اِلَى العِدَى   وَمَا عَلِمُوا اَنَّ الجِيَادَ خُيُولُ
شَوَائِلَ تَشْوَالَ العَقَارِبِ بِالقَنَا   لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ
وَمَا هِيَ اِلَّا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ   بِحَرَّانَ لَبَّتْهَا قَنًا وَنُصُولُ
هُمَامٌ اِذَا مَا هَمَّ اَمْضَى هُمُومَهُ   بِاَرْعَنَ وَطْءُ المَوْتِ فِيهِ ثَقِيلُ
وَخَيْلٍ بَرَاهَا الرَّكْضُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ   اِذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ
فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دُلُوكَ وَصَنْجَةٍ   عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةٌ وَرَعِيلُ
عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطُّرْقِ رِفْعَةٌ   وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الاَنِيسِ خُمُولُ
فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغِيرَةً   قِبَاحًا وَاَمَّا خَلْقُهَا فَجَمِيلُ
سَحَائِبُ يُمْطِرْنَ الحَدِيدَ عَلَيْهِمِ   فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلُ
وَاَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرْقَةٍ   كَاَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلَاتِ ذُيُولُ
وَعَادَتْ فَظَنُّوهَا بِمُوزَارَ قُفَّلًا   فَلَيْسَ لَهَا اِلَّا الدُّخُولَ قُفُولُ
فَخَاضَتْ نَجِيعَ الجَمْعِ خَوْضًا كَاَنَّهُ   بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخُضْهُ كَفِيلُ
تُسَايِرُهَا النِّيرَانُ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ   بِهِ القَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيَارُ طُلُولُ
وَكَرَّتْ وَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلَطْيَةٍ   مَلَطْيَةُ اُمٌّ لِلبَنِينَ ثَكُولُ

واضعفن ما كلفنه من قباقب — فاضحى كأن الماء فيه عليل
ورعن بنا قلب الفرات كأنما — تخر عليه بالرجال سيول
يطارد فيه موجه كل سابح — سواء عليه غمرة ومسيل
تراه كأن الماء مر بجسمه — واقبل رأس وحده وتليل
وفي بطن هنزيط وسمنين للظبى — وصم القنا ممن ابدن بديل
طلعن عليهم طلعة يعرفونها — لها غرر ما تنقضي وحجول
تمل الحصون الشم طول نزالنا — فتلقي الينا اهلها وتزول
وبتن بحصن الران رزحى من الوجى — وكل عزيز للامير ذليل
وفي كل نفس ما خلاه ملالة — وفي كل سيف ما سواه فلول
ودون سميساط المطامير والملا — واودية مجهولة وهجول
لبسن الدجى فيها الى ارض مرعش — وللروم خطب في البلاد جليل
فلما راوه وحده قبل جيشه — دروا ان كل العالمين فضول
وان رماح الخط عنه قصيرة — وان حديد الهند عنه كليل
فاوردهم صدر الحصان وسيفه — فتى باسه مثل العطاء جزيل
جواد على العلات بالمال كله — ولكنه بالدارعين بخيل
فودع قتلاهم وشيع فلهم — بضرب حزون الدهر فيه سهول
على قلب قسطنطين منه تعجب — وان كان في ساقيه منه كبول
لعلك يوما يا دمستق عائد — فكم هارب مما اليه يؤول
نجوت باحدى مهجتيك جريحة — وخلفت احدى مهجتيك تسيل
اتسلم للخطية ابنك هاربا — ويسكن في الدنيا اليك خليل
بوجهك ما انساكه من مرشة — نصيرك منها رنة وعويل
اغركم طول الجيوش وعرضها — علي شروب للجيوش اكول
اذا لم تكن لليث الا فريسة — غذاه ولم ينفعك انك فيل
اذا الطعن لم تدخلك فيه شجاعة — هي الطعن لم يدخلك فيه عذول
فان تكن الايام ابصرن صولة — فقد علم الايام كيف تصول
فدتك ملوك لم تسم مواضيا — فانك ماضي الشفرتين صقيل
اذا كان بعض الناس سيفا لدولة — ففي الناس بوقات لها وطبول
انا السابق الهادي الى ما اقوله — اذا القول قبل القائلين مقول
وما لكلام الناس فيما يريبني — اصول ولا للقائليه اصول
اعادى على ما يوجب الحب للفتى — واهدا والافكار في تجول
سوى وجع الحساد داو فانه — اذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد في مودة — وان كنت تبديها له وتنيل
وانا لنلقى الحادثات بانفس — كثير الرزايا عندهن قليل
يهون علينا ان تصاب جسومنا — وتسلم اعراض لنا وعقول
فتيها وفخرا تغلب ابنة وائل — فانت لخير الفاخرين قبيل
يغم عليا ان يموت عدوه — اذا لم تغله بالاسنة غول
شريك المنايا والنفوس غنيمة — فكل ممات لم يمته غلول
فان تكن الدولات قسما فانها — لمن ورد الموت الزؤام تدول
لمن هون الدنيا على النفس ساعة — وللبيض في هام الكماة صليل

ودخل عليه يوما يعوده من علة وجدها وكان عاتبا عليه لتأخر مدحه فقال له

بادنى ابتسام منك تحيا القرائح — وتقوى من الجسم الضعيف الجوارح

ومن ذا الذي يقضي حقوقك كلها ... ومن ذا الذي يرضى سوى من تسامح
وقد تقبل العذر الخفي تكرما ... فما بال عذري واقفا في الجوانح
وإن محالا إذ بك العيش أن أرى ... وجسمك معتل وجسمي صالح
وما كان ترك الشعر إلا لأنه ... تقصر عن وصف الأمير المدائح

وقال أيضا وقد تشكى سيف الدولة من دمل أصابه

أيدري ما أرابك من يريب ... وهل ترقى إلى الفلك الخطوب
وجسمك فوق همة كل داء ... فقرب أقلها منه عجيب
يجمشك الزمان هوى وحبا ... وقد يؤذى من المقة الحبيب
وكيف تنوبك الشكوى بداء ... وأنت المستغاث لما ينوب
وكيف تعلك الدنيا بشيء ... وأنت بعلة الدنيا طبيب
مللت مقام يوم ليس فيه ... طعان صادق ودم صبيب
وأنت الملك تمرضه الحشايا ... لهمته وتشفيه الحروب
وما بك غير حبك أن تراها ... وعثيرها لأرجلها جنيب
مجلحة لها أرض الأعادي ... وللسمر المناحر والجنوب
فقرطها الأعنة راجعات ... فإن بعيد ما طلبت قريب
إذا داء هفا بقراط عنه ... فلم يعرف لصاحبه ضريب
بسيف الدولة الوضاء تمسي ... جفوني تحت شمس ما تغيب
فأغزو من غزا وبه اقتداري ... وأرمي من رمى وبه أصيب
وللحساد عذر أن يشحوا ... على نظري إليه وأن يذوبوا
فإني قد وصلت إلى مكان ... عليه تحسد الحدق القلوب

وقال فيه أيضا وقد اعتل

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض ... ومن فوقها والبأس والكرم المحض
وكيف انتفاعي بالرقاد وإنما ... بعلته يعتل في الأعين الغمض
شفاك الذي يشفي بجودك خلقه ... فإنك بحر كل بحر له بعض

وقال وقد عوفي سيف الدولة من علته في شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم ... وزال عنك إلى أعدائك الألم
صحت بصحتك الغارات وابتهجت ... بها المكارم وانهلت بها الديم
وراجع الشمس نور كان فارقها ... كأنما فقده في جسمها سقم
ولاح برقك لي من عارضي ملك ... ما يسقط الغيث إلا حين يبتسم
تدعى الحسام وما يحكي مشابهه ... وكيف يشتبه المخدوم والخدم
تفرد العرب في الدنيا بمحتده ... وشارك العرب في إحسانه العجم
وأخلص الله للإسلام نصرته ... وإن تقلب في آلائه الأمم
وما أخصك في برء بتهنئة ... إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال يمدحه في انسلاخ شهر رمضان ويهنيه بالفطر

الصوم والفطر والأعياد والعصر ... منيرة بك حتى الشمس والقمر
ترى الأهلة وجها عم نائله ... فما يخص به من دونها البشر
ما الدهر عندك إلا روضة أنف ... يا من شمائله في دهره زهر
ما ينتهي لك في أيامه كرم ... فلا انتهى لك في أعوامه عمر
فإن حظك من تكرارها شرف ... وحظ غيرك منها الشيب والكبر

ومد قويق وهو نهر بحلب فأحاط بدار سيف الدولة وذرعها سبعة ألف ذراع وخرج فخرج أبو الطيب من عنده

تبلغ الماء الى صدر فرسه فقال

أحجب ذا البحر بحار دونه … يذمها الناس ويحمدونه
يا ماء هل حسدتنا معينه … ام اشتهيت ان ترى قرينه
ام انتجعت للغنى يمينه … ام زرته مكثرا قطينه
ام جئته مخندقا حصونه … ان الجياد والقنا يكفينه
يا رب لج جعلت سفينه … وغارب الروض توفت عونه
وذي جنون اذهبت جنونه … وشرب كاس اكثرت رنينه
وابدلت غناءه انينه … وضيغم اولجها عرينه
وملك اوطاها جبينه … يقودها مسهدا جفونه
مباشرا بنفسه شؤونه … مشرفا بطعنه طعينه
عفيف ما في ثوبه مامونه … ابيض ما في تاجه ميمونه
بحر يكون كل بحر نونه … شمس تمنى الشمس ان تكونه
ان تدع يا سيف لتستعينه … يجبك قبل ان تتم سينه
ادام من اعدائه تمكينه … من صان منهم نفسه ودينه

وقال في ذي الحجة من سنة اثنتين واربعين وثلثمائة يمدحه ويهنيه بالعيد انشده اياها في ميدان تحت مجلسه وهما على فرسين

لكل امرئ من دهره ما تعودا … وعادات سيف الدولة الطعن في العدى
وان يكذب الارجاف عنه بضده … ويمسي بما تنوي اعاديه اسعدا
ورب مريد ضره ضر نفسه … وهاد اليه الجيش اهدى وما هدى
ومستكبر لم يعرف الله ساعة … راى سيفه في كفه فتشهدا
هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا … على الدر واحذره اذا كان مزبدا
فاني رايت البحر يعثر بالفتى … وهذا الذي ياتي الفتى متعمدا
تظل ملوك الارض خاشعة له … تفارقه هلكى وتلقاه سجدا
وتحيي له المال الصوارم والقنا … ويقتل ما تحيي التبسم والجدا
ذكي تظنيه طليعة عينه … يرى قلبه في يومه ما ترى غدا
وصول الى المستصعبات بخيله … فلو كان قرن الشمس ماء لاوردا
لذلك سمى ابن الدمستق يومه … مماتا وسماه الدمستق مولدا
سريت الى جيحان من ارض آمد … ثلاثا لقد ادناك ركض وابعدا
فولى واعطاك ابنه وجيوشه … جميعا ولم يعط الجميع ليحمدا
عرضت له دون الحياة وطرفه … وابصر سيف الله منك مجردا
وما طلبت زرق الاسنة غيره … ولكن قسطنطين صار له الفدا
فاصبح يجتاب المسوح مخافة … وقد كان يجتاب الدلاص المسردا
ويمشي به العكاز في الدير تائبا … وما كان يرضى مشي اشقر اجردا
وما تاب حتى غادر الكر وجهه … جريحا وخلى جفنه النقع ارمدا
فلو كان ينجي من علي ترهب … ترهبت الاملاك مثنى وموحدا
وكل امرئ في الشرق والغرب بعدها … يعد له ثوبا من الشعر اسودا
هنيئا لك العيد الذي انت عيده … وعيد لمن سمى وضحى وعيدا
ولا زالت الاعياد لبسك بعده … تسلم مخروقا وتعطى مجددا
فذا اليوم في الايام مثلك في الورى … كما كنت فيهم اوحدا كان اوحدا
هو الجد حتى تفضل العين اختها … وحتى يكون اليوم لليوم سيدا
فواعجبا من دائل انت سيفه … اما يتوقى شفرتي ما تقلدا
ومن يجعل الضرغام للصيد بازه … تصيده الضرغام فيما تصيدا

رأيتك محض الحلم في محض قدرة … ولو شئت كان الحلم منك المهندا
وما قتل الاحرار كالعفو عنهم … ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
إذا انت اكرمت الكريم ملكته … وإن انت اكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى … مضر كوضع السيف في موضع الندى
ولكن تفوق الناس رأيا وحكمة … كما فقتهم حالا ونفسا ومحتدا
يدق على الافكار ما انت فاعل … فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا
ازل حسد الحساد عني بكبتهم … فانت الذي صيرتهم لي حسدا
إذا شد زندي حسن رأيك في يدي … ضربت بنصل يقطع الهام مغمدا
وما انا الا سمهري حملته … فزين معروضا وراع مسددا
وما الدهر الا من رواة قصائدي … إذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا … وغنى به من لا يغني مغردا
اجزني إذا انشدت مدحا فانما … بشعري اتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت بعد صوتي فانني … انا الصائح المحكي والآخر الصدى
تركت السرى خلفي لمن قل ماله … وانعلت افراسي بنعماك عسجدا
وقيدت نفسي في ذراك محبة … ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا
إذا سأل الإنسان ايامه الغنى … وكنت على بعد جعلتك موعدا

واهدى سيف الدولة الى ابي الطيب هدية بحلب فيها ثياب ديباج رومية ورمح وفرس معها مهرها وكان المهر من الفرس فاعجبه المهر ولم تعجبه الفرس فقال

ثياب كريم ما يصون حسانها … إذا نشرت كان الهبات صوانها
ترينا صناع الروم فيها ملوكها … وتجلو علينا نفسها وقيانها

ولم يكفها تصويرها الخيل وحدها … فصورت الاشياء الا زمانها
وما ادخرتها قدرة في مصور … سوى انها ما انطقت حيوانها
وسمراء يستغوي الفوارس قدها … ويذكرها كراتها وطعانها
ردينية تمت وكاد نباتها … يركب فيها زجها وسنانها
وام عتيق خاله دون عمه … رأى خلقها من اعجبته فعانها
إذا سايرته باينته وبانها … وشانته في عين البصير وزانها
فاين التي لا تأمن الخيل شرها … وشري ولا تعطي سواي امانها
واين التي لا ترجع الرمح خائبا … إذا خفضت يسرى يدي عنانها
وما لي ثناء لا اراك مكانه … فهل لك نعمى لا تراني مكانها

وجرى ذكر ما بين العرب والاكراد من الفضل فقال سيف الدولة ما تحكم في هذا يا ابا الطيب فقال ارتجالا ٥

إن كنت عن خير الانام سائلا … فخيرهم اكثرهم فضائلا
من انت منهم يا همام وائلا … الطاعنين في الوغى اوائلا
والعاذلين في الندى العواذلا … قد فضلوا بفضلك القبائلا

وجلس سيف الدولة لرسول ملك الروم الروس في صفر سنة ثلث واربعين وثلثمائة وحضر ابو الطيب فوجد دونه زحمة شديدة فثقل عليه الوصول واستبطاه سيف الدولة فقال ارتجالا

ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته … لا يصدق الوصف حتى يصدق النظر
تزاحم الجيش حتى لم يجد سببا … الى بساطك لي سمع ولا بصر
فكنت اشهد مختص واغيبه … معاينا وعياني كله خبر
اليوم يرفع ملك الروم ناظره … لان عفوك عنه عند ظفر

وان اجبت بشيء عن رسالته ... فلا يزال على الاملاك يفتخر
قد استراحت الى وقت رقابهم ... من السيوف وباقي الناس ينتظر
وقد تبدلها بالقوم غيرهم ... لكي تجم رؤوس القوم والقصر
تشبيه جودك بالامطار غادية ... جود لكفك ثان ناله المطر
تكسب الشمس منك النور طالعة ... كما تكسب منها نورها القمر

وقال يمدحه بعد دخول رسول ملك الروم في شهر ربيع الاول سنة ثلث واربعين وثلثمائة ه

دروع لملك الروم هذي الرسائل ... يرد بها عن نفسه ويشاغل
هي الزرد الضافي عليه ولفظها ... عليك ثناء شائع وفضائل
وانى اهتدى هذا الرسول بارضه ... وما سكنت مذ سرت فيها القساطل
ومن اي ماء كان يسقي جياده ... ولم تصف من مزج الدما المناهل
اتاك يكاد الرأس يجحد عنقه ... وتنقد تحت الذعر منه المفاصل
يقوم تقويم السماطين مشيه ... اليك اذا ما عوجته الافاكل
فقاسمك العينين منه ولحظه ... سميك والخل الذي لا يزايل
وابصر منك الرزق والرزق مطمع ... وابصر منه الموت والموت هائل
وقبل كما قبل الترب قبله ... وكل كمي واقف متضائل
واسعد مشتاق واظفر طالب ... همام الى تقبيل كمك واصل
مكان تمناه الشفاه ودونه ... صدور المذاكي والرماح الذوابل
فما بلغته ما اراد كرامة ... عليك ولكن لم يخب لك سائل
واكبر منه همة بعثت به ... اليك العدى واستنظرته الجحافل
فاقبل من اصحابه وهو مرسل ... وعاد الى اصحابه وهو عاذل

تحير في سيف ربيعة اصله ... وطابعه الرحمن والمجد صاقل
وما لونه مما تحصل مقلة ... ولا حده مما تجس الانامل
اذا عاينتك الرسل هانت نفوسها ... عليها وما جاءت به والمراسل
رجا الروم من ترجى النوافل كلها ... لديه ولا ترجى لديه الطوائل
فان كان خوف القتل والاسر ساقهم ... فقد فعلوا ما القتل والاسر فاعل
تخافوك حتى ما لقتل زيادة ... وجاؤك حتى ما تراد السلاسل
ارى كل ذي ملك اليك مصيره ... كانك بحر والملوك جداول
اذا مطرت منهم ومنك سحائب ... فوابلهم طل وطلك وابل
كريم متى استوهبت ما انت راكب ... وقد لقحت حرب فانك نازل
اذا الجود اعط الناس ما انت مالك ... ولا تعطين الناس ما انا قائل
افي كل يوم تحت ضبني شويعر ... ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل ... وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
واتعب من ناداك من لا تجيبه ... واغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما التيه طبي فيهم غير انني ... بغيض الى الجاهل المتعاقل
واكبر تيهي انني بك واثق ... واكثر مالي انني لك آمل
لعل لسيف الدولة القرم هبة ... يعيش بها حق ويهلك باطل
رميت عداه بالقوافي وفضله ... وهن الغوازي السالمات القواتل
وقد زعموا ان النجوم خوالد ... ولو حاربته ناح فيها الثواكل
وما كان ادناها له لو ارادها ... والطفها لو انه المتناول
قريب عليه كل ناء على الورى ... اذا لثمته بالغبار القنابل
تدبر شرق الارض والغرب كفه ... وليس لها وقتا عن الجود شاغل

تتبع هراب الرجال مراده ... فمن فر حربا عارضته الغوائل
ومن فر من إحسانه حسدا له ... تلقاه منه حيث ما سار نائل
فتى لا يرى إحسانه وهو كامل ... له كاملا حتى يرى وهو شامل
إذا العرب العرباء رازت نفوسها ... فأنت فتاها والمليك الحلاحل
أطاعتك في أرواحها وتصرفت ... بأمرك والتفت عليك القبائل
وكل أنابيب القنا مدد له ... وما تنكت الفرسان إلا العوامل
رأيتك لو لم يقتض الطعن في الوغى ... إليك انقيادا لاقتضته الشمائل
ومن لم تعلمه لك الذل نفسه ... من الناس طرا علمته المناصل

وأنفذ سيف الدولة إلى أبي الطيب قول الشاعر

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وسأله إجازته فأثبت في الرقعة والرسول واقف

لنا ملك ما يطعم النوم همه ... ممات لحي أو حياة لميت
ويكبر أن تقذى بشيء جفونه ... إذا ما رأته خلة بك فرت
جزى الله عني سيف دولة هاشم ... فإن نداه الغمر سيفي ودولتي

ولما وافى رسول ملك الروم رأى سيف الدولة يتشكى فقال أتراه يفرح بعلتنا فقال أبو الطيب

فديت بماذا يسر الرسول ... وأنت الصحيح بذا لا العليل
عواقب هذا تسوء العدو ... وتثبت فيك وهذا يزول

وأحدثت بنو كلاب حدثا بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب معه فأدركهم بعد ليال بين مائين يعرفان بالغبارات والخرارات من جبل البشر ونحو على مائة وعشرين ميلا من حلب فأوقع بهم ليلا فقتل وملك الحريم وأبقى عليه وأحسن إلى الحرم فقال أبو الطيب بعد رجوعه عن بني كلاب في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة

بغيرك راعيا عبث الذئاب ... وغيرك صارما ثلم الضراب
وتملك أنفس الثقلين طرا ... فكيف تحوز أنفسها كلاب
وما تركوك معصية ولكن ... يعاف الورد والموت الشراب
طلبتهم على الأمواه حتى ... تخوف أن تفتشه السحاب
فبت لياليا لا نوم فيها ... تخب بك المسومة العراب
يهز الجيش حولك جانبيه ... كما نفضت جناحيها العقاب
وتسأل عنهم الفلوات حتى ... أجابك بعضها وهم الجواب
فقاتل عن حريمهم وفروا ... ندى كفيك والنسب القراب
وحفظك فيهم سلفي معد ... وأنهم العشائر والصحاب
تكفكف عنهم صم العوالي ... وقد شرقت بظعنهم الشعاب
وأسقطت الأجنة في الولايا ... وأجهضت الحوائل والسقاب
وعمرو في ميامنهم عمور ... وكعب في مياسرهم كعاب
وقد خذلت أبو بكر بنيها ... وخاذلها قريظ والضباب
إذا ما سرت في آثار قوم ... تخاذلت الجماجم والرقاب
فعدن كما أخذن مكرمات ... عليهن القلائد والملاب
يثبنك بالذي أوليت شكرا ... وأين من الذي تولي الثواب
وليس مصيرهن إليك شينا ... ولا في صونهن لديك عاب
ولا في فقدهن بني كلاب ... إذا أبصرن غرتك اغتراب

وكيف يتم بأسك في أناس | تصيبهم فيؤلمك المصاب
ترفق أيها المولى عليهم | فإن الرفق بالجاني عتاب
وإنهم عبيدك حيث حلوا | إذا تدعو لحادثة أجابوا
وعين المخطئين هم وليسوا | بأول معشر خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم | وهجر حياتهم لهم عقاب
وما جهلت أياديك البوادي | ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مولده دلال | وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم | فحل بغير جارمه العذاب
فإن هابوا بجرمهم عليا | فقد يرجو عليا من يهاب
وإن يك سيف دولة غير قيس | فمنه جلود قيس والثياب
وتحت ربابه نبتوا وأثوا | وفي أيامه كثروا وطابوا
وتحت لوائه ضربوا الأعادي | وذل لهم من العرب الصعاب
ولو غير الأمير غزا كلابا | ثناه عن شموسهم ضباب
ولاقى دون ثايهم طعانا | يلاقي عنده الذئب الغراب
وخيلا تغتذي ريح الموامي | ويكفيها من الماء السراب
ولكن ربهم أسرى إليهم | فما نفع الوقوف ولا الذهاب
ولا ليل أجن ولا نهار | ولا خيل حملن ولا ركاب
رميتهم ببحر من حديد | له في البر خلفهم عباب
فمساهم وبسطهم حرير | وصبحهم وبسطهم تراب
ومن في كفه منهم قناة | كمن في كفه منهم خضاب
بنو قتلى أبيك بأرض نجد | ومن أبقى وأبقته الحراب
عفا عنهم وأعتقهم صغارا | وفي أعناق أكثرهم سخاب
وكلهم أتى مأتى أبيه | فكل فعال كلكم عجاب
كذا فليسر من طلب الأعادي | ومثل سراك فليكن الطلاب

وسار سيف الدولة من حلب نحو ثغر الحدث لبنائها وقد كان أهلها أسلموها بالأمان إلى الدمستق سنة سبع وثلاثين وثلثمائة فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ٥ وثلثمائة وبدأ في يومه فخط الأساس وحفر أوله بيده ابتغاء الثواب من عند الله عز وجل فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقاس دمستق النصرانية في نحو خمسين ألف فارس وراجل من جموع الروم والأرمن والروس والبلغر والصقلب والخزرية ووقعت المصافة يوم الاثنين انسلاخ جمادى الآخرة من أول النهار إلى وقت العصر ثم حمل سيف الدولة عليه بنفسه في خمسمائة من غلمانه وأصناف رجاله فقصد موكبه فهزمه وأظفره الله به وأسر تودس بطريق سمندو والقندو وهو صهر الدمستق على ابنته وأسر ابن ابنة الدمستق وقتل ثلاثة آلاف من مقاتلته وأسر خلقا من أصحاب رتبته وأراخنته فقتل أكثرهم واستبقى بعضهم وأقام على الحدث إلى أن بناها ووضع بيده آخر شرافة منها في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب فقال أبو الطيب وأنشده إياها بعد الوقعة بالحدث ٥

على قدر اهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها   وتصغر في عين العظيم العظائم

يكلف سيف الدولة الجيش همه   وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

ويطلب عند الناس ما عند نفسه   وذلك ما لا تدعيه الضراغم

تفدّى اتمّ الطير عمرا سلاحه   نسور الملا احداثها والقشاعم

وما ضرها خلق بغير مخالب   وقد خلقت اسيافه والقوائم

هل الحدث الحمراء تعرف لونها   وتعلم اي الساقيين الغمائم

سقتها الغمام الغر قبل نزوله   فلما دنا منها سقتها الجماجم

بناها فاعلى والقنا يقرع القنا   وموج المنايا حولها متلاطم

وكان بها مثل الجنون فاصبحت   ومن جثث القتلى عليها تمائم

طريدة دهر ساقها فرددتها   على الدين بالخطي والدهر راغم

تفيت الليالي كل شيء اخذته   وهن لما ياخذن منك غوارم

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا   مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

وكيف ترجي الروم والروس هدمها   وذا الطعن اساس لها ودعائم

وقد حاكموها والمنايا حواكم   فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

اتوك يجرون الحديد كانهم   سروا بجياد ما لهن قوائم

اذا برقوا لم تعرف البيض منهم   ثيابهم من مثلها والعمائم

خميس بشرق الارض والغرب زحفه   وفي اذن الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لسن وامة   فما تفهم الحداث الا التراجم

فلله وقت ذوب الغش ناره   فلم يبق الا صارم او ضبارم

تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا   وفر من الفرسان من لا يصادم

وقفت وما في الموت شك لواقف   كانك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى   الى قول قوم انت بالغيب عالم

ضممت جناحيهم على القلب ضمة   تموت الخوافي تحتها والقوادم

بضرب اتى الهامات والنصر غائب   وصار الى اللبات والنصر قادم

حقرت الردينيات حتى طرحتها   وحتى كأن الرمح للسيف شاتم

ومن طلب الفتح الجليل فانما   مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

نثرتهم فوق الاحيدب كله   كما نثرت فوق العروس الدراهم

تدوس بك الخيل الوكور على الذرى   وقد كثرت حول الوكور المطاعم

تظن فراخ الفتخ انك زرتها   بامّاتها وهي العتاق الصلادم

اذا زلقت مشيتها ببطونها   كما تتمشى في الصعيد الاراقم

افي كل يوم ذا الدمستق مقدم   قفاه على الاقدام للوجه لائم

اينكر ريح الليث حتى يذوقه   وقد عرفت ريح الليوث البهائم

وقد فجعته بابنه وابن صهره   وبالصهر حملات الامير الغواشم

مضى يشكر الاصحاب في فوته الظبى   لما شغلتها هامهم والمعاصم

ويفهم صوت المشرفية فيهم   على ان اصوات السيوف اعاجم

يسر بما اعطاك لا عن جهالة   ولكن مغنوما نجا منك غانم

ولست مليكا هازما لنظيره   ولكنك التوحيد للشرك هازم

تشرف عدنان به لا ربيعة   وتفتخر الدنيا به لا العواصم

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه   فانك معطيه واني ناظم

واني لتعدو بي عطاياك في الوغى   فلا انا مذموم ولا انت نادم

على كل طيارٍ اليها برجله ... اذا وقعت في مسمعيه الغماغم
الا ايها السيف الذي لست مغمدا ... ولا فيك مرتاب ولا منك عاصم
هنيئا لضرب الهام والمجد والعلى ... وراجيك والاسلام انك سالم
ولم لا يقي الرحمن حديك ما وقى ... وتفليقه هام العدى بك دائم

وورد على سيف الدولة فرسان طرسوس واذنة والمصيصة ومعهم رسول ملك الروم يسئل الفداء والهدنة في يوم الاحد لثلث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة اربع واربعين وثلثمائة فقال ابو الطيب وانشدها بحضرتهم وقت دخولهم ٥

اراع كذا كل الانام همام ... وسح له رسل الملوك غمام
ودانت له الدنيا فاصبح جالسا ... وايامها فيما يريد قيام
اذا زار سيف الدولة الروم غازيا ... كفاها لمام لو كفاه لمام
فتى يتبع الازمان في الناس خطوه ... لكل زمان في يديه زمام
تنام لديك الرسل امنا وغبطة ... واجفان رب الرسل ليس تنام
حذارا لمعرورى الجياد فجاءة ... الى الطعن قبلا ما لهن لجام
تعطف فيه والاعنة شعرها ... وتضرب فيه والسياط كلام
وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا ... اذا لم يكن فوق الكرام كرام
الى كم ترد الرسل عما اتوا له ... كانهم فيما وهبت ملام
فان كنت لا تعطي الذمام طواعة ... فعوذ الاعادي بالكرام ذمام
وان نفوسا امتك منيعة ... وان دماء املتك حرام
اذا خاف ملك من مليك اجرته ... وسيفك خافوا والجوار تسام
لهم عنك بالبيض الخفاف تفرق ... وحولك بالكتب اللطاف زحام
تغر حلاوات النفوس قلوبها ... فتختار بعض العيش وهو حمام
وشر الحمامين الزؤامين عيشة ... يذل الذي يختارها ويضام
فلو كان صلحا لم يكن بشفاعة ... ولكنه ذل لهم وغرام
ومن لفرسان الثغور عليهم ... بتبليغهم ما لا يكاد يرام
كتائب كانوا خاضعين فاقدموا ... ولو لم يكونوا خاضعين لخاموا
وعزوا وعامت في نداك وعاموا
وعزت قديما في ذراك خيولهم ... وعزوا وعامت في نداك وعاموا
على وجهك الميمون في كل غارة ... صلوة توالى منهم وسلام
وكل اناس يتبعون امامهم ... وانت لاهل المكرمات امام
ورب جواب عن كتاب بعثته ... وعنوانه للناظرين قتام
تضيق به البيداء من قبل نشره ... وما فض بالبيداء عنه ختام
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة ... جواد ورمح ذابل وحسام
اذا الحرب قد اتعبتها فاله ساعة ... ليغمد نصل او يحل حزام
وان طال اعمار الرماح بهدنة ... فان الذي يعمرن عندك عام
متى عاود الجالون عاودت ارضهم ... وفيها رقاب للسيوف وهام
وما زلت تفني السمر وهي كثيرة ... وتفني بهن الجيش وهو لهام
وربوا اللدى الاولاد حتى تصيبها ... وقد كعبت بنت وشب غلام
جرى معك الجارون حتى اذا انتهوا ... الى الغاية القصوى جريت وقاموا
فليس لشمس مذ انرت انارة ... وليس لبدر مذ تممت تمام

وقصدت الناس بذكر ايقاع سيف الدولة ببني عقيل وقشير والعجلان وكلاب لما عاثوا في نواحي اعماله وقصده اياهم واهلاكه من اهلكه منهم وعفوه عمن عفى عنه ٥

تذكرت ما بين العذيب وبارق … مجر عوالينا ومجرى السوابق

وصحبة قوم يذبحون قنيصهم … بفضلات ما قد كسروا في المفارق

وليلا توسدنا الثوية تحته … كأن ثراها عنبر في المرافق

بلاد اذا زار الحسان بغيرها … حصى تربها ثقبنه للمخانق

سقتني بها القطربلي مليحة … على كاذب من وعدها ضوء صادق

سهاد لأجفان وشمس لناظر … وسقم لأبدان ومسك لناشق

وأغيد يهوى نفسه كل عاقل … عفيف ويهوى جسمه كل فاسق

أديب اذا ما جس أوتار مزهر … بلا كل سمع عن سواها بعائق

يحدث عما بين عاد وبينه … وصدغاه في خدي غلام مراهق

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له … اذا لم يكن في فعله والخلائق

وما بلد الانسان غير الموافق … ولا أهله الأدنون غير الأصادق

وجائزة دعوى المحبة والهوى … وان كان لا يخفى كلام المنافق

برأي من انقادت عقيل الى الردى … واشمات مخلوق واسخاط خالق

أرادوا عليا بالذي يعجز الورى … ويوسع قتل الجحفل المتضايق

فما بسطوا كفا الى غير قاطع … ولا حملوا رأسا الى غير فالق

لقد أقدموا لو صادفوا غير آخذ … وقد هربوا لو صادفوا غير لاحق

ولما كسا كعبا ثيابا طغوا بها … رمى كل ثوب من سنان بخارق

فلما سقى الغيث الذي كفروا به … سقى غيره في غير تلك البوارق

وما يوجع الحرمان من كف حارم … كما يوجع الحرمان من كف رازق

أتاهم بها حشو العجاجة والقنا … سنابكها تحشو بطون الحمالق

عوابس حلى يابس الماء حزمها … فهن على أوساطها كالمناطق

فليت أبا الهيجا رأى خلف تدمر … طوال العوالي في طوال السمالق

وسوق علي من معد وغيرها … قبائل لا تعطي القفي لسائق

قشير وبلعجلان فيها خفية … كراءين في ألفاظ ألثغ ناطق

تخليهم النسوان غير فوارك … وهم خلوا النسوان غير طوالق

يفرق ما بين الكماة وأهلها … بضرب يسلي حره كل عاشق

أتى الظعن فيها حتى ما يطير رشاشه … من الخيل الا في نحور العواتق

بكل فلاة تنكر الانس أرضها … ظعائن حمر الحلي حمر الأيانق

وملمومة سيفية ربعية … تصيح الحصى فيها صياح اللقالق

بعيدة أطراف القنا من أصولها … قريبة بين البيض غبر اليلامق

نهاها وأغناها عن النهب جوده … فما تبتغي الا حماة الحقائق

توهمها الأعراب سورة مترف … تذكره البيدا وظل السرادق

فذكرتهم بالماء ساعة غبرت … سماوة كلب في أنوف الحزائق

وكانوا يروعون الملوك بأن بدوا … وأن نبتت في الماء نبت الغلافق

فهاجوك أهدى في الفلا من نجومه … وأبدى بيوتا من أداحي النقانق

وأصبر عن أمواهه من ضبابه … وآلف منها مقلة للودائق

وكانوا هدرا من فحول تركتها … مهلبة الأذناب خرس الشقاشق

فما حرموا بالركض خيلك راحة … ولكن كفاها البر قطع الشواهق

ولا شغلوا صم القنا بقلوبهم … عن الركز لكن عن قلوب الدماسق

ألم يحذروا مسخ الذي يمسخ العدى … ويجعل أيدي الأسد أيدي الخرانق

وقد عاينوه في سواهم وربما … أرى مارقا في الحرب مصرع مارق

تعود أن لا تقضم الحب خيله … اذا الهام لم ترفع جنوب العلائق

ولا ترد الغدران الا وماؤها … من الدم كالريحان تحت الشقائق
لوفد نمير كان ارشد منهم … وقد طردوا الاظعان طرد الوسائق
اعدوا رماحا من خضوع فطاعنوا … بها الجيش حتى رد غرب الفيالق
فلم ار ارمى منه غير مخاتل … واسرى الى الاعداء غير مسارق
تصيب المجانيق العظام بكفه … دقائق قد اعيت قسي البنادق

وقال ابو الطيب هذه القصيدة في هذه السرية الا انه لم يذكر المنازل ولا وصف الوقعة لانه لم يشهدها فشرحها سيف الدولة وساله ان يصفها فقال

طوال قنا تطاعنها قصار … وقطرك في ندى ووغى بحار
وفيك اذا جنى الجاني اناة … تظن كرامة وهي احتقار
واخذ للحواضر والبوادي … بضبط لم تعوده نزار
تشممه شميم الوحش انسا … وتنكره فيعروها نفار
وما انقادت لغيرك في زمان … فتدري ما المقادة والصغار
واقرحت المقاود ذفرييها … وصعر خدها هذا العذار
واطمع عامر البقيا عليها … ونزقها احتمالك والوقار
وغيرها التراسل والتشاكي … واعجبها التلبب والمغار
جياد تعجز الارسان عنها … وفرسان تضيق بها الديار
وكانت بالتوقف عن رداها … نفوسا في رداها تستشار
وكنت السيف قائمه اليها … وفي الاعداء حدك والغرار
فامست بالبدية شفرتاه … وامسى خلف قائمه الحيار
وكان بنو كلاب حيث كعب … فخافوا ان يصيروا حيث صاروا
تلقوا عز مولاهم بذل … وسار الى بني كعب وساروا
فاقبلها المروج مسومات … ضوامر لا هزال ولا شيار
تثير على سلمية مسبطرا … تناكر تحته لولا الشعار
عجاجا تعثر العقبان فيه … كان الموت بينهما اختصار
وظل الطعن في الخيلين خلسا … كان الجو وعث او خبار
فلزهم الطراد الى قتال … احد سلاحهم فيه الفرار
مضوا متسابقي الاعضاء فيه … لارؤسهم بارجلهم عثار
يشلهم بكل اقب نهد … لفارسه على الخيل الخيار
وكل اصم يعسل جانباه … على الكعبين منه دم ممار
يغادر كل ملتفت اليه … ولبته لثعلبه وجار
اذا صرف النهار الضوء عنهم … دجى ليلان ليل والغبار
وان جنح الظلام انجاب عنهم … اضاء المشرفية والنهار
يبكي خلفهم دثر بكاه … رغاء او ثؤاج او يعار
غطا بالعثير البيداء حتى … تحيرت المتالي والعشار
ومروا بالجباة يضم فيها … كلا الجيشين من نقع ازار
وجاؤوا الصحصحان بلا سروج … وقد سقط العمامة والخمار
وارهقت العذارى مردفات … واوطئت الاصيبية الصغار
وقد نزح العوير فلا عوير … ونهيا والبييضة والجفار
وليس بغير تدمر مستغاث … وتدمر كاسمها لهم دمار
ارادوا ان يديروا الراي فيها … فصبحهم برأي لا يدار
وجيش كلما حاروا بارض … واقبل اقبلت فيه تحار

يحف أغر لا قود عليه   ولا دية تساق ولا اعتذار
تريق سيوفه مهج الأعادي   وكل دم أراقته جبار
فكانوا الأسد ليس لها مصال   على طير وليس لها مطار
إذا فاتوا الرماح تناولتهم   بأرماح من العطش القفار
يرون الموت قداما وخلفا   فيختارون والموت اضطرار
إذا سلك السماوة غير هاد   فقتلاهم لعينيه منار
ولو لم تبق لم تعش البقايا   وفي الماضي لمن بقي اعتبار
إذا لم يرع سيدهم عليهم   فمن يرعى عليهم أو يغار
تفرقهم وإياه السجايا   ويجمعهم وإياه النجار
ومال بها على أرك وعرض   وأهل الرقتين لها مزار
وأجفل بالفرات بنو نمير   وزأرهم الذي زأروا خوار
فهم حزق على الخابور صرعى   بهم من شرب غيرهم خمار
فلم يسرح لهم في الصبح مال   ولم توقد لهم بالليل نار
حذار فتى إذا لم يرض عنهم   فليس بنافع لهم الحذار
تبيت وفودهم تسري إليه   وجدواه التي سألوا اغتفار
فخلفهم برد البيض عنهم   وهامهم له معهم معار
هم ممن أذم لهم عليه   كريم العرق والحسب النضار
فأضحى بالعواصم مستقرا   وليس لبحر نائله قرار
وأضحى ذكره في كل أرض   تدار على الغناء به العقار
تخر له القبائل ساجدات   وتحمده الأسنة والشفار
كأن شعاع عين الشمس فيه   ففي أبصارنا عنه انكسار

فمن طلب الطعان فذا علي   وخيل الله والأسل الحرار
يراه الناس حيث رأته كعب   بأرض ما لنازلها استتار
يوسطه المفاوز كل يوم   طلاب الطالبين لا الانتظار
تصاهل خيله متجاوبات   وما من عادة الخيل السرار
بنو كعب وما أثرت فيهم   يد لم يدمها إلا السوار
بها من قطعه ألم ونقص   وفيها من جلالته افتخار
لهم حق بشركك في نزار   وأدنى الشرك في أصل جوار
لعل بنيهم لبنيك جند   فأول قرح الخيل المهار
وأنت أبر من لو عق أفنى   وأعفى من عقوبته البوار
وأقدر من يهيجه انتصار   وأحلم من تحلمه اقتدار
وما في سطوة الأرباب عيب   ولا في ذلة العبدان عار

وقال أيضا وقد ودعه سيف الدولة يريد السفر إلى الإقطاع الذي أقطعه إياه بمعرة النعمان

أيا راميا يصمي فؤاد مرامه   تربي عداه ريشها لسهامه
أسير إلى إقطاعه في ثيابه   على طرفه من داره بحسامه
وما مطرتنيه من البيض والقنا   وروم العبدى هاطلات غمامه
فتى يهب الإقليم بالمال والقرى   ومن فيه من فرسانه وكرامه
ويجعل ما خولته من نواله   جزاء لما خولته من كلامه
فلا زالت الشمس التي في سمائه   مطالعة الشمس التي في لثامه
ولا زال تجتاز البدور بوجهه   تعجب من نقصانها وكماله

أيضا في يوم الأربعا للنصف من شهر رمضان

سنة اربع واربعين وثلثمائة معزيا لسيف الدولة لما
توفيت اخته الصغرى ومسليا له ببقاء الاخت الاخرى

إن يكن صبر ذي الرزيئة فضلا ... تكن الافضل الاعز الاجلا
انت يا فوق ان تعزى عن الاحـ ... ـباب فوق الذي يعزيك عقلا
وبالفاظك اهتدى فاذا عـ ... ـزاك قال الذي قلت قبلا
قد بلوت الخطوب مرا وحلوا ... وسلكت الايام حزنا وسهلا
وقتلت الزمان علما فما يغـ ... ـرب قولا ولا يجدد فعلا
اجد الحزن فيك حفظا وعقلا ... واراه في الخلق ذعرا وجهلا
لك الف تجره واذا ما ... كرم الاصل كان للالف اصلا
ووفاء نبت فيه ولكن ... لم يزل للوفاء اهلك اهلا
ان خير الدموع عينا لدمع ... بعثته رعاية فاستهلا
اين ذي الرقة التي لك في الحر ... ب اذا استكره الحديد وصلا
اين خلفتها غداة لقيت الرو ... م والهام بالصوارم تفلا
قاسمتك المنون شخصين جورا ... جعل القسم نفسه فيه عدلا
فاذا قست ما اخذن بما اغدرن ... سرى عن الفؤاد وسلى
وتيقنت ان حظك اوفى ... وتبينت ان جدك اعلى
ولعمري لقد شغلت المنايا ... بالاعادي فكيف يطلبن شغلا
وكم انتشت بالسيوف من الدهـ ... ـر اسيرا وبالنوال مقلا
عدها نصرة عليه فلما ... صال ختلا راه ادرك تبلا
كذبته ظنونه انت تبليـ ... ـه وتبقى في نعمة ليس تبلى
ولقد رامك العداة كما را ... م فلم يجرحوا لشخصك ظلا

ولقد رمت بالسعادة بعضا ... من نفوس العدى فادركت كلا
قارعت رمحك الرماح ولكن ... ترك الرامحين رمحك عزلا
لو يكون الذي وردت من الفجـ ... ـعة طعنا اوردته الخيل قبلا
ولكشفت ذا الحنين بضرب ... طالما كشف الكروب وجلا
خطبة للحمام ليس لها ... وان كانت المسماة ثكلا
واذا لم تجد من الناس كفؤا ... ذات خدر ارادت الموت بعلا
ولذيذ الحيوة انفس في النفـ ... ـس واشهى من ان يمل واحلى
واذا الشيخ قال اف فما مل ... حيوة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب ... فاذا وليا عن المرء ولى
ابدا تسترد ما وهب الدنـ ... ـيا فيا ليت جودها كان بخلا
فكفت كون فرحة تورث الغـ ... ـم وخل يغادر الوجد خلا
ومتى معشوقة على الغدر لا ... تحفظ عهدا ولا تتمم وصلا
كل دمع تسيل منها عليها ... وبفك اليدين منها تخلى
شيم الغانيات فيها فلا اد ... ري لذا انث اسمها الناس ام لا
يا مليك الورى المفرق محيا ... ومماتا فيهم وعزا وذلا
قلد الله دولة سيفها انـ ... ـت حساما بالمكرمات محلى
فبه اغنت الموالي بذلا ... وبه افنت الاعادي قتلا
واذا اهتز للندى كان بحرا ... واذا اهتز للوغا كان نصلا
واذا الارض اظلمت كان شمسا ... واذا الارض امحلت كان وبلا
وهو الضارب الكتيبة والطعـ ... ـنة تغلو والضرب اعلى واغلى
ايها الباهر العقول فما تد ... رك وصفا اتعبت فكري فمهلا

من تعاطى تشبها بك اعيا ... ه ومن دل في طريقك ضلا

فاذا ما اشتهى خلودك داع ... قال لا زلت او ترى لك مثلا

وورد على سيف الدولة الخبر آخر ساعة من نهار يوم الثلثا لست خلون من جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وثلثمائة بان الدمستق وجيوش النصرانية قد نازلت ثغر الحدث في يوم الاحد ونصبت مكايد الحصون عليه وقدرتها فرصة لما تداخلها من القلق والانزعاج والوصم في تمام بنائه على يد سيف الدولة ولان ملكهم الزمهم قصدها وانجدهم باصناف الكفر والروس والصقلب وغيرهم فسار سيف الدولة نحوها وسار ابو الطيب معه فقال بعد الوقعة ٥

ذي المعالي فليعلون من تعالى ... هكذا هكذا والا فلا لا

شرف ينطح النجوم بروقيه ... وعز يقلقل الاجبالا

حال اعدائنا عظيم وسيـ ... ف الدولة ابن السيوف اعظم حالا

كلما اعجلوا النذير مسيرا ... اعجلتهم جياده الاعجالا

فاتتهم خوارق الارض ما ... تحمل الا الحديد والابطالا

خافيات الالوان قد نسج الـ ... نقع عليها براقعا وجلالا

حالفته صدورها والعوالي ... ليخوضن دونه الاهوالا

ولتمضن حيث لا يجد الرمـ ... ح مدارا ولا الحصان مجالا

لا الوم ابن لاون ملك الرو ... م وان كان ما تمنى محالا

اقلقته بنية بين اذنيـ ... ه وبان بغى السماء فنالا

كلما رام حطها اتسع البنـ ... ى فغطى جبينه والقذالا

يجمع الروم والصقالب والـ ... بلغر فيها وتجمع الآجالا

وتوافيهم بها في القنا السمـ ... ر كما وافت العطاش الصلالا

قصدوا هدم سورها فبنوه ... واتوا كي يقصروه فطالا

واستجروا مكايد الحرب حتى ... تركوها لها عليهم وبالا

رب امر اتاك لا تحمد الفعـ ... ال فيه وتحمد الافعالا

وقسي رميت عنها فردت ... في قلوب الرماة عنك النصالا

اخذوا الطرق يقطعون بها الـ ... رسل فكان انقطاعها ارسالا

وهم البحر ذو الغوارب الا ... انه صار عند بحرك آلا

ما مضوا لم يقاتلوك ولكـ ... ن القتال الذي كفاك القتالا

والذي قطع الرقاب من الضر ... ب بكفيك قطع الآمالا

والثبات الذي اجادوا قديما ... علم الثابتين ذا الاجفالا

نزلوا في مصارع عرفوها ... يندبون الاعمام والاخوالا

تحمل الريح بينهم شعر الها ... م وتذري عليهم الاوصالا

تنذر الجسم ان يقيم لديها ... وتريه لكل عضو مثالا

ابصروا الطعن في القلوب دراكا ... قبل ان يبصروا الرماح خيالا

واذا حاولت طعانك خيل ... ابصرت اذرع القنا اميالا

بسط الرعب في اليمين يمينا ... فتولوا وفي الشمال شمالا

ينفض الروع ايديا ليس تدري ... اسيوفا حملن ام اغلالا

ووجوها اخافها منك وجه ... تركت حسنها له والجمالا

والعيان الجلي يحدث للظـ ... ن زوالا وللمراد انتقالا

واذا ما خلا الجبان بارض ... طلب الطعن وحده والنزالا

اقسموا لا راوك الا بقلب   طال ما غرّت العيون الرجالا
اىّ عين تاملتك فلاقتـ   ـك وطرفٍ رنا اليك فآلا
ما يشكّ اللعين فى اخذك الـ   ـجيش فهل يبعث الجيوش نوالا
ما لمن ينصب الحبائل فى الار   ض ومرجاه ان يصيد الهلالا
انّ دون التى على الدرب والاحـ   ـدب والنهر مخلطا مزيالا
غصب الدهر والملوك عليها   فبناها فى وجنة الدهر خالا
وحماها بكلّ مطّرد الاكعـ   ـب جور الزمان والاوجالا
فهى تمشى مشى العروس اختيالا   وتثنّى على الزمان دلالا
فى خميس من الاسود بئيس   يفترسن النفوس والاموالا
وظبى تعرف الحرام من الحـ   ـلّ فقد افنت الدما حلالا
انّما انفس الانيس سباع   يتفارسن جهرة واغتيالا
من اطاق التماس شئ غلابا   واغتصابا لم يلتمسه سؤالا
كلّ غاد لحاجة يتمنّى   ان يكون الغضنفر الرئبالا

وفزع الناس لخيل لقيت سريّة سيف الدولة ببلد الروم فركب وركب ابو الطيّب معه فوجد السريّة قد قتلت بعض الخيل واراه بعض العرب سيفه فنظر الى الدم عليه والى فلول اصابته فى ذلك الوقت فانشد سيف الدولة متمثلا قول النابغة ٥

ولا عيب فيهم غير انّ سيوفهم   بهنّ فلول من قراع الكتائب
تخيّرن من ازمان يوم حليمة   الى اليوم قد جرّبن كلّ التجارب

فانشده ابو الطيّب ارتجالا مجيبا له ٥

رايتك توسع الشعراء نيلا   حديثهم المولّد والقديما
فتعطى من بقى مالا جسيما   وتعطى من مضى شرفا عميما
سمعتك منشدا بيتى زياد   نشيدا مثل منشده كريما
فما انكرت موضعه ولكن   غبطت بذاك اعظمه الرميما

وقال ابو الطيّب كان قد اجتاز سنة احدى وعشرين وثلثمائة براس عين وقد اوقع سيف الدولة بعمرو بن حابس من بنى اسد وبنى ضبّة ورياح من بنى تميم ولم ينشده ايّاها فلمّا لقيه دخلت فى جملة المديح وهى من قوله فى صباه

ذكر الصبى ومرابع الآرام   جلبت حمامى قبل وقت حمامى
دمن تكاثرت الهموم علىّ فى   عرصاتها كتكاثر اللوّام
وكانّ كلّ سحابة وقفت بها   تبكى بعينى عروة بن حزام
ولطالما افنيت ريق كعابها   فيها وافنت بالعتاب كلامى
قد كنت تهزاء بالفراق مجانة   وتجرّ ذيلى شرّة وعرام
ليس القباب على الركاب وانّما   هنّ الحيوة ترحّلت بسلام
ليت خلق النوى جعل الحصى   لخفافهنّ مفاصلى وعظامى
متلاحظين نسحّ ماء شؤوننا   حذرا من الرقباء فى الاكمام
ارواحنا انهملن وعشنا بعدها   من بعد ما قطرت على الاقدام
لو كنّ يوم جرين كنّ كصبرنا   عند الرحيل لكنّ غير سجام
لم يتركوا لى صاحبا الّا الاسى   وذميل ذعلبة كفحل نعام
وتعذّر الاحرار صيّر ظهرها   الّا اليك علىّ فرج حرام
انت الغريبة فى زمان اهله   ولدت مكارمهم لغير تمام

أكثرت من بذل النوال ولم تزل   علماً على الإفضال والإنعام

صغرت كل كبيرة وكبرت عن   لكأنه وعددت سن غلام

ورحلت في حلل الثناء وإنما   عدم الثناء نهاية الإعدام

عيب عليك ترى بسيف في الوغى   ما يصنع الصمصام بالصمصام

إن كان مثلك كان أو هو كائن   فبرئت حينئذ من الإسلام

ملك زهت بمكانه أيامه   حتى افتخرن به على الأيام

وتخاله سلب الورى من حلمه   أحلامهم فهم بلا أحلام

وإذا امتحنت تكشفت عزماته   عن أوحدي النقض والإبرام

وإذا سألت بنانه عن نيله   لم يرض بالدنيا قضاء ذمام

مهلاً ألا لله ما صنع القنا   في عمرو حاب وضبة الأغنام

لما تحكمت الأسنة فيهم   جارت وهن يجرن في الأحكام

فتركتهم خلل البيوت كأنما   غضبت رؤوسهم على الأجسام

أحجار ناس فوق أرض من دم   ونجوم بيض في سماء قتام

وذراع كل أبي فلان كنية   حالت فصاحبها أبو الأيتام

عهدي بمعترك الأمير وخيله   في النقع محجمة عن الإحجام

يا سيف دولة هاشم من رام أن   يلقى منالك رام غير مرام

صلى الإله عليك غير مودع   وسقى ثرى أبويك صوب غمام

وكساك ثوب مهابة من عنده   وأراك وجه شقيقك القمقام

فلقد رمى بلد العدو بنفسه   في روق أرعن كالغطم لهام

قوم تفرست المنايا فيكم   فرأت لكم في الحرب صبر كرام

تالله ما علم امرؤ لولاكم   كيف السخاء وكيف ضرب الهام

وقال يمدحه بآمد وكان دخوله إليها منصرفاً من بلاد الروم في آخر نهار يوم الأحد لعشر خلون من صفر سنة خمس وأربعين وثلثمائة ٥

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مرة   بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أقرانه   بالرأي قبل تطاعن الأقران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم   أدنى إلى شرف من الإنسان

ولما تفاضلت النفوس ودبرت   أيدي الكماة عوالي المران

لولا سمي سيوفه ومضاؤه   لما سللن لكن كالأجفان

خاض الحمام بهن حتى ما درى   أمن احتقار ذاك أم نسيان

وسعى فقصر عن مداه في العلى   أهل الزمان وأهل كل زمان

تخذوا المجالس في البيوت وعنده   أن السروج مجالس الفرسان

وتوهموا اللعب الوغى والطعن في   الهيجاء غير الطعن في الميدان

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقد   إلا إلى العادات والأوطان

كل ابن سابقة يغير بحسنه   في قلب صاحبه على الأحزان

إن خليت ربطت بآداب الوغى   فدعاؤها يغني عن الأرسان

في جحفل ستر العيون غباره   فكأنما يبصرن بالآذان

يرمي بها البلد البعيد مظفر   كل البعيد له قريب دان

فكأن أرجلها بتربة منبج   يطرحن أيديها بحصن الران

حتى عبرن بأرسناس سوابحاً   ينشرن فيه عمائم الفرسان

يقمصن في مثل المدى من بارد   بذر الفحول وهن كالخصيان

والماء بين عجاجتين مخلّص * يتفرّقان به وتلتقيان
ركض الأمير وكاللجين حبابه * وثنى الأعنّة وهو كالعقيان
فتل الحبال من الغدائر فوقه * وبنى السفين له من الصلبان
وحشاه عادية بغير قوائم * عقم البطون حوالك الألوان
تأتي بما سبت الخيول كأنها * تحت الحسان مرابض الغزلان
بحر تعوّد أن يذمّ لأهله * من دهره وطوارق الحدثان
فتركته وإذا أذمّ من الورى * راعاك فاستثنى بني حمدان
المخفرين بكل أبيض صارم * ذمم الدروع على ذوي التيجان
متصعلكين على كثافة ملكهم * متواضعين على عظيم الشان
يتقيّلون ظلال كل مطهّم * أجل الظليم وربقة السرحان
خضعت لمنصلك المناصل عنوة * وأذلّ دينك سائر الأديان
وعلى الدروب وفي الرجوع غضاضة * والسير ممتنع من الإمكان
والطرق ضيّقة المسالك بالقنا * والكفر مجتمع على الإيمان
نظروا إلى زبر الحديد كأنما * يصعدن بين مناكب العقبان
وفوارس يحيي الحمام نفوسها * فكأنها ليست من الحيوان
ما زلت تضربهم دراكًا في الذرى * ضربًا كأنّ السيف فيه اثنان
خصّ الجماجم والوجوه كأنما * جاءت إليك جسومهم بأمان
فرموا بما يرمون عنه وأدبروا * يطأون كل حنيّة مرنان
يغشاهم مطر السحاب مفصّلا * بمهنّد ومثقّف وسنان
حرموا الذي أمّلوا وأدرك منهم * آماله من عاد بالحرمان
وإذا الرماح شغلن مهجة ثائر * شغلته مهجته عن الإخوان
هيهات عاق عن العواد قواضب * كثر القتيل بها وقلّ العاني
ومهذّب أمر المنايا فيهم * فأطعنه في طاعة الرحمن
قد سوّدت شجر الجبال رؤسهم * فكأنّ فيه مسفّة الغربان
وجرى على الورق النجيع القاني * فكأنه النارنج في الأغصان
إنّ السيوف مع الذين قلوبهم * كقلوبهن إذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حدّه * مثل الجبان بكفّ كل جبان
رفعت بك العرب العماد وصيّرت * قمم الملوك مواقد النيران
أنساب فخرهم إليك وإنما * أنساب أصلهم إلى عدنان
يا من يقتّل من أراد بسيفه * أصبحت من قتلاك بالإحسان
فإذا رأيتك حار دونك ناظري * وإذا مدحتك حار فيك لساني

وتحدّث بحضرة سيف الدولة أنّ البطريق أقسم عند ملكه أنه يعارض سيف الدولة في الدرب ولا يهرب منه ويجتهد في لقائه وسأله إنجاده ببطارقته وعدده وعدده ففعل فخيّب الله ظنّه وأتعس جدّه فقال أبو الطيب وأنشدها إياه بحلب سنة خمس وأربعين وثلثمائة وهي آخر قصيدة قالها بحضرة سيف الدولة ٥

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم * ماذا يزيدك في إقدامك القسم
وفي اليمين على ما أنت فاعله * ما دلّ أنك في الميعاد متّهم
آلى الفتى ابن شمشقيق فأحنثه * فتى من الضرب ينسى عنده الكلم
وفاعل ما اشتهى يغنيه عن حلف * على الفعال حضور الفعل والكرم
كل السيوف إذا طال الضراب بها * يمسّها غير سيف الدولة السأم

لو كلت الخيل حتى لا تحمله   تحملته إلى أعدائه الهمم
أين البطاريق والحلف الذي حلفوا   بمفرق الملك والزعم الذي زعموا
ولى صوارمه إكذاب قولهم   فهن ألسنة أفواهها القمم
نواطق مخبرات في جماجمهم   عنه بما جهلوا منه وما علموا
الراجع الخيل محفاة مقودة   من كل مثل وبار أهلها إرم
كتل بطريق المغرور ساكنها   بأن دارك قنسرون والأجم
وظنهم أنك المصباح في حلب   إذا قصدت سواها عادها الظلم
والشمس يعنون إلا أنهم جهلوا   والموت يدعون إلا أنهم وهموا
فلم تتم سروج فتح ناظرها   إلا وجيشك في جفنيه مزدحم
والنقع يأخذ حرانا وبقعتها   والشمس تسفر أحيانا وتلتثم
سحب تمر بحصن الران ممسكة   وما بها البخل لولا أنها نقم
جيش كأنك في أرض تطاوله   فالأرض لا أمم والجيش لا أمم
إذا مضى علم منها بدا علم   وإن مضى علم منه بدا علم
وشزب أحمت الشعرى شكائمها   ووسمتها على آنافها الحكم
حتى وردن بسمنين بحيرتها   تنش بالماء في أشداقها اللجم
وأصبحت بقرى هنزيط جائلة   ترعى الظبى في خصيب نبته اللمم
فما تركن بها خلدا له بصر   تحت التراب ولا بازا له قدم
ولا هزبرا له في درعه لبد   ولا مهاة لها من شبهها حشم
ترمي على شفرات الباترات بهم   مكامن الأرض والغيطان والأكم
وجاوزوا أرسناسا معصمين به   وكيف يعصمهم ما ليس ينعصم
وما يصدك عن بحر لهم سعة   وما يردك عن طود لهم شمم

ضربته بصدور الخيل حاملة   قوما إذا تلفوا قدما فقد سلموا
تجفل الموج عن لبات خيلهم   كما تجفل تحت الغارة النعم
عبرت تقدمهم فيه وفي بلد   سكانه رمم مسكونها حمم
وفي أكفهم النار التي عبدت   قبل المجوس إلى ذا اليوم تضطرم
هندية إن تصغر معشرا صغروا   بحدها أو تعظم معشرا عظموا
قاسمتها تل بطريق فكان لها   أبطالها ولك الأطفال والحرم
تلقى بهم زبد التيار مقربة   على جحافلها من نضحها رثم
دهم فوارسها ركاب أبطنها   مكدودة وبقوم لا بها الألم
من الجياد التي كدت العدو بها   وما لها خلق منها ولا شيم
نتاج رأيك في وقت على عجل   كلفظ حرف وعاه سامع فهم
وقد تمنوا غداة الدرب في لجب   أن يبصروك فلما أبصروك عموا
صدمتهم بخميس أنت غرته   وسمهريته في وجهه غمم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم   يسقطن حولك والأرواح تنهزم
والأعوجية ملء الطرق خلفهم   والمشرفية ملء اليوم فوقهم
إذا توافقت الضربات صاعدة   توافقت قلل في الجو تصطدم
وأسلم ابن شمشقيق أليته   ألا انثنى فهو ينأى وهي تبتسم
لا يأمل النفس الأقصى لمهجته   فيسرق النفس الأدنى ويغتنم
ترد عنه قنا الفرسان سابغة   صوب الأسنة في أثنائها ديم
تخط فيها العوالي ليس تنفذها   كأن كل سنان فوقها قلم
فلا سقى الغيث ما واراه من شجر   لو زل عنه لوارى شخصه الرخم
ألهى الممالك عن فخر قفلت به   شرب المدامة والأوتار والنغم

معقّلاً فوق شكر الله ذا شطبٍ … لا تستدام بأمضى منهما النعم
ألقت إليك دماء الروم طاعتها … فلو دعوت بلا ضربٍ أجاب دم
يسابق القتل فيهم كلّ حادثةٍ … فما يصيبهم موتٌ ولا هرم
نفت رقاد عليٍّ عن محاجره … نفسٌ يفرّج نفساً غيرها الحلم
القائم الملك الهادي الذي شهدت … قيامه وهداه العرب والعجم
وابن المعفّر في نجدٍ فوارسها … بسيفه وله كوفان والحرم
لا تطلبنّ كريماً بعد رؤيته … إنّ الكرام بأسخاهم يداً ختموا
ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره … قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

هذا آخر ما مدح به سيف الدولة بحلب وقال في مسيره إلى مصر يعرّض بسيف الدولة ٥

فارقتكم فإذا ما كان عندكم … قبل الفراق أذًى بعد الفراق يد
إذا تذكّرت ما بيني وبينكم … أعان قلبي على الشوق الذي أجد

وتوفيت أخت سيف الدولة الكبرى بميافارقين في شعبان لثلث بقين من جمدى الآخرة سنة اثنين وخمسين وثلثمائة وورد خبرها العراق وأبو الطيب بالكوفة بعد رحيله من مصر إليها فقال أبو الطيب يرثيها وكتب بها من بغداد في المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ٥

يا أخت خير أخٍ يا بنت خير أبٍ … كنايةً بهما عن أشرف النسب
أجلّ قدرك أن تسمى مؤبّنةً … ومن يصفك فقد سمّاك للعرب
لا يملك الطرب المحزون منطقه … ودمعه وهما في قبضة الطرب
غدرت يا موت كم أفنيت من عددٍ … بمن أصبت وكم أسكتّ من لجب
وكم صحبت أخاها في منازلةٍ … وكم سألت فلم يبخل ولم تخب
طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ … فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً … شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
تعثّرت بك في الأفواه ألسنها … والبرد في الطرق والأقلام في الكتب
كأنّ فعلة لم تملأ مواكبها … ديار بكرٍ ولم تخلع ولم تهب
ولم تردّ حياةً بعد توليةٍ … ولم تغث داعياً بالويل والحرب
أرى العراق طويل الليل مذ نعيت … فكيف ليل فتى الفتيان في حلب
يظنّ أنّ فؤادي غير ملتهبٍ … وأنّ دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعيةً … لحرمة المجد والقصّاد والأدب
ومن مضت غير موروثٍ خلائقها … وإن مضت يدها موروثة النشب
وهمّها في العلى والمجد ناشئةً … وهمّ أترابها في اللهو واللعب
يعلمن حين تحيّا حسن مبسمها … وليس يعلم إلّا الله بالشنب
مسرّةٌ في قلوب الطيب مفرقها … وحسرةٌ في قلوب البيض واليلب
إذا رأى ورآها رأس لابسه … رأى المقانع أعلى منه في الرتب
فإن تكن خلقت أنثى لقد خلقت … كريمةً غير أنثى العقل والحسب
وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها … فإنّ في الخمر معنًى ليس في العنب
فليت طالعة الشمسين غائبةٌ … وليت غائبة الشمسين لم تغب
وليت عين التي آب النهار بها … فداء عين التي زالت ولم تؤب
فما تقلّد بالياقوت مشبهها … ولا تقلّد بالهندية القضب
ولا ذكرت جميلاً من صنائعها … إلّا بكيت ولا ودّ بلا سبب
قد كان كلّ حجابٍ دون رؤيتها … فما قنعت لها يا أرض بالحجب

ولا رأيت عيون الإنس تدركها   فهل حسدت عليها أعين الشهب
وهل سمعت سلاما لي ألم بها   فقد أطلت وما سلمت من كثب
وكيف يبلغ موتانا التي دفنت   وقد يقصر عن أحيائنا الغيب
يا أحسن الصبر زر أولى القلوب بها   وقل لصاحبه يا أنفع السحب
وأكرم الناس لا مستثنيا أحدا   من الكرام سوى آبائك النجب
قد كان قاسمك الشخصين دهرهما   وعاش درهما المفدي بالذهب
وعاد في طلب المتروك تاركه   إنا لنغفل والأيام في الطلب
ما كان أقصر وقتا كان بينهما   كأنه الوقت بين الورد والقرب
جزاك ربك بالأحزان مغفرة   فحزن كل أخي حزن أخو الغضب
وأنتم نفر تسخو نفوسكم   بما يهبن ولا يسخون بالسلب
حللتم من ملوك الأرض كلهم   محل سمر القنا من سائر القصب
فلا تنلك الليالي إن أيديها   إذا ضربن كسرن النبع بالغرب
ولا يعن عدوا أنت قاهره   فإنهن يصدن الصقر بالخرب
وإن سررن بمحبوب فجعن به   وقد أتينك في الحالين بالعجب
وربما احتسب الإنسان غايتها   وفاجأته بأمر غير محتسب
وما قضى أحد منها لبانته   ولا انتهى أرب إلا إلى أرب
تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم   إلا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة   وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته   أقامه الفكر بين العجز والتعب

وأرسل إليه سيف الدولة هدية من الشام إلى أبي الطيب بالكوفة مرة بعد أخرى فقال يمدحه بالكوفة بعد منصرفه من مصر ووصلت إلى حلب سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ٥

ما لنا كلنا جو يا رسول   أنا أهوى وقلبك المتبول
كلما عاد من بعثت إليها   غار مني وخان فيما يقول
أفسدت بيننا الأمانات عينا   ها وخانت قلوبهن العقول
تشتكي ما اشتكيت من طرب الشو   ق إليها والشوق حيث النحول
وإذا خامر الهوى قلب صب   فعليه لكل عين دليل
زودينا من حسن وجهك ما دا   م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الد   نيا فإن المقام فيها قليل
من رآها بعينها شاقه القطا   ن فيها كما تشوق الحمول
إن تريني أدمت بعد بياض   فحميد من القناة الذبول
صحبتني على الفلاة فتاة   عادة اللون عندها التبديل
سترتك الحجال عنها ولكن   بك منها من اللمى تقبيل
مثلها أنت لوحتني وأسقمـ   ـت وزادت أبهاكما العطبول
نحن أدرى وقد سألنا بنجد   أطويل طريقنا أم يطول
وكثير من السؤال اشتياق   وكثير من رده تعليل
لا أقمنا على مكان وإن طا   ب ولا يمكن المكان الرحيل
كلما رحبت بنا الروض قلنا   حلب قصدنا وأنت السبيل
فيك مرعى جيادنا والمطايا   وإليها وجيفنا والذميل
والمسمون بالأمير كثير   والأمير الذي بها المأمول
الذي زلت عنه شرقا وغربا   ونداه مقابلي ما يزول
ومعي أينما سلكت كأني   كل وجه له بوجهي كفيل

فاذا العذل في الندى زار سمعا ففداه العذول والمعذول
وموال تحييهم من يديه نعم غيرهم بها مقتول
فرس سابق ورمح طويل ودلاص زغف وسيف صقيل
كلما اصبحت ديار عدو قال تلك الغيوث هذي السيول
دهمته تطاير الزرد المحـ ـكم عنه كما يطير النسيل
تقنص الخيل خيله قنص الوحـ ـش ويستأسر الخميس الرعيل
واذا الحرب اعرضت زعم الهو ل لعينيه انه تهويل
واذا صح فالزمان صحيح واذا اعتل فالزمان عليل
واذا غاب وجهه عن مكان فبه من ثناه وجه جميل
ليس الاك يا علي همام سيفه دون عرضه مسلول
كيف لا يأمن العراق ومصر وسراياك دونها والخيول
لو تحرفن عن طريق الاعادي ربط السدر خيلهم والنخيل
ودرى من اعزه الدفع عنه فيهما انه الحقير الذليل
انت طول الحيوة للروم غاز فمتى الوعد ان يكون القفول
وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى اي جانبيك تميل
قعد الناس كلهم عن مساعيك وقامت بها القنا والنصول
ما الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمول
لست ارضى بان تكون جوادا وزماني بان اراك بخيل
نغص البعد عنك قرب العطايا مرتعي مخصب وجسمي هزيل
ان تبوأت غير دنياي دارا واتاني نيل فانت المنيل
من عبيدي ان عشت لي الف كا فور ولي من نداك ريف ونيل

ما ابالي اذا اتقتك الرزايا من دهته حبولها والحبول

وورد المستنفرون من الثغور على سيف الدولة يذكرون احاطة الدمستق وجيوش النصرانية بطرسوس واستسلام اهلها ان لم يغاثوا ولم يبادروا وكان في بقية علة عرضت له فبرز للوقت وسار وكان الدمستق شحن الدرب الذي بينه وبين الثغور والشام بالرجال فلما اتصل بالدمستق خبره افرج عن منازلة طرسوس وولى على عقبه قافلا الى بلده ولم يظفر بشيء وبلغ الخبر ابا الطيب وكتب اليه سيف الدولة كتابا بخطه بامان وهدية حسنة وما لا يستدعيه فاجابه عنه بهذه القصيدة وانفذها الى ميافارقين في ذي الحجة سنة ثلث وخمسين وثلثمائة

فهمت الكتاب ابر الكتب فسمعا لامر امير العرب
وطوعا له وابتهاجا به وان قصر الفعل عما وجب
وما عاقني غير خوف الوشا ة وان الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم وتقريبهم بيننا والخبب
وقد كان ينصرهم سمعه وينصرني قلبه والحسب
وما قلت للبدر انت اللجين ولا قلت للشمس انت الذهب
فيقلق منه البعيد الاناة ويغضب منه البطئ الغضب
وما لاقني بلد بعدكم ولا اعتضت من رب نعماي رب
ومن ركب الثور بعد الجوا د انكر اظلافه والغبب
وما قست كل ملوك البلاد فدع ذكر بعض بمن في حلب
ولو كنت سميتهم باسمه لكان الحديد وكانوا الخشب

إلى الرأي يشبه أمرٌ في السخاء … أمرٌ في الشجاعة أمرٌ في الأدب
مبارك الاسم أغرّ اللقب … كريم الجرشّى شريف الحسب
أخو الحرب يخدم مما سبى … قناه ويخلع مما سلب
إذا حاز مالاً فقد حازه … فتًى لا يسرّ بما لا يهب
وإني لأتبع تذكاره … صلوة الإله وسقي السحب
وأثني عليه بآلائه … وأقرب منه نأى أو قرب
وإن فارقتني أمطاره … فأكثر غدرانها ما نضب
أيا سيف ربك لا خلقه … ويا ذا المكارم لا ذا الشطب
وأبعد ذي همة همة … وأعرف ذي رتبة بالرتب
وأطعن من مسّ خطيّة … وأضرب من بحسام ضرب
بذا اللفظ ناداك أهل الثغو … رِ فلبّيت والهام تحت القضب
وقد يئسوا من لذيذ الحيا … ةِ فعينٌ تغور وقلبٌ يجب
وغرّ الدمستق قول العدا … ةِ إنّ عليًّا ثقيلٌ وصب
وقد علمت خيله أنه … إذا همّ وهو عليلٌ ركب
أتاهم بأوسع من أرضهم … طوال السبيب قصار العسب
تغيب الشواهق في جيشه … وتبدو صغارًا إذا لم تغب
ولا تعبر الريح في جوّه … إذا لم تخطّ القنا أو تثب
فغرّق مدنهم بالجيوش … وأخفت أصواتهم باللجب
فأخبث به طالبًا قتلهم … وأخبث به تاركًا ما طلب
نأيت فقاتلهم باللقا … وجئت فقاتلهم بالهرب
وكانوا له الفخر لما أتى … وكنت له العذر لما ذهب
سبقت إليهم مناياهم … ومنفعة الغوث قبل العطب
فخرّوا لخالقهم سجّدًا … ولو لم تغث سجدوا للصلب
وكم ذدت عنهم ردًى … بالردى وكشّفت من كربٍ بالكرب
وقد زعموا أنه إن يعد … يعد معه الملك المعتصب
ويستنصران الذي يعبدا … نِ وعندهما أنه قد صلب
ويدفع ما ناله عنهما … فيا للرجال لهذا العجب
أرى المسلمين مع المشركيـ … ـن إمّا لعجزٍ وإمّا رهب
وأنت مع الله في جانبٍ … قليل الرقاد كثير التعب
كأنك وحدك وحّدته … ودان البريّة بابنٍ وأب
فليت سيوفك في حاسدٍ … إذا ما ظهرت عليهم كئب
وليت شكاتك في جسمه … وليتك تجزى ببغضٍ وحب
فلو كنت تجزى به نلت منـ … ـك أضعف حظٍّ بأقوى سبب

تمت مدائح سيف الدولة بحمد الله وعونه

الكافوريات

فلما ورد أبو الطيب إلى دمشق وكاتبه كافور بالمسير إليه فلما ورد أبو الطيب على كافور أخلى له دارًا وخلع عليه وحمل إليه آلافًا من الدراهم فقال يمدحه في جمدى الآخرة سنة ست وأربعين وثلثمائة وهو أول شعر لقيه به

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا … وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا
تمنّيتها لمّا تمنّيت أن ترى … صديقًا فأعيا أو عدوًّا مداجيا

إن كنت ترضى أن تعيش بذلة　　فلا تستعدن الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغارة　　ولا تستجيدن العتاق المذاكيا
فما ينفع الأسد الحياء من الطوى　　ولا تتقى حتى تكون ضواريا
حببتك قلبي قبل حبك من نأى　　وقد كان غدارا فكن لي وافيا
وأعلم أن البين يشكيك بعده　　فلست فؤادي إن رأيتك شاكيا
فإن دموع العين غدر بربها　　إذا كن إثر الغادرين جواريا
إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى　　فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى　　أكان سخاء ما أتى أم تساخيا
أقل اشتياقا أيها القلب ربما　　رأيتك تصفي الود من ليس جازيا
خلقت ألوفا لو رحلت إلى الصبى　　لفارقت شيبي موجع القلب باكيا
ولكن بالفسطاط بحرا أزرته　　حياتي ونصحي والهوى والقوافيا
وجردا مددنا بين آذانها القنا　　فبتن خفافا يتبعن العواليا
تماشى بأيد كلما وافت الصفا　　نقشن به صدر البزاة حوافيا
وتنظر من سود صوادق في الدجى　　يرين بعيدات الشخوص كما هيا
وتنصب للجرس الخفي سوامعا　　يخلن مناجاة الضمير تناديا
تجاذب فرسان الصباح أعنة　　كأن على الأعناق منها أفاعيا
بعزم يسير الجسم في السرج راكبا　　به ويسير القلب في الجسم ماشيا
قواصد كافور توارك غيره　　ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا إنسان عين زمانه　　وخلت بياضا خلفها ومآقيا
نجوز عليها المحسنين إلى الذي　　نرى عندهم إحسانه والأياديا
فتى ما سرينا في ظهور جدودنا　　إلى عصره إلا نرجي التلاقيا

ترفع عن عون المكارم قدره　　فما يفعل الفعلات إلا عذاريا
يبيد عداوات البغاة بلطفه　　فإن لم تبد منهم أباد الأعاديا
أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا　　إليه وذا الوقت الذي كنت راجيا
لقيت المروري والشناخيب دونه　　وجبت هجيرا يترك الماء صاديا
أبا كل طيب لا أبا المسك وحده　　وكل سحاب لا أخص الغواديا
يدل بمعنى واحد كل فاخر　　وقد جمع الرحمن فيك المعانيا
إذا كسب الناس المعالي بالندى　　فإنك تعطي في نداك المعاليا
وغير كثير أن يزورك راجل　　فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذي جاء غازيا　　لسائلك الفرد الذي جاء عافيا
وتحتقر الدنيا احتقار مجرب　　يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا
وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى　　ولكن بأيام أشبن النواصيا
عداك تراها في البلاد مساعيا　　وأنت تراها في السماء مراقيا
لبست لها كدر العجاج كأنما　　ترى غير صاف أن ترى الجو صافيا
وقدت إليها كل أجرد سابح　　يؤديك غضبانا ويثنيك راضيا
ومخترط ماض يطيعك آمرا　　ويعصي إذا استثنيت أو صرت ناهيا
وأسمر ذي عشرين ترضاه واردا　　ويرضاك في إيراده الخيل ساقيا
كتائب ما انفكت تجوس عمائرا　　من الأرض قد جاست إليها فيافيا
غزوت بها دار الملوك فباشرت　　سنابكها هاماتهم والمغانيا
وأنت الذي تغشى الأسنة أولا　　وتأنف أن تغشى الأسنة ثانيا
إذا الهند سوت بين سيفي كريهة　　فسيفك في كف تزيل التساويا
ومن قول سام لو رآك لنسله　　فدى ابن أخي نسلي ونفسي وماليا

مدى بلغ الاستاذ اقصاه ربه   ونفس له لم ترض الا التناهيا
دعته فلباها الى المجد والعلى   وقد خالف الناس النفوس الدواعيا
فاصبح فوق العالمين يرونه   وان كان يدنيه التكرم نائيا

ودخل عليه بعد انشاده هذه القصيدة فابتسم اليه الاسود ونهض فلبس نعلا فرأى ابو الطيب شقوقا برجليه وقبحهما فقال فيه واظهرها ببغداد ۵

اريك الرضا لو اخفت النفس خافيا   وما انا عن نفسي ولا عنك راضيا
امينا واخلافا وغدرا وخسة   وجبنا اشخصا لحت لى ام مخازيا
تظن ابتساماتى رجاء وغبطة   وما انا الا ضاحك من رجائيا
وتعجبنى رجلاك فى النعل اننى   رايتك ذا نعل اذا كنت حافيا
ويذكرنى تخييط كعبك شقه   ومشيك فى ثوب من الزيت عاريا
وانك لا تدرى الونك اسود   من الجهل ام قد صار ابيض صافيا
ولولا فضول الناس جئتك مادحا   بما كنت فى سرى به لك هاجيا
واصبحت مسرورا بما انا منشد   وان كان بالانشاد هجوك غاليا
فان كنت لا خيرا افدت فاننى   افدت بلحظى مشفريك الملاهيا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة   ليضحك ربات الحداد البواكيا

وبنى الاسود دارا بازاء الجامع الاعلى على البركة وتحول اليها وهناه الناس بها وطالب ابا الطيب بذكرها فقال وانشده فى عشية الاثنين لثلث بقين من رجب سنة ست واربعين وثلثمائة

انما التهنئات للاكفاء   ولمن يدنى من البعداء
وانا منك لا يهنى عضو   بالمسرات سائر الاعضاء
مستقل لك الديار ولو كا   ن نجوما آجر هذا البناء
ولو ان الذى يخر من الامـوا   ه فيها من فضة بيضاء
انت اعلى محلة ان تهنا   بمكان فى الارض او فى السماء
ولك الناس والبلاد وما   يسرح بين الغبراء والخضراء
وبساتينك الجياد وما   تحمل من سمهرية سمراء
انما يفخر الكريم ابو المسك   بما يبتنى من العلياء
وبايامه التى انسلخت عنه   وما داره سوى الهيجاء
وبما اثرت صوارمه البيـ   ض له فى جماجم الاعداء
وبمسك يكنى به ليس بالمسـ   ك ولكنه اريج الثناء
لا بما تبتنى الحواضر فى الريـ   ف وما يطبى قلوب النساء
نزلت اذ نزلتها الدار فى   احسن منها من السنا والسناء
حل فى منبت الرياحين منها   منبت المكرمات والآلاء
تفضح الشمس كلما ذرت الشمـ   س بشمس منيرة سوداء
ان فى ثوبك الذى المجد فيه   لضياء يزرى بكل ضياء
انما الجلد ملبس وابيضاض الـ   نفس خير من ابيضاض القباء
كرم فى شجاعة وذكاء   فى بهاء وقدرة فى وفاء
من لبيض الملوك ان تبدل اللو   ن بلون الاستاذ والسحناء
فتراها بنو الحروب باعيا   ن تراه بها غداة اللقاء
يا رجاء العيون فى كل ارض   لم يكن غير ان اراك رجائى
ولقد افنت المفاوز خيلى   قبل ان نلتقى وزادى وماءى
فارم بى ما اردت منى   فانى اسد القلب آدمى الرواء

وفؤادي من الملوك وإن كا ... ن لساني يرى من الشعراء

فلما انشده هذه القصيدة حلف له ليبلغنه جميع ما في نفسه وانه لاكذب ما يكون اذا حلف فقال ابو الطيب يمدحه وانشدها اياه في انسلاخ شهر رمضان سنة ست واربعين وثلثمائة

من الجآذر في زي الاعاريب ... حمر الحلى والمطايا والجلابيب
ان تسئل شكا في معارفها ... فمن بلاك بتسهيد وتعذيب
لا تجزني بضنا بعدها بقر ... تجزي دموعي مسكوبا بمسكوب
سوائر ربما سارت هوادجها ... منيعة بين مطعون ومضروب
وربما وخدت ايدي المطي بها ... على نجيع من الفرسان مصبوب
كم زورة لك في الاعراب خافية ... ادهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي ... وانثني وبياض الصبح يغري بي
قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها ... وخالفوها بتقويض وتطنيب
جيرانها وهم شر الجوار لها ... وصحبها وهم شر الاصاحيب
فؤاد كل محب في بيوتهم ... ومال كل اخيذ المال محروب
ما اوجه الحضر المستحسنات به ... كاوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب
اين المعيز من الآرام ناظرة ... وغير ناظرة في الحسن والطيب
افدي ظباء فلاة ما عرفن به ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام مائلة ... اوراكهن صقيلات العراقيب
ومن هوى كل من ليست مموهة ... تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته ... رغبت عن شعر في الوجه مكذوب

ليت الحوادث باعتني الذي اخذت ... مني بحلمي الذي اعطت وتجريبي
فما الحداثة من حلم بمانعة ... قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
ترعرع الملك الاستاذ مكتهلا ... قبل اكتهال اديبا قبل تاديب
مجربا فهما من قبل تجربة ... مهذبا كرما من قبل تهذيب
حتى اصاب من الدنيا نهايتها ... وهمه في ابتداآت وتشبيب
يدبر الملك من مصر الى عدن ... الى العراق فارض الروم فالنوب
اذا اتتها الرياح النكب من بلد ... فما تهب بها الا بترتيب
ولا تجاوزها شمس اذا شرقت ... الا ومنه لها اذن بتغريب
يصرف الامر فيها طين خاتمه ... ولو تطلس منه كل مكتوب
يحط كل طويل الرمح حامله ... من سرج كل طويل الباع يعبوب
كان كل سؤال في مسامعه ... قميص يوسف في اجفان يعقوب
اذا غزته اعاديه بمسئلة ... فقد غزته بجيش غير مغلوب
او حاربته فما تنجو بتقدمة ... مما اراد ولا تنجو بتجبيب
اضرت شجاعته اقصى كتائبه ... على الحمام فما موت بمرهوب
قالوا هجرت اليه الغيث قلت لهم ... الى غيوث يديه والشآبيب
الى الذي تهب الدولات راحته ... ولا يمن على آثار موهوب
ولا يروع بمغدور به احدا ... ولا يفزع موفورا بمنكوب
بلى يروع بذي جيش يجدله ... ذا مثله في احم النقع غربيب
وجدت انفع مال كنت اذخره ... ما في السوابق من جري وتقريب
لما راين صروف الدهر تغدر بي ... وفين لي ووفت صم الانابيب
فتن المهالك حتى قال قائلها ... ماذا لقينا من الجرد السراحيب

تهوى بمنجرد ليست مذاهبه / للبس ثوب وماكول ومشروب
يرى النجوم بعينى من يحاولها / كانها سلب فى عين مسلوب
حتى وصلت الى نفس محجبة / تلقى النفوس بفضل غير محجوب
فى جسم اروع صافى العقل تضحكه / خلائق الناس اضحاك الاعاجيب
فالحمد قبل له والحمد بعد لها / وللقنا ولادلاجى وتاويبى
وكيف اكفر يا كافور نعمتها / وقد بلغنك بى يا كل مطلوب
يا ايها الملك الغانى بتسمية / فى الشرق والغرب عن وصف وتلقيب
انت الحبيب ولكنى اعوذ به / من ان اكون محبا غير محبوب

وقال يمدحه فى ذى الحجة من هذه السنة

اود من الايام ما لا توده / واشكو اليها بيننا وهى جنده
يباعدن حبا يجتمعن ووصله / فكيف بحب يجتمعن وصده
ابى خلق الدنيا حبيبا تديمه / فما طلبى منها حبيبا ترده
واسرع مفعول فعلت تغيرا / تكلف شىء فى طباعك ضده
رعى الله عيسا فارقتنا وفوقها / مها كلها يولى بجفنيه خده
بواد به ما بالقلوب كانه / وقد رحلوا جيد تناثر عقده
اذا سارت الاحداج فوق نباته / تفاوح مسك الغانيات ورنده
وحال كاحداهن رمت بلوغها / ومن دونها غول الطريق وبعده
واتعب خلق الله من زاد همه / وقصر عما تشتهى النفس وجده
فلا ينحلل فى المجد مالك كله / فينحل مجد كان بالمال عقده
ودبره تدبير الذى المجد كفه / اذا حارب الاعداء والمال زنده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله / ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه / ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبى ما له / مدى ينتهى بى فى مراد احده
يرى جسمه يكسى شفوفا تربه / فيختار ان يكسى دروعا تهده
يكلفنى التهجير فى كل مهمه / عليقى مراعيه وزادى ربده
وامضى سلاح قلد المرء نفسه / رجاء ابى المسك الكريم وقصده
هما ناصرا من خانه كل ناصر / واسرة من لم يكثر النسل جده
انا اليوم من غلمانه فى عشيرة / لنا والد منه يفديه ولده
فمن ماله مال الكبير ونفسه / ومن ماله در الصغير ومهده
نجر القنا الخطى حول قبابه / وتردى بنا قب الرباط وجرده
ويمتحن النشاب فى كل وابل / دوى القسى الفارسية رعده
فالا تكن مصر الشرى او عرينه / فان التى فيها من الناس اسده
سبائك كافور وعقيانه / الذى بصم القنا لا بالاصابع نقده
بلاها حواليه العدو وغيره / وجربها هزل الطراد وجده
ابو المسك لا يفنى بذنبك عفوه / ولكنه يفنى بعذرك حقده
فيا ايها المنصور بالجد سعيه / ويا ايها المنصور بالسعى جده
تولى الصبى عنى فاخلفت طيبه / وما ضرنى لما رايتك فقده
لقد شب فى هذا الزمان كهوله / لديك وشابت عند غيرك مرده
الا ليت يوم السير يخبر حره / فتسأله والليل يخبر برده
وليتك ترعانى وحيران معرض / فتعلم انى من حسامك حده
وانى اذا باشرت امرا اريده / تدانت اقاصيه وهان اشده
وما زال اهل الدار يشتبهون لى / اليك فلما لحت لى لاح فرده

يقال إذا أبصرت جيشا وربّه أمامك ملك ربّ ذا الجيش عبده

وألقى الفم الضحاك أعلم أنه قريب بذي الكف المفداة عهده

فزارك مني من إليك اشتياقه وفي الناس إلا فيك وحدك زهده

يخلّف من لم يأت دارك غاية ويأتي فيدري أن ذلك جهده

فإن نلت ما أمّلت فيك فربّما شربت بماء يعجز الطير ورده

ووعدك فعل قبل وعد لأنه نظير فعال الصادق الوعد وعده

فكن في اصطناعي محسنا كمجرّب يبن لك تقريب الجواد وشدّه

إذا كنت في شكّ من السيف فابله فإمّا تنفّيه وإمّا تعدّه

وما الصارم الهندي إلا كغيره إذا لم يفارقه النجاد وغمده

وإنك للمشكور في كل حالة ولو لم يكن إلا البشاشة رفده

وكل نوال كان أو هو كائن فلحظة طرف منك عندي ندّه

وإني لفي بحر من الخير أصله عطاياك أرجو مدّها وهي مدّه

وما رغبتي في عسجد أستفيده ولكنها في مفخر أستجدّه

يجود به من يفضح الجود جوده ويحمده من يفضح الحمد حمده

فإنك ما مرّ النحوس بكوكب وقابلته إلا ووجهك سعده

وشكا إليه ابراهيم بن عباس طول قيامه في مجلس الاسود وكان الاسود دسّه عليه ليعلم ما في نفسه له فقال ابو الطيب مجيبا له ارتجالا ٥

يقلّ له القيام على الرؤوس وبذل المكرمات من النفوس

إذا خانته في يوم ضحوك فكيف يكون في يوم عبوس

وكان له في دار البركة التي انتقل إليها خمسون غلاما

في أيام يسيرة ففزع الاسود وخرج منها هاربا في الليل حتى قال الناس لما رأوا هربه جاءه أسود فقال له إن لم تخرج منها وإلا قتلتك فخرج على وجهه بعد وفنزل دار بعض غلمانه إلى أن أصلحت له دار كانت لحرم بن طولون فلما نزلها دخل عليه ابو الطيب فانشده في المحرم سنة سبع واربعين وثلثمئة

أحقّ دار بأن تدعى مباركة دار مباركة الملك الذي فيها

وأجدر الدور أن تسقى بساكنها دار غدا الناس يستسقون أهليها

هذي منازلك الأخرى نهنّئها فمن يمرّ على الأولى يسلّيها

إذا حللت مكانا بعد صاحبه جعلت فيه على ما قبله تيها

لا ينكر العقل من دار تكون بها فإنّ ريحك روح في مغانيها

أتمّ سعدك من لقاك أوّله ولا استردّ حياة منك معطيها

وأهدى إليه مهرا أدهم فقال يمدحه وأنشده يوم الأحد لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وثلثمئة

فراق ومن فارقت غير مذمّم وأمّ ومن يمّمت خير ميمّم

وما منزل اللذات عندي بمنزل إذا لم أبجّل عنده وأكرّم

سجيّة نفس ما تزال مليحة من الضيم مرميّا بها كل مخرم

رحلت فكم باك بأجفان شادن عليّ وكم باك بأجفان ضيغم

وما ربّة القرط المليح مكانه بأجزع من ربّ الحسام المصمّم

فلو كان ما بي من حبيب مقنّع عذرت ولكن من حبيب معمّم

رمى واتّقى رميي ومن دون ما اتّقى هوى كاسر سيفي وقوسي وأسهمي

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق ما يعتاده من توهّم

وعادى محبيه بقول عداته … واصبح في ليل من الشك مظلم
اصادق نفس المرء من قبل جسمه … واعرفها في فعله والتكلم
واحلم عن خلي واعلم انه … متى اجزه حلما على الجهل يندم
وان بذل الانسان لي جود عابس … جزيت بجود التارك المتبسم
واهوى من الفتيان كل سميدع … نجيب كصدر السمهري المقوم
خطت تحته العيس الفلاة وخالطت … به الخيل كبات الخميس العرمرم
ولا عفة في سيفه وسنانه … ولكنها في الكف والفرج والفم
وما كل هاو للجميل بفاعل … ولا كل فعال له بمتمم
فدى لابي المسك الكرام فانها … سوابق خيل يهتدين بادهم
اغر بمجد قد شخصن وراءه … الى خلق رحب وخلق مطهم
اذا منعت منك السياسة نفسها … فقف وقفة قدامه تتعلم
يضيق على من راءه العذر ان يرى … ضعيف المساعي او قليل التكرم
ومن مثل كافور اذا الخيل احجمت … وكان قليلا من يقول لها اقدمي
شديد ثبات القلب والنقع واصل … الى لهوات الفارس المتلثم
ابا المسك ارجو منك نصرا على العدى … وآمل عزا يخضب البيض بالدم
ويوما يغيظ الحاسدين وحالة … اقيم الشقا فيها مقام التنعم
ولم ارج الا اهل ذاك ومن يرد … مواطر من غير السحائب يظلم
فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها … بقلب المشوق المستهام المتيم
ولا نبحت خيلي كلاب قبائل … كأن بها في الليل حملات ديلم
ولا اتبعت آثارنا عين قائف … فلم تر الا حافرا فوق منسم
وسمنا بها البيداء حتى تغمرت … من النيل فاستذرت بظل المقطم
وابلج يعصي في اختصاصي مشيره … عصيت بقصديه مشيري ولومي
فساق الي العرف غير مكدر … وسقت اليه الشكر غير مجمجم
قد اخترتك الاملاك فاختر لهم بنا … حديثا وقد حكمت رايك فاحكم
فاحسن وجه في الورى وجه محسن … وايمن كف فيهم كف منعم
واشرفهم من كان اشرف همة … واكثر اقداما على كل معظم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها … سرور محب او مساءة مجرم
وقد وصل المهر الذي فوق فخذه … من اسمك ما في كل عنق ومعصم
لك الحيوان الراكب الخيل كله … وان كان بالنيران غير موسم
ولو كنت ادري كم حياتي قسمتها … وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم
ولكن ما يمضي من الدهر فائت … فجد لي بحظ البادر المتغنم
رضيت بما ترضى به لي محبة … وقدت اليك النفس قود المسلم
ومثلك من كان الوسيط فؤاده … فكلمه عني ولم اتكلم

وخرج من عنده فقال يذمه

انوك من عبد ومن عرسه … من حكم العبد على نفسه
وانما يظهر تحكيمه … ليحكم الافساد في حسه
ما من يرى انك في وعده … كمن يرى انك في حبسه
العبد لا تفضل اخلاقه … عن فرجه المنتن او ضرسه
لا ينجز الميعاد في يومه … ولا يعي ما قال في امسه
وانما تحتال في جذبه … كانك الملاح في قلسه
فلا ترجي الخير عند امرئ … مرت يد النخاس في راسه
وان عراك الشك في نفسه … بحاله فانظر الى جنسه

فقل ما يلوم في ثوبه … إلا الذي يلوم في غرسه
من وجد المذهب عن قدره … لم يجد المذهب عن قنسه

وانفصل قوم من الغلمان بابن طغج مولى الاسود فانكر ذلك عليه فارسل يطالبه بانفاذهم اليه وجرت بينهما وحشة أياما ثم سلمهم الى الاسود فاتلفهم فاصطلحا فطولب ابو الطيب بان يذكر الصلح فقال

حسم الصلح ما اشتهته الاعا … واذاعته ألسن الحساد
وارادته انفس حال تد … بيرك ما بينها وبين المراد
صار ما اوضع المخبون فيه … من عتاب زيادة في الوداد
وكلام الوشاة ليس على الاح … باب سلطانه على الاضداد
انما تنجح المقالة في المرء … إذا وافقت هوى في الفؤاد
ولعمري لقد هززت بما قيل … فالفيت اوثق الاطواد
واشارت بما ابيت رجال … كنت اهدى منها الى الارشاد
قد يصيب الفتى المشير ولم … يجهد ويشوي الصواب بعد اجتهاد
نلت ما لا ينال بالبيض والسم … ر وصنت الارواح في الاجساد
وقنا الخط في مراكزها حو … لك والمرهفات في الاغماد
ما دروا اذ راوا فؤادك فيهم … ساكنا ان همه في الطراد
ففدى رايك الذي لم تفده … كل راي معلم مستفاد
واذا الحلم لم يكن في طباع … لم يحلم تقدم الميلاد
فبهذا ومثله سدت يا كافو … ر واقتدت كل صعب القياد
واطاع الذي اطاعك والطا … عة ليست خلائق الآساد
انما انت والد والاب القا … طع احنى من واصل الاولاد
لا عدا الشر من بغى لكما الش … ر وخص الفساد اهل الفساد
انتما ما اتفقتما الجسم والرو … ح فلا احتجتما الى العواد
واذا كان في الانابيب خلف … وقع الطيش في صدور الصعاد
اشمت الخلف بالشراة عداها … وشفى رب فارس من اياد
وتولى بني البريدي بالبص … رة حتى تمزقوا في البلاد
وملوكا كامس في القرب منا … ومن كيد كل باغ وعاد
بكما بت عائذا فيكما منه … ومن كيد كل باغ وعاد
وبلبيكما الاصيلين ان … تفرق صم الرماح بين الجياد
او يكون الولي اشقى عدو … بالذي تذخرانه من عتاد
هل يسرن باقيا بعد ماض … ما تقول العداة في كل ناد
منع الود والرعاية والسؤ … دد ان تبلغا الى الاحقاد
وحقوق ترقق القلب للقل … ب ولو ضمنت قلوب الجماد
فغدا الملك باهرا من راه … شاكرا ما اتيتما من سداد
فيه ايديكما على الظفر الحلو … وايدي قوم على الاكباد
هذه دولة المكارم والرا … فة والمجد والندى والايادي
كسفت ساعة كما تكسف الشم … س وعادت ونورها في ازدياد
يزحم الدهر ركنها عن اذاها … بفتى مارد على المراد
متلف مخلف وفي ابي … عالم حازم شجاع جواد
اجفل الناس عن طريق ابي المس … ك وذلت له رقاب العباد
كيف لا يترك الطريق لسيل … ضيق عن اتيه كل واد

وكان كافور يعده كثيرا ان يوليه موضعا من الصعيد او غيره ولم يفي له بذلك وضجر ابو الطيب من خلافه له ثم حمل اليه بعد ستمائة دينار فقال يمدحه وانشدها يوم الخميس لليلتين خلتا من شوال سنة سبع واربعين وثلثمائة ٥

أُغالِبُ فيكَ الشَوقَ وَالشَوقُ أَغلَبُ ... وَأَعجَبُ مِن ذا الهَجرِ وَالوَصلُ أَعجَبُ
أَما تَغلَطُ الأَيّامُ فِيَّ بِأَن أَرى ... بَغيضاً تُنائي أَو حَبيباً تُقَرِّبُ
وَلِلَّهِ سَيري ما أَقَلَّ تَئِيَّةً ... عَشِيَّةَ شَرقِيَّ الحَدالى وَغُرَّبُ
عَشِيَّةَ أَحفى الناسِ بي مَن جَفَوتُهُ ... وَأَهدى الطَريقَينِ الَّتي أَتَجَنَّبُ
وَكَم لِظَلامِ اللَيلِ عِندَكَ مِن يَدٍ ... تُخَبِّرُ أَنَّ المانَوِيَّةَ تَكذِبُ
وَقاكَ رَدى الأَعداءِ تَسري إِلَيهِمُ ... وَزارَكَ فيهِ ذو الدَلالِ المُحَجَّبُ
وَيَومٍ كَلَيلِ العاشِقينَ كَمَنتُهُ ... أُراقِبُ فيهِ الشَمسَ أَيّانَ تَغرُبُ
وَعَيني إِلى أُذنَي أَغَرَّ كَأَنَّهُ ... مِنَ اللَيلِ باقٍ بَينَ عَينَيهِ كَوكَبُ
لَهُ فَضلَةٌ عَن جِسمِهِ في إِهابِهِ ... تَجيءُ عَلى صَدرٍ رَحيبٍ وَتَذهَبُ
شَقَقتُ بِهِ الظَلماءَ أُدني عِنانَهُ ... فَيَطغى وَأُرخيهِ مِراراً فَيَلعَبُ
وَأَصرَعُ أَيَّ الوَحشِ قَفَّيتُهُ بِهِ ... وَأَنزِلُ عَنهُ مِثلَهُ حينَ أَركَبُ
وَما الخَيلُ إِلّا كَالصَديقِ قَليلَةٌ ... وَإِن كَثُرَت في عَينِ مَن لا يُجَرِّبُ
إِذا لَم تُشاهِد غَيرَ حُسنِ شِياتِها ... وَأَعضائِها فَالحُسنُ عَنكَ مُغَيَّبُ
لَحا اللَهُ ذي الدُنيا مُناخاً لِراكِبٍ ... فَكُلُّ بَعيدِ الهَمِّ فيها مُعَذَّبُ
أَلا لَيتَ شِعري هَل أَقولُ قَصيدَةً ... فَلا أَشتَكي فيها وَلا أَتَعَتَّبُ
وَبي ما يَذودُ الشِعرَ عَنّي أَقَلُّهُ ... وَلَكِنَّ قَلبي يا اِبنَةَ القَومِ قُلَّبُ
وَأَخلاقُ كافورٍ إِذا شِئتُ مَدحَهُ ... وَإِن لَم أَشَأ تُملي عَلَيَّ فَأَكتُبُ
إِذا تَرَكَ الإِنسانُ أَهلاً وَراءَهُ ... وَيَمَّمَ كافوراً فَما يَتَغَرَّبُ
فَتىً يَملَأُ الأَفعالَ رَأياً وَحِكمَةً ... وَنادِرَةً أَحيانَ يَرضى وَيَغضَبُ
إِذا ضَرَبَت في الحَربِ بِالسَيفِ كَفُّهُ ... تَبَيَّنتَ أَنَّ السَيفَ بِالكَفِّ يَضرِبُ
تَزيدُ عَطاياهُ عَلى اللُبثِ كَثرَةً ... وَتَلبَثُ أَمواهُ السَحابِ فَتَنضَبُ
أَبا المِسكِ هَل في الكَأسِ فَضلٌ أَنالُهُ ... فَإِنّي أُغَنّي مُنذُ حينٍ وَتَشرَبُ
وَهَبتَ عَلى مِقدارِ كَفّى زَمانِنا ... وَنَفسي عَلى مِقدارِ كَفَّيكَ تَطلُبُ
إِذا لَم تَنُط بي صَنيعَةً أَو وِلايَةً ... فَجودُكَ يَكسوني وَشُغلُكَ يَسلُبُ
يُضاحِكُ في ذا العيدِ كُلٌّ حَبيبَهُ ... حِذائي وَأَبكي مَن أُحِبُّ وَأَندُبُ
أَحِنُّ إِلى أَهلي وَأَهوى لِقاءَهُم ... وَأَينَ مِنَ المُشتاقِ عَنقاءُ مُغرِبُ
فَإِن لَم يَكُن إِلّا أَبو المِسكِ أَو هُمُ ... فَإِنَّكَ أَحلى في فُؤادي وَأَعذَبُ
وَكُلُّ اِمرِئٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ ... وَكُلُّ مَكانٍ يُنبِتُ العِزَّ طَيِّبُ
يُريدُ بِكَ الحُسّادُ ما اللَهُ دافِعٌ ... وَسُمرُ العَوالي وَالحَديدُ المُذَرَّبُ
وَدونَ الَّذي يَبغونَ ما لَو تَخَلَّصوا ... إِلى الشَيبِ مِنهُ عِشتَ وَالطِفلُ أَشيَبُ
إِذا طَلَبوا جَدواكَ أُعطوا وَحُكِّموا ... وَإِن طَلَبوا الفَضلَ الَّذي فيكَ خُيِّبوا
وَلَو جازَ أَن يَحوُوا عُلاكَ وَهَبتَها ... وَلَكِن مِنَ الأَشياءِ ما لَيسَ يوهَبُ
وَأَظلَمُ أَهلِ الظُلمِ مَن باتَ حاسِداً ... لِمَن باتَ في نَعمائِهِ يَتَقَلَّبُ
وَأَنتَ الَّذي رَبَّيتَ ذا المُلكِ مُرضَعاً ... وَلَيسَ لَهُ أُمٌّ سِواكَ وَلا أَبُ
وَكُنتَ لَهُ لَيثَ العَرينِ لِشِبلِهِ ... وَما لَكَ إِلّا الهِندُوانِيَّ مِخلَبُ
لَقيتَ القَنا عَنهُ بِنَفسٍ كَريمَةٍ ... إِلى المَوتِ في الهَيجا مِنَ العارِ تَهرُبُ
وَقَد يَترُكُ النَفسَ الَّتي لا تَهابُهُ ... وَيَختَرِمُ النَفسَ الَّتي تَتَهَيَّبُ
وَما عَدِمَ اللاقوكَ بَأساً وَشِدَّةً ... وَلَكِنَّ مَن لاقَوا أَشَدُّ وَأَنجَبُ

ثنائهم وبرق البيض في البيض صادق   عليهم وبرق البيض في البيض خلّب
سللت سيوفا علّمت كل خاطب   على كل عود كيف يدعو ويخطب
ويغنيك عما ينسب الناس أنه   إليك تناهى المكرمات وتنسب
وما طربي لما رأيتك بدعة   لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب
وأيّ قبيل يستحقك قدره   معدّ بن عدنان فداك ويعرب
وتعذلني فيك القوافي وهمّتي   كأني بمدح قبل مدحك مذنب
ولكنه طال الطريق ولم أزل   أفتّش عن هذا الكلام وينهب
فشرّق حتى ليس للشرق مشرق   وغرّب حتى ليس للغرب مغرب
إذا قلته لم يمتنع من وصوله   جدار معلّى أو خباء مطنّب

وقال بمصر وقد بلغه أن قوما نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب في ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وثلثمائة فقال ولم ينشدها كافورا ٥

بم التعلّل لا أهل ولا وطن   ولا نديم ولا كأس ولا سكن
أريد من زمني ذا أن يبلّغني   ما ليس يبلغه في نفسه الزمن
لا تلق دهرك إلا غير مكترث   ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرورا ما سررت به   ولا يردّ عليك الفائت الحزن
مما أضرّ بأهل العشق أنهم   هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعا وأنفسهم   في إثر كل قبيح وجهه حسن
تحمّلوا حملتكم كل ناجية   فكل بين عليّ اليوم مؤتمن
يا من نعيت على بعد بمجلسه   كلّ بما زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد متّ عندكم   ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفني قبل قولهم   جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
رأيتكم لا يصون العرض جاركم   ولا يدرّ على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل   وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم   حتى يعاقبه التنغيص والمنن
فغادر الهجر ما بيني وبينكم   يهماء تكذب فيها العين والأذن
تحبو الرواسم من بعد الرسيم بها   وتسأل الأرض عن أخفافها الثفن
إني أصاحب حلمي وهو بي كرم   ولا أصاحب حلمي وهو بي جبن
ولا أقيم على مال أذلّ به   ولا ألذّ بما عرضي به درن
سهرت بعد رحيلي وحشة لكم   ثم استمرّ مريري وارعوى الوسن
وإن بليت بودّ مثل ودّكم   فإنني بفراق مثله قمن
أبلى الأجلّة مهري عند غيركم   وبدّل العذر بالفسطاط والرسن
عند الهمام أبي المسك الذي غرقت   في جوده مضر الحمراء واليمن
وإن تأخر عني بعض موعده   فما تأخر آمالي ولا تهن
هو الوفيّ ولكني ذكرت له   مودة فهو يبلوها ويمتحن

ومما قاله بمصر أيضا في جمادى الأولى من السنة ولم ينشدها الأسود ولا ذكره فيها ٥

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا   وعناهم من شأنه ما عنانا
وتولّوا بغصّة كلهم منـ   ـه وإن سرّ بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليـ   ـه ولكن تكدّر الإحسانا

وكانا لم يرض فينا بريب الـ ... دهر حتى اعانه من اعانا
كلما انبت الزمان قناة ... ركب المرء في القناة سنانا
ومراد النفوس اصغر من ان ... تتعادى فيه وان تتفانا
غير ان الفتى يلاقي المنايا ... كالحات ولا يلاقي الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحي ... لعددنا اضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز ان تكون جبانا
كل ما لم يكن من الصعب في الـ ... انفس سهل فيها اذا هو كانا

ونقلد شبيب بن جرير العقيلي عمان والبلقاء وما بينهما من البر والجبال فعلت منزلته وزادت رتبته واشتدت شوكته وغزا العرب في مشاتيها بالسماوة وغيرها واجتمعت العرب اليه وكثرت حوله وطمع في الاسود وانف من طاعته فسولت له نفسه اخذ دمشق والعصيان بها فسار اليها في نحو عشرة آلاف وقاتله اهلها وسلطانها واستأمن اليه جمهور الجند الذين كانوا بها وغلقت ابوابها واستعصموا ٥ بالحجارة والنشاب فترك بعض اصحابه على الثلثة الابواب التي تلي المصلى يشغلهم بها ودارهم حتى دخل من الحمريين على القنوات حتى انتهى الى باب الجابية وحال بين الوالي وبين المدينة ليأخذها وكان تقدم اصحابه فزعموا ان امرأة دلت على رأسه صخرة واختلف الناس في امره فقال قوم وقعت يد فرسه في قناة وقنعها فشبت به ولم تتخلص يدها فسقط وكان مكسورا الكتف والترقوة لسقطة سقطها

عن الفرس في الميدان بعمان قبل ذلك بيسير وسار الى دمشق قبل تمام الانجبار وذكروا انه ثار من سقطته فمشى خطوات ثم غلب فجلس وضرب بيده الى قائم سيفه وجعل يذب حوله وكان شرب قبل ركوبه سويقا فزعم قوم انه طرح له فيه شئ فلما حمي الحديد عليه وازدحم الناس حوله فعل فيه غير انه سقط ولم ير احد شيئا من السلاح ولا الحجارة اصابه وكثر تعجب الناس من امره حتى قال قوم كان يتعهده صرع فاصابه في تلك الساعة ٥ وانهزم اصحابه لما راوا ذلك فخالفوا الموضع الذي دخلوا منه واردوا الخروج من قبيبة فقتل منهم اربع مائة فارس وبضعة عشر واخذ رأسه ووردت الكتب الى مصر بخبره يوم الجمعة لخمس خلون من جمدى الآخرة سنة ثمان واربعين وثلثمائة وطالب الاسود ابا الطيب بذكره فقال ـــــ
وانشدها في يوم السبت لست خلون من جمدى الآخرة ٥

عدوك مذموم بكل لسان ... ولو كان من اعدائك القمران
ولله سر في علاك وانما ... كلام العدى ضرب من الهذيان
اتلتمس الاعداء بعد الذي رات ... قيام دليل او وضوح بيان
رات كل من ينوي لك الغدر يبتلى ... بغدر حياة او بغدر زمان
برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا على العلات يصطحبان
كان رقاب الناس قالت لسيفه ... رفيقك قيسي وانت يمان
فان يك انسانا مضى لسبيله ... فان المنايا غاية الحيوان
وما كان الا النار في كل موضع ... يثير غبارا في مكان دخان

فنال حيوة يشتهيها عدوه … وموتا يشتهي الموت كل جبان
نفى وقع أطراف الرماح برمحه … ولم يخش وقع النجم والدبران
ولم يدر أن الموت فوق شواته … معار جناح محسن الطيران
وقد قتل الأقران حتى قتلته … بأضعف قرن في أذل مكان
أتته المنايا في طريق خفية … على كل سمع حوله وعيان
ولو سلكت طرق السلاح لردها … بطول يمين واتساع جنان
تقصده المقدار بين صحابه … على ثقة من دهره وأمان
وهل ينفع الجيش الكثير التفافه … على غير منصور وغير معان
ودى ما جنى قبل المبيت بنفسه … ولم يده بالجامل العكنان
أتمسك ما أوليته يد عاقل … وتمسك في كفرانه بعنان
ويركب ما أركبته من كرامة … ويركب للعصيان ظهر حصان
ثنى يده الإحسان حتى كأنها … وقد قبضت كانت بغير بنان
وعند من اليوم الوفاء لصاحب … شبيب وأوفى من ترى أخوان
قضى الله يا كافور أنك أول … وليس بقاض أن يرى لك ثان
فما لك تختار القسي وإنما … عن السعد يرمى دونك الثقلان
وما لك تعنى بالأسنة والقنا … وجدك طعان بغير سنان
ولم تحمل السيف الطويل نجاده … وأنت غني عنه بالحدثان
أرد لي جميلا جدت أو لم تجد به … فإنك ما أحببت في أتاني
لو الفلك الدوار أبغضت سعيه … لعوقه شيء عن الدوران

ونالت أبا الطيب حمى بمصر كانت تغشاه إذا أقبل الليل وتنصرف عنه إذا أقبل النهار بعرق فقال يصف الحمى ويذم الأسود ويعرض بالرحيل فشغف الناس بها بمصر وأنشدت كافور فساءه وذلك في يوم الإثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وثلثمائة

ملومكما يجل عن الملام … ووقع فعاله فوق الكلام
ذراني والفلاة بلا دليل … ووجهي والهجير بلا لثام
فإني أستريح بذي وهذا … وأتعب بالإناخة والمقام
عيون رواحلي إن حرت عيني … وكل بغام راحلة بغامي
فقد أرد المياه بغير هاد … سوى عدي لها برق الغمام
يذم لمهجتي ربي وسيفي … إذا احتاج الوحيد إلى الذمام
ولا أمسي لأهل البخل ضيفا … وليس قرى سوى مخ النعام
ولما صار ود الناس خبا … جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه … لعلمي أنه بعض الأنام
يحب العاقلون على التصافي … وحب الجاهلين على الوسام
وآنف من أخي لأبي وأمي … إذا ما لم أجده من الكرام
أرى الأجداد تغلبها كثيرا … على الأولاد أخلاق اللئام
ولست بقانع من كل فضل … بأن أعزى إلى جد همام
عجبت لمن له قد وحد … وينبو نبوة القضم الكهام
ومن يجد الطريق إلى المعالي … فلا يذر المطي بلا سنام
ولم أر في عيوب الناس عيبا … كنقص القادرين على التمام
أقمت بأرض مصر فلا ورائي … تخب بي الركاب ولا أمامي
وملني الفراش وكان جنبي … يمل لقاءه في كل عام

قليل عائدى سقم فؤادى ... كثير حاسدى صعب مرامى
عليل الجسم ممتنع القيام ... شديد السكر من غير المدام
وزائرتى كأن بها حياء ... فليس تزور الا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها وباتت فى عظامى
يضيق الجلد عن نفسى وعنها ... فتوسعه بانواع السقام
اذا ما فارقتنى غسلتنى ... كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجرى ... مدامعها باربعة سجام
اراقب وقتها من غير شوق ... مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شر ... اذا القاك فى الكرب العظام
ابنت الدهر عندى كل بنت ... فكيف وصلت انت من الزحام
جرحت مجرحا لم يبق فيه ... مكان للسيوف ولا السهام
الا يا ليت شعر يدى اتمسى ... تصرف فى عنان او زمام
وهل ارمى هواى براقصات ... محلاة المقاود باللغام
فربتما شفيت غليل صدرى ... بسيف او قناة او حسام
وضاقت خطة فخلصت منها ... خلاص الخمر من نسج الفدام
وفارقت الحبيب بلا وداع ... وودعت البلاد بلا سلام
يقول لى الطبيب اكلت شيئا ... وداؤك فى شرابك والطعام
وما فى طبه انى جواد ... اضر بجسمه طول الجمام
تعود ان يغبر فى السرايا ... ويدخل من قتام فى قتام
فامسك لا يطال له فيرعى ... ولا هو فى العليق ولا اللجام
فان امرض فما مرض اصطبارى ... وان احمم فما حم اعتزامى
وان اسلم فما ابقى ولكن ... سلمت من الحمام الى الحمام
تمتع من سهاد او رقاد ... ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان لثالث الحالين معنى ... سوى معنى انتباهك والمنام

وكان كافور مع قبح بخله يتطلع الى مدحه ويقتضيه اياه ولم يكن لابى الطيب بد من مداراته مع غرضه بذلك فقال وانشده اياه فى شوال سنة تسع واربعين وثلثمائة وهى اخر ما انشده ولم يلقه بعدها

منى كن لى ان البياض خضاب ... فيخفى بتبييض القرون شباب
ليالى عند البيض فوداى فتنة ... وفخر وذاك الفخر عندى عاب
فكيف اذم اليوم ما كنت اشتهى ... وادعو بما اشكوه حين اجاب
جلا اللون عن لون هدى كل مسلك ... كما انجاب عن ضوء النهار ضباب
وفى الجسم نفس لا تشيب بشيبه ... ولو ان ما فى الوجه منه حراب
لها ظفر ان كل ظفر اعده ... وناب اذا لم يبق فى الفم ناب
يغير منى الدهر ما شاء غيرها ... وابلغ اقصى العمر وهى كعاب
وانى لنجم تهتدى صحبتى به ... اذا حال من دون النجوم سحاب
غنى عن الاوطان لا يستخفنى ... الى بلد سافرت عنه اياب
وعن ذملان العيس ان سامحت به ... والا ففى اكوارهن عقاب
واصدى فلا ابدى الى الماء حاجة ... وللشمس فوق اليعملات لعاب
وللسر منى موضع لا يناله ... نديم ولا يفضى اليه شراب
وللخود منى ساعة ثم بيننا ... فلاة الى غير اللقاء تجاب
وما العشق الا غرة وطماعة ... يعرض قلب نفسه فيصاب
وغير فؤادى للغوانى رمية ... وغير بنانى للزجاج ركاب

تركنا لأطراف القنا كل شهوة ... فليس لنا إلا بهن لعاب
نصرفه للطعن فوق حوادر ... قد انقصفت فيهن منه كعاب
أعز مكان في الدنى سرج سابح ... وخير جليس في الزمان كتاب
وبحر أبو المسك الخضم الذي له ... على كل بحر زخرة وعباب
تجاوز قدر المدح حتى كأنه ... بأحسن ما يثنى عليه يعاب
وغالبه الأعداء ثم عنوا له ... كما غالبت بيض السيوف رقاب
وأكثر ما تلقى أبا المسك بذلة ... إذا لم تصن إلا الحديد ثياب
وأنفذ ما تلقاه حكما إذا قضى ... قضاء ملوك الناس منه غضاب
وأوسع ما تلقاه صدرا وخلفه ... رماء وطعن والأمام ضراب
يقود إليه طاعة الناس فضله ... وإن لم يقدها نائل وعقاب
أيا أسدا في جسمه روح ضيغم ... وكم أسد أرواحهن كلاب
ويا آخذا من دهره حق نفسه ... ومثلك يعطى حقه ويهاب
لنا عند هذا الدهر حق يلطه ... وقد قل إعتاب وطال عتاب
وقد تحدث الأيام عندك شيمة ... وتنعمر الأوقات وهي يباب
ولا ملك إلا أنت والملك فضلة ... كأنك سيف فيه وهو قراب
أرى لي بقربي منك عينا قريرة ... وإن كان قربا بالبعاد يشاب
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ... ودون الذي أملت منك حجاب
أقل سلامي حب ما خف عنكم ... وأسكت كيما لا يكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة ... سكوتي بيان عندها وخطاب
وما أنا بالباغي على الحب رشوة ... ضعيف هوى يبغى عليه ثواب
وما شئت إلا أن أدل عواذلي ... على أن رأيي في هواك صواب
وأعلم قوما خالفوني فشرقوا ... وغربت أني قد ظفرت وخابوا
جرى الخلف إلا فيك أنك واحد ... وأنك ليث والملوك ذئاب
وأنك إن قويست صحف قارئ ... ذئابا ولم يخطئ فقال ذباب
وإن مديح الناس حق وباطل ... ومدحك حق ليس فيه كذاب
إذا نلت منك الود فالمال هين ... وكل الذي فوق التراب تراب
وما كنت لولا أنت إلا مهاجرا ... له كل يوم بلدة وصحاب
ولكنك الدنيا إلي حبيبة ... فما عنك لي إلا إليك ذهاب

هذا آخر ما أنشد أبو الطيب الأسود فلما خرج من عنده قال يهجوه ولم يظهرها بمصر ٥

من أية الطرق يأتي مثلك الكرم ... أين المحاجم يا كافور والجلم
جاز الألى ملكت كفاك قدرهم ... فعرفوا بك أن الكلب فوقهم
لا شيء أقبح من فحل له ذكر ... تقوده أمة ليست لها رحم
سادات كل أناس من نفوسهم ... وسادة المسلمين الأعبد القزم
أغاية الدين أن تحفوا شواربكم ... يا أمة ضحكت من جهلها الأمم
ألا فتى يورد الهندي هامته ... كيما تزول شكوك الناس والتهم
فإنه حجة يؤذي القلوب بها ... من دينه الدهر والتعطيل والقدم
ما أقدر الله أن يخزي خليقته ... ولا يصدق قوما في الذي زعموا

وقال فيه أيضا ٥

أما في هذه الدنيا كريم ... تزول به عن القلب الهموم
أما في هذه الدنيا مكان ... يسر بأهله الجار المقيم
تشابهت البهائم والعبدى ... علينا والموالي والصميم

وما ادري اذا داء حديث * اصاب الناس ام داء قديم

حصلت بارض مصر على عبيد * كأن الحر عندهم يتيم

اخذت بمدحه فرأيت لهوا * مقالي للاحيمق يا حليم

كأن الاسود اللابي فيهم * غراب حوله رخم وبوم

ولما ان هجوت رأيت عيا * مقالي لابن آوى يا لئيم

فهل من عاذر في ذا وفي ذا * فمدفوع الى السقم السقيم

اذا اتت الاساءة من وضيع * ولم الم المسيء فمن الوم

ونظر الى الاسود يوما فقال ولم ينشدها احدا ۝

لو كان ذا الآكل ازوادنا * ضيفا لاوليناه احسانا

لكننا في العين اضيافه * يوسعنا زورا وبهتانا

فليته خلى لنا طرقنا * اعانه الله وايانا

وكتب ابو الطيب الى كافور يستأذنه في المسير الى الرملة لتنجز مال له بها وانما اراد ان يعرف ما عند الاسود في مسيره ولا يكاشفه فاجابه لا والله اطال الله بقاك ما نكلفك المسير لتنجز مالك ولكنا ننفذ رسولا قاصدا بقبضه لك ويأتيك به في اسرع وقت ولا نؤخر ذلك ان شاء الله ۝ فلما قرأ الجواب قال ارتجالا ۝

اتحلف ما تكلفني مسيرا * الى بلد احاول منه مالا

وانت مكلفي انبى مكانا * وابعد شقة واشد حالا

اذا سرنا عن الفسطاط يوما * فلقني الفوارس والرجالا

لتعلم قدر من فارقت مني * وانك رمت من ضيمي محالا

واقام ابو الطيب بعد ان انشد قصيدته البائية سنة لا يلقى الاسود الا اذا ركب فيسير معه في الطريق ليلا يوحشه وقد عمل على مراغمته والرحيل عنه فاعد الابل وخفف الرحل وقال في يوم عرفة من سنة خمسين وثلثمائة وذلك قبل مسيره من مصر بيوم واحد يهجوه ۝

عيد باية حال عدت يا عيد * لما مضى ام لامر فيه تجديد

اما الاحبة فالبيداء دونهم * فليت دونك بيدا دونها بيد

لولا العلى لم تجب بي ما اجوب بها * وجناء حرف ولا جرداء قيدود

وكان اطيب من سيفي مضاجعة * اشباه رونقه الغيد الاماليد

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي * شيئا تتيمه عين ولا جيد

يا ساقيي اخمر في كؤوسكما * ام في كؤوسكما هم وتسهيد

اصخرة انا ما لي لا تغيرني * هذي المدام ولا هذي الاغاريد

اذا اردت كميت اللون صافية * وجدتها وحبيب النفس مفقود

ماذا لقيت من الدنيا واعجبها * اني بما انا باك منه محسود

امسيت اروح مثر خازنا ويدا * انا الغني واموالي المواعيد

اني نزلت بكذابين ضيفهم * عن القرى وعن الترحال محدود

جود الرجال من الايدي وجودهم * من اللسان فلا كانوا ولا الجود

ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم * الا وفي يده من نتنها عود

من كل رخو وكاء البطن منفتق * لا في الرجال ولا النسوان معدود

اكلما اغتال عبد السوء سيده * او خانه فله في مصر تمهيد

صار الخصي امام الآبقين بها * فالحر مستعبد والعبد معبود

نامت نواطير مصر عن ثعالبها … فقد بشمن وما تفنى العناقيد
العبد ليس لحر صالح باخ … لو انه في ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد الا والعصا معه … ان العبيد لانجاس مناكيد
ما كنت احسبني احيى الى زمن … يسيء بي فيه كلب وهو محمود
ولا توهمت ان الناس قد فقدوا … وان مثل ابي البيضاء موجود
وان ذا الاسود المثقوب مشفره … تطيعه ذي العضاريط الرعاديد
جوعان يأكل من زادي ويمسكني … لكي يقال عظيم القدر مقصود
ان امرأ امة حبلى تدبره … لمستضام سخين العين مفؤود
ويلمها خطة ويلم قابلها … لمثلها خلق المهرية القود
وعندها لذ طعم الموت شاربه … ان المنية عند الذل قنديد
من علم الاسود المخصي مكرمة … اقومه البيض ام اباؤه الصيد
ام اذنه في يد النخاس دامية … ام قدره وهو بالفلسين مردود
اولى اللئام كويفير بمعذرة … في كل لؤم وبعض العذر تفنيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة … عن الجميل فكيف الخصية السود

ولما مدح ابو الطيب ابا شجاع فاتكا شق على الاسود وسقت عليه قصيدة الحمى وانما اخرنا مدح فاتك لئلا تختلط بغيره وسنأتي بمدحه بعد هذه القصة ٥

ذكر رحيله عن مصر الى العراق

وكان للاسود عليه عيون وكان جميع جيرانه يراعونه حتى كان قوم يسهرون حذاء منزله يتفقدونه وهو يعلم ذلك ولا يظهره

لهم وكان يتسلى بفاتك وبالحديث معه وتوفي فاتك فعمل ابو الطيب على الرحيل وقد اعد كل ما يحتاج اليه على مر الايام في لطف ورفق لا يعلم به احد من غلمانه وهو يظهر الرغبة في المقام وطال عليهم التحفظ فخرج فدفن الرماح في الرمل وحمل الماء على الابل في الليل من النيل عدة لعشر ليال ٥ وتزود لعشرين يوما وكتب الى عبد العزيز بن يوسف الخزاعي بعدهم بر من مصر وذلك في سنة خمسين واجتاز ببلبيس وبها عبد العزيز القيسي من قيس عيلان فاضافه واكرمه وسيره فقال يمدحه

جزى عربا امست ببلبيس ربها … بمسعاتها تقرر بذاك عيونها
كراكر من قيس بن عيلان ساهرا … جفون ظباها للعلى وجفونها
وخص به عبد العزيز بن يوسف … فما هو الا غيثها ومعينها
فتى زان في عيني اقصى قبيلة … وكم سيد في حلة لا يزينها

واخفى طريقه فلم ياخذوا له اثرا حتى قال بعض البادية هبه سار فهل محى اثره وقال بعض البصريين انما اقام حتى عمل طريقا تحت الارض وتبعته البادية والحاضرة ومن وثقوا به من الجند وكتبوا الى عمالهم بالحوفين والجفار وغزة والشام وجميع البوادي وعبر ابو الطيب بموضع يعرف بنجه الطير الى الرهنة حتى خرج الى ماء يعرف بنخل في التيه بعد ايام وتسميه العامة نخرا فلقي عنده في الليل ركبا وخيلا صادرة عنه فقاتلوه فاخذهم وتركهم حتى سار وقرب من النقاب فرأى رائدين لبني سليم على

قلوصين فركب وطردهما حتى اخذهما فذكرا له ان اهلهما
ارسلوهما رايدين وواعداهما النزول ذلك اليوم بين يديه
فاستبقاهما ورد عليهما القلوصين وسلاحهما وسار وهما
معه حتى توسط بيوت بني سليم آخر الليل فضرب له ملاعب
ابن ابي النجم خيمة بيضاء وذبح له وغدا فسار الى النقع فنزل
ببادية من معن وسنبس فذبح له عفيف المعني غنما واكرمه
وغدا من عنده وبين يديه لصان من جذام يدلانه في
الطريق فصعد في النقب المعروف بتربان وفيه ماء يعرف
بعزندل فسار يومه وبعض ليلته ونزل واصبح فدخل حسمى
وحسمى هذه ارض طيبة تؤدي اثر النملة النحلة من لينها
وتنبت سائر النبات مملوءة جبالا في كبد السماء متناوحة
ملس الجوانب اذا اراد الناظر النظر الى قلة احدها فتل عنقه
حتى يراها بشدة ومنها ما لا يقدر احد ان يصعده ولا يكاد
القتام يفارقها وذلك معنى قول النابغة ٥

فاصبح عاقلا بجبال حسمى ۰ دقاق الترب محتزم القتام

وقد اختلف الناس في تفسير هذا البيت ولم يعلموا
ما اراد تكون مسيرة ثلثة ايام في يومين يعرفها من راها
من حيث راها لانها لا مثل لها في الدنيا ومن جبالها جبل
يعرف بارم عظيم العلو تزعم البادية ان فيها كروما
وصنوبرا فوجد بني فزارة بها شاتين فنزل بقوم من اولاد
عدي بن فزارة فيهم اولاد لاحق بن مخلب وكان مخلب هذا

خرج يطلب ناقة له فقدها وكانت بنو فزارة قد اخذت
غرية غداها فكانت الاسرى في القد بين البيوت فسمعه
بعض الاسرى ينشد الناقة فقال له بني موضع كذا وكذا وجدناها
امس فشربنا لبنها وتركناها لنعود فناخذها فنادى مخلب على
شهادتكم يا معشر العرب ثم عاد فلبس سلاحه وركب فرسه
وقال الغزي صبوحي فخلصهم من القد بعد اختلاف الناس
وخوف الشر ورد عليهم كل شيء اخذ لهم وقراهم وسترهم وقال

ان تك ناقتي منعت غريا ۰ تجر زمامها ترعى الرحابا
فاي فتى احق بذاك مني ۰ واجدر في العشيرة ان يهابا

وكانت بينه وبين امير بني فزارة حسان بن حكمة مودة
وصداقة فنزل بجار للقوم ليوري عنهم فلا يعلم بما بينهم وبينه
واسم الجار وردان بن ربيعة من طيء ثم من معن ثم
من بني شبيب فاستغوى عبيده وافسدهم عليه واجلسهم
مع امراته وكانوا يسرقون له الشيء بعد الشيء من رحله وطاب
حسمى لابي الطيب فاقام بها شهرا وكتب الاسود الى من حوله
من العرب ووعدهم وظهر لابي الطيب فساد عبيده وكان
الطائي يرى عند ابي الطيب سيفا مستورا فيسئله ان يريه
اياه فلا يفعل لانه كان على قائمه ونعله ذهب من مائة
مثقال وكان السيف لا ثمن له فجعل الطائي يحتال على
العبيد بامراته طمعا في السيف لان بعضهم اعطاه خبره
فلما انكر ابو الطيب امر العبيد ووقف على مكاتبة الاسود لكل

العرب التي حوله في امره وانفذ رسولا الى فتى من بني فزارة ثم من
بني مازن ثم من ولد هرم بن قطبة بن سيار يقال له فليتة
ابن محمد وفيهم يقول بعض البادية ٥

إذا ما كنت مغتربا فجاور … بني هرم بن قطبة أو دثارا
إذا جاورت أدنى مازني … فقد ألزمت أقصاها الجوارا

وكان قد وافقه قبل ذلك على المراسلة فصار إليه ونزل
أبو الطيب عنده وترك عبيده نياما وتقدم الى الجمال وشد
على الإبل وحمل خوفا أن يخبر عنه بعض عبيده في الليل فلم يعلموا
حتى انبههم فطرحهم على الإبل وجنب الخيل وسار تحت الليل
والقوم لا يعلمون برحيله ولا يشكون أنه يريد البياض
فأخذ طريق البياض فلما صار براس الصوان انفذ فليتة
ابن محمد الى عرب بين يديه وتوقف وأخذ أحد العبيد في الليل
السيف فدفعه الى عبد آخر ودفع إليه فرسه وجاء ليأخذ
فرس مولاه فانتبه أبو الطيب فقال الغلام أخذ العبد فرسي
أخذ العبد فرسي تغالظ بهذا الكلام وعدا نحو الفرس ليقعد
في ظهره فالتقى هو وأبو الطيب عند الحصان وسل العبد السيف
فضرب رسنه فضرب أبو الطيب وجه العبد فقسمه فخر على
رقبته وأمر الغلمان فقطعوه وأخذ العبد الفرس ونجا وكان
هذا العبد أشد من معه وأفرسهم فلما أصبح اتبع العبد عليا
الخفاجي وعلوان المازني وأخذا أثره فأدركاه عصرا وقد
قصر الفرس فسألهما عن مولاه فقالا له جاك من ثم وأشار الى

موضع فدنا منهما كالخائف وهو يتبصر فقالا له تقدم فقال
ما أراه فإن رأيته جئتكما وإن لم أره فما لكما عندي إلا السيف
فامتنع منهما وعاد في غد ووافقا عوده فليتة فقال فليتة
لقد كان فيما جرى خيرة لأن الوقت الذي اشتغلتم فيه ٥
بقتله كانت سرب الخيل غايرة مع ذلك العلم ولو كنتم زلتم
عن موضعكم لحدث بعضكم عن بعض فقال أبو الطيب ارتجالا

فإن تك طيئ كانت لئاما … فألأمها ربيعة أو بنوه
وإن تك طيئ كانت كراما … فوردان لغيرهم أبوه
مررنا منه في حسمى بعبد … يمج اللؤم منخره وفوه
أشذ بعرسه عني عبيدي … فأتلفهم ومالي أتلفوه
فإن شقيت بأيديهم جيادي … لقد شقيت بمنصلي الوجوه

وقال فيه أيضا ٥

لحى الله وردانا وأما أتت به … له كسب خنزير وخرطوم ثعلب
فما كان فيه الغدر إلا دلالة … على أنه فيه من الأم والأب
إذا كسب الإنسان من هن عرسه … فيا لؤم إنسان ويا لؤم مكسب
أهذا اللذيا بنت وردان بنته … هما الطالبان الرزق من شر مطلب
لقد كنت أنفي الغدر عن توس طيئ … فلا تعذلاني رب صدق مكذب

وقال في العبد الذي قتله وكان أخذ فرسه ٥

أعددت للغادرين أسيافا … أجدع منهم بهن آنافا
لا يرحم الله أرؤسا لهم … أطرن عن هامهن أقحافا
ما ينقم السيف غير قلتهم … وأن تكون المئون آلافا

يا شرّ لحم فجعته بدم … وزار للخامعات اجوافا
قد كنت اغنيت عن سؤالك بي … من زجر الطير لي ومن عافا
وعدت ذا النصل من تعرّضه … وخفت لمّا اعترضت اخلافا
لا يذكر الخير ان ذكرت ولا … تتبعك المقلتان توكافا
اذا امرؤ راعني بغدرته … اوردته الغاية التي خافا

وسار ابو الطيب حتى نظر الى آثار الخيل ولم يجد مع فليتة خبرا من العرب التي طلبها فقال اخرق بنا على بركة الله الى دومة الجندل وذلك لانه اشفق ان تكون عليه عيون نجمي قد علمت انه يريد البياض فسار حتى انحدر الكفاف فورد البويرة بعد ثلث ليال واذركتهم لصوص اخذت آثارهم وهم عليها فلم يطمعوا فيهم وسار معهم منهم حمضى بن الفلات فلما توسط بسيطة رأى بعض العبيد ثورا يلوح فقال هذه منارة الجامع ورأى آخر الى نعامة في جانبه الآخر فقال وهذه نخلة فضحك ابو الطيب وضحكت البادية فقال

بسيطة مهلا سقيت القطارا … تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعام عليك النخيل … وظنوا الصوار عليك المنارا
فامسك صحبي باكوارهم … وقد قصد الضحك فيهم وجارا

فورد العقدة بعد ليال وسقى بالجراوي واجتاز ببني جعفر بن كلاب وهم بالبرّيت والاضارع فبات بهم وسار الى اعكش حتى نزل الرهيمة فدخل الكوفة فقال في شهر ربيع الآخر سنة احدى وخمسين وثلثمائة ٥

الا كل ماشية الخيزلى … فدى كل ماشية الهيذبى
وكل نجاة بجاوية … خنوف وما بي حسن المشى
ولكنهن حبال الحيوة … وكيد العداة وميط الاذى
ضربت بها التيه ضرب القما … ر اما لهذا واما لذا
اذا فزعت قدمتها الجياد … وبيض السيوف وسمر القنا
فمرّت بنخل وفي ركبها … عن العالمين وعنه غنى
وامست تخيّرنا بالنقا … ب وادي المياه ووادي القرى
وقلنا لها اين ارض العرا … ق فقالت ونحن بتربان ها
وهبّت بحسمى هبوب الدبو … ر مستقبلات مهب الصبا
روامي الكفاف وكبد الوهاد … وجار البويرة وادي الغضا
وجابت بسيطة جوب الردا … بين النعام وبين المها
الى عقدة الجوف حتى شفت … بماء الجراوي بعض الصدى
ولاح لها صور والصباح … ولاح الشغور لها والضحى
ومسّى الجميعي ديداؤها … وغادى الاضارع ثم الدنا
فيا لك ليلا على اعكش … احمّ البلاد خفي الصوى
وردنا الرهيمة في جوزه … وباقيه اكثر مما مضى
فلما انخنا ركزنا الرما … ح فوق مكارمنا والعلى
وبتنا نقبّل اسيافنا … ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ومن بالعرا … ق ومن بالعواصم اني الفتى
واني وفيت واني ابيت … واني عنوت على من عتا
وما كل من قال قولا وفى … وما كل من سيم خسفا ابى

ومن يك قلب كقلبي له ... يشق إلى العز قلب التوى

ولا بد للقلب من آلة ... ورأي يصدع صم الصفا

وكل طريق أتاه الفتى ... على قدر الرجل فيه الخطى

ونام الخويدم عن ليلنا ... وقد نام قبل عمى لا كرى

وكان على قربنا بيننا ... مهامه من جهله والعمى

لقد كنت أحسب قبل الخصي ... أن الرؤوس مقر النهى

فلما نظرت إلى عقله ... رأيت النهى كلها في الخصى

وماذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكا

بها نبطي من أهل السواد ... يدرس أنساب أهل الفلا

وأسود مشفره نصفه ... يقال له أنت بدر الدجى

وشعر مدحت به الكركد ... ن بين القريض وبين الرقى

فما كان ذلك مدحا له ... ولكنه كان هجو الورى

وقد ضل قوم بأصنامهم ... فأما بزق رياح فلا

وتلك صموت وذا ناطق ... إذا حركوه فسا أو هذى

ومن جهلت نفسه قدره ... رأى غيره منه ما لا يرى

وقال أيضا يذم كافورا ٥

وأسود أما القلب منه فضيق ... نخيب وأما بطنه فرحيب

يموت به غيظا على الدهر أهله ... كما مات غيظا فاتك وشبيب

أعدت على مخصاه ثم تركته ... يتبع مني الشمس وهي تغيب

إذا ما عدمت الأصل والعقل والندى ... فما لحيوة في جنابك طيب

وأنشده صديق له بمصر في كتاب الخيل لأبي عبيدة وهو نشـ

تلوم على أن أمنح الورد لقحة ... وما تستوي والورد ساعة تفزع

فأجابه أبو الطيب ٥

بلى تستوي والورد ساعة دونها ... إذا ما جرى فيك الرحيق المشعشع

بما مركبا أمن وخوف فضلها ... لكل جواد من مرادك موضع

خبره مع فاتك بمصر

كان أبو شجاع فاتك الكبير المعروف بالمجنون روميا أخذ صغيرا وأخ له وأخت لهما من بلد قرب حصن يعرف بذي الكلاع فتعلم الخط بفلسطين وهو ممن أخذه ابن طغج من سيده بالرملة كرها بلا ثمن فأعتقه صاحبه فكان معهم حرا في عدة المماليك كريم النفس بعيد الهمة وكان في أيام كافور مقيما بالفيوم من أعمال مصر وهو بلد كثير الأمراض لا يصح به جسم وإنما أقام به أنفة من الأسود وحياء من الناس أن يركب معه وكان كافور يخافه ويكرمه فزعا وفي نفسه منه ما فيها فاستحكمت العلة في بدن فاتك وأحوجته إلى دخول مصر فدخلها ولم يمكن أبا الطيب أن يعوده وفاتك يسئل عنه ويراسله بالسلام ثم التقيا في الصحراء فحمل إلى منزله للوقت هدية قيمتها ألف دينار ذهبا ثم أتبعها بهدايا بعدها فقال أبو الطيب يمدحه لتسع خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ٥

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

واجز الامير الذي نعماه فاجئة ... بغير قول ونعمى الناس اقوال
فربما جزت الاحسان موليه ... خريدة من عذارى الحي مكسال
وان تكن محكمات الشكل تمنعني ... ظهور جري فلي فيهن تصهال
وما شكرت لان المال فرحني ... سيان عندي اكثار واقلال
لكن رأيت قبيحا ان يجاد لنا ... وانّنا بقضاء الحق بخال
فكنت منبت روض الحزن باكره ... غيث بغير سباخ الارض هطال
غيث يبين للنظار موقعه ... انّ الغيوث بما تأتيه جهال
لا يدرك المجد الا سيد فطن ... لما يشق على السادات فعال
لا وارث جهلت يمناه ما وهبت ... ولا كسوب بغير السيف سآل
قال الزمان له قولا فافهمه ... انّ الزمان على الامساك عذال
تدري القناة اذا اهتزت براحته ... انّ الشقي بها خيل وابطال
كفاتك ودخول الكاف منقصة ... كالشمس قلت وما للشمس امثال
القائد الاسد غذتها براثنه ... بمثلها من عداه وهي اشبال
القاتل السيف في جسم القتيل به ... وللسيوف كما للناس آجال
تغير عنه على الغارات هيبته ... وماله باقاصي البر اهمال
له من الوحش ما اختارت اسنته ... عير وهيق وخنساء وذيال
تمسي الضيوف مشهاة بعقوته ... كأنّ اوقاتها في الطيب آصال
لو اشتهت لحم قاريها لبادرها ... خراذل منه في الشيزى واوصال
لا يعرف الرزء في مال ولا ولد ... الا اذا حفز الضيفان ترحال
يروي صدى الارض من فضلات ما شربوا ... محض اللقاح وصافي اللون سلسال
تقري صوارمه الساعات عبط دم ... كأنما الساع نزال وقفال
تجري النفوس حواليه مخلطة ... منها عداة واغنام وآبال
لا يحرم البعد اهل البعد نائله ... وغير عاجزة عنه الاطيفال
امضى الفريقين في اقرانه ظبة ... والبيض هادية والسمر ضلال
يريك مخبره اضعاف منظره ... بين الرجال وفيها الماء والآل
وقد يلقبه المجنون حاسده ... اذا اختلطن وبعض العقل عقال
يرمي بها الجيش لا بد له ولها ... من شقه ولو انّ الجيش اجبال
اذا العدى نشبت فيهم مخالبه ... لم يجتمع لهم حلم ورئبال
يروعهم منه دهر صرفه ابدا ... مجاهر وصروف الدهر تغتال
اناله الشرف الاعلى تقدمه ... فما الذي بتوقي ما اتى نالوا
اذا الملوك تحلت كان حليته ... مهند واصم الكعب عسال
ابو شجاع ابو الشجعان قاطبة ... هول نمته من الهيجاء اهوال
تملك الحمد حتى ما لمفتخر ... في الحمد حاء ولا ميم ولا دال
عليه منه سرابيل مضاعفة ... وقد كفاه من الماذي سربال
وكيف استر ما اوليت من حسن ... وقد غمرت نوالا ايها النال
لطفت رأيك في وصلي وتكرمتي ... انّ الكريم على العلياء يحتال
حتى غدوت وللاخبار تجوال ... وللكواكب في كفيك آمال
وقد اطال ثنائي طول لابسه ... انّ الثناء على التنبال تنبال
ان كنت تكبر ان تختال في بشر ... فانّ قدرك في الاقدار يختال
كأنّ نفسك لا ترضاك صاحبها ... الا وانت على المفضال مفضال
ولا تعدك صوانا لمهجتها ... الا وانت لها في الروع بذال
لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والاقدام قتال

وإنما يبلغ الإنسان طاقته … ما كل ماشية بالرحل شملال
إنا لفي زمن ترك القبيح به … من أكثر الناس إحسان وإجمال
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته … ما قاته وفضول العيش أشغال

وتوفي أبو شجاع فاتك بمصر ليلة الأحد عشاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة فقال أبو الطيب يرثيه عند موته وأنشدها بعد رحيله عن الفسطاط

الحزن يقلق والتجمل يردع … والدمع بينهما عصي طيع
يتنازعان دموع عين مسهد … هذا يجيء بها وهذا يرجع
النوم بعد أبي شجاع نافر … والليل معي والكواكب ظلع
إني لأجبن من فراق أحبتي … وتحس نفسي بالحمام فأشجع
ويزيدني غضب الأعادي قسوة … ويلم بي عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل … عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه … ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذي الهرمان من بنيانه … ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها … حينا ويدركها الفنا فتتبع
لم يرض قلب أبي شجاع مبلغ … قبل الممات ولم يسعه موضع
كنا نظن دياره مملوءة ذهبا … فمات وكل دار بلقع
وإذا المكارم والصوارم والقنا … وبنات أعوج كل شيء يجمع
المجد أخسر والمكارم صفقة … من أن يعيش لها الكريم الأروع
والناس أنزل في زمانك منزلا … من أن تعايشهم وقدرك أرفع
برد حشاي إن استطعت بلفظة … فلقد تضر إذا تشاء وتنفع
ما كان منك إلى خليل قبلها … ما يستراب به ولا ما يوجع
ولقد أراك وما تلم ملمة … إلا نفاها عنك قلب أصمع
ويد كأن نوالها وقتالها … فرض يحق عليك وهو تبرع
يا من يبدل كل وقت حلة … أنى رضيت بحلة لا تنزع
مازلت تدفع كل أمر فادح … حتى أتى الأمر الذي لا يدفع
مازلت تخلعها على من شاءها … حتى لبست اليوم ما لا تخلع
فظللت تنظر لا رماحك شرع … فيما عراك ولا سيوفك قطع
بأبي الوحيد وجيشه متكاثر … يبكي ومن شر السلاح الأدمع
وإذا حصلت من السلاح على البكا … فحشاك رعت به وخدك تقرع
وصلت إليك يد سواء عندها … البازي الأشيهب والغراب الأبقع
من للمحافل والجحافل والسرى … فقدت بفقدك نيرا لا يطلع
ومن اتخذت على الضيوف خليفة … ضاعوا ومثلك لا يكاد يضيع
قبحا لوجهك يا زمان فإنه … وجه له من كل قبح برقع
أيموت مثل أبي شجاع فاتك … ويعيش حاسده الخصي الأوكع
أيد مقطعة حوالى رأسه … وقفا يصيح بها ألا من يصفع
أبقيت أكذب كاذب أبقيته … وأخذت أصدق من يقول ويسمع
وتركت أنتن ريحة مذمومة … وسلبت أطيب ريحة تتضوع
فاليوم قر لكل وحش نافر … دمه وكان كأنه يتطلع
وتصالحت ثمر السياط وخيله … وأوت إليها سوقها والأذرع
وعفا الطراد فلا سنان راعف … فوق القناة ولا حسام يلمع
ولى وكل مخالم ومنادم … بعد اللزوم مشيع ومودع

قد كان فيه لكل قوم ملجأ … ولسيفه في كل قوم مرتع
إن حل في فرس ففيها ربها … كسرى تذل له الرقاب وتخضع
أو حل في روم ففيها قيصر … أو حل في عرب ففيها تبع
قد كان أسرع فارس في طعنة … فرسا ولكن المنية أسرع
لا قلّبت أيدي الفوارس بعده … رمحا ولا حملت جوادا أربع

وقال ودخل صديق لأبي الطيب عليه بالكوفة وبيده تفاحة من ند مما جاءه في هدايا فاتك عليها اسمه فناوله إياها فقرأها فقال أبو الطيب ه

يذكرني فاتكا حلمه … وشيء من الند فيه اسمه
ولست بناس ولكنني … يجدد لي ريحه شمه
وأي فتى سلبتني المنو … ن لم تدر ما ولدت أمه
ولا ما تضم إلى صدرها … ولو علمت هالها ضمه
بمصر ملوك لهم ما له … ولكنهم ما لهم همه
فأجود من جودهم بخله … وأحمد من حمدهم ذمه
وأشرف من عيشهم موته … وأنفع من وجدهم عدمه
وإن منيته عنده … لكالخمر سقّيه كرمه
فذاك الذي عبّه ماؤه … وذاك الذي ذاقه طعمه
ومن ضاقت الأرض عن نفسه … حرى أن يضيق بها جسمه

وجرى ذكر الصدق والكذب في مجلسه ببغداد فقال وهو بيت مفرد ه

في الصدق مندوحة عن الكذب … والجد أولى بنا من اللعب

وقال وانشدها يوم الثلثا لسبع خلون من شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ويذكر مسيره من مصر ويرثي فاتكا

حتام نحن نساري النجم في الظلم … وما سراه على ساق ولا قدم
ولا يحس بأجفان يحس بها … فقد الرقاد غريب بات لم ينم
تسود الشمس منا بيض أوجهنا … ولا تسود بيض العذر واللمم
وكان حالهما في الحكم واحدة … لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم
ونترك الماء لا ينفك من سفر … ما سار في الغيم منه سار في الأدم
لا أبغض العيس لكني وقيت بها … قلبي من الحزن أو جسمي من السقم
طردت من مصر أيديها بأرجلها … حتى مرقن بنا من جوش والعلم
تبري لهن نعام الدو مسرجة … تعارض الجدل المرخاة باللجم
في غلمة أخطروا أرواحهم ورضوا … بما لقين رضى الأيسار بالزلم
بيض العوارض طعانون من لحقوا … من الفوارس شلالون للنعم
تبدو لنا كلما ألقوا عمائمهم … عمائم خلقت سودا بلا لثم
قد بلغوا بقناهم فوق طاقتها … وليس تبلغ ما فيهم من الهمم
في الجاهلية إلا أن أنفسهم … من طيبهن به في الأشهر الحرم
ناشوا الرماح وكانت غير ناطقة … فعلموها صياح الطير في البهم
تخدي الركاب بنا بيضا مشافرها … خضرا فراسنها في الرغل واليَنَم
مكعومة بسياط القوم نضربها … عن منبت العشب نبغي منبت الكرم
وأين منبته من بعد منبته … أبي شجاع قريع العرب والعجم
لا فاتك آخر في مصر نقصده … ولا له خلف في الناس كلهم
من لا تشابهه الأحياء في شيم … أمسى تشابهه الأموات في الرمم

عدمته وكأني سرت اطلبه   فما تزيدني الدنيا على العدم
مازلت اضحك ابلي كلما نظرت   الى من اختضبت اخفافها بدم
اسيرها بين اصنام اشاهدها   ولا اشاهد فيها عفة الصنم
حتى رجعت واقلامي قوايل لي   المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا ابدا بعد الكتاب به   فانما نحن للاسياف كالخدم
اسمعتني ودوائي ما اشرت به   فان غفلت فدائي قلة الفهم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته   اجاب كل سؤال عن هل بلم
توهم القوم ان العجز قربنا   وفي التقرب ما يدعو الى التهم
ولم تزل قلة الانصاف قاطعة   بين الرجال وان كانوا ذوي رحم
فلا زيارة الا ان تزورهم   ايد نشأن مع المصقولة الخذم
من كل قاضية بالموت شفرته   ما بين منتقم منه ومنتقم
صنا قوائمها عنهم فما وقعت   مواقع اللؤم في الايدي ولا الكرم
هون على بصر ما شق ناظره   فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمته   شكوى الجريح الى الغربان والرخم
وكن على حذر للناس تستره   ولا يغرنك منهم ثغر مبتسم
غاض الوفاء فما تلقاه في عدة   واعوز الصدق في الاخبار والقسم
سبحان خالق نفسي كيف لذتها   فيما النفوس تراه غاية الالم
الدهر يعجب من حملي نوائبه   وصبر جسمي على احداثه الحطم
وقت يضيع وعمر ليت مدته   في غير امته من سالف الامم
اتى الزمان بنوه في شبيبته   فسرهم واتيناه على الهرم

وكان قوم من اهل العراق قتلوا ابن يزيد العيني من عين التمر ونكحوا امراته ونشأ له منها ولد بالعين يسمى ضبة يغدر بكل من نزل به او اكل معه وشرب فاجتاز ابو الطيب بالطف فنزل باصدقاء له فسارت خيلهم الى هذا واستركبوه فلزمه المسير معهم فلما نزلوا تحت حصن هو فيه دخل الحصن وامتنع به واقام عليه اياما لا سلاح له الا شتمهم من وراء الحصن اقبح شتم ويسمي ابو الطيب ويشتمه واراد القوم ان يجيبوه بمثل الفاظه القبيحة فسألوا ابا الطيب ان يهجوه فتكلفه لهم على مشقة وعلم انه لو سبه لهم معرضا لم يغنهم ولم يعمل فيه عمل التصريح فخاطبه على السنتهم من حيث هو فقال في جمادى الآخرة سنة ثلث وخمسين وثلثمائة ٥

ما انصف القوم ضبه   وامه الطرطبه
رموا برأس ابيه   وناكوا الام غلبه
فلا بمن مات فخر   ولا بمن نيك رغبه
وانما قلت ما قلـ   ـت رحمة لا محبه
وحيلة لك حتى   عذرت لو كنت تيبه
وما عليك من القتـ   ـل انما هي ضربه
وما عليك من الغد   ر انما هي سبه
وما عليك من العار   ان امك قحبه
وما يشق على الكلب   ان يكون بن كلبه
ما ضرها من اتاها   وانما ضر صلبه
ولم ينكها ولكن عجا   نها ناك زبه

يلوم صبة قوم … ولا يلومون قلبه

وقلبه يتمنى … ويلزم الجسم ذنبه

لو انصر الجذع ايرا … احب في الجذع صلبه

يا اطيب الناس نفسا … والين الناس ركبه

واخبث الناس اصلا … في اخبث الارض تربه

وارخص الناس اما … تبيع الفا بحبه

كل الفعول سهام … لزينب وهي جعبه

وما على من بدا الدا … ء من لقاء الاحبه

وليس بين هلوك … وحرة غير خطبه

يا قاتلا كل ضيف … غناه ضيح وعلبه

وخوف كل رفيق … اباتك الليل جنبه

كذا خلقت ومن ذا الـ … ـذي يخالف ربه

ومن يبالي بذم … اذا تعود كسبه

اما ترى الخيل في النخـ … ـل سربة بعد سربه

على نسائك تجلو … ايورها منذ سنبه

ومن حولك ينظر … ن والاحيراح رطبه

وكل غرمول بغل … يرين يحسدن قنبه

فسل فؤادك يا ضب … اين خلف عجبه

وان يخنك فعمري … لطالما خان صحبه

وكيف ترغب فيه … وقد تبينت رعبه

ما كنت الا ذبابا … نفتك عنه مذبه

وكنت تفخر تيها … فصرت تضرط رهبه

وان بعدنا قليلا … حملت رمحا وحربه

وقلت ليت بكفي … عنان جرداء شطبه

ان اوحشتك المعالي … فانها دار غربه

او آنستك المخازي … فانها لك نسبه

وان عرفت مرادي … تكشفت عنك كربه

وان جهلت مرادي … فانه بك اشبه

وخرج خارجي من بني كلاب وسار الى الكوفة فخرج اليه اهلها وفيهم ابو الطيب وجرى بينهم طراد فانهزم الخارجي ومن معه من بني كلاب وجرد معز الدولة الديلمي دلير بن لشكروز الى الكوفة ومعه جيش فصادف القوم قد انهزموا فانفذ الى الى ابي الطيب ساعة نزل بها ثيابا نفيسة من الديباج الرومي والخز والدبيقي فقال يمدحه وانشده اياها في الميدان وهما على فرسيهما وكان تحت دلير فرس جواد اشقر وعليه حلية ثقيلة فقاده اليه وذلك كله في ذي الحجة سنة ثلث وخمسين وثلثمائة ٥

كدعواك كل يدعي صحة العقل … ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

لهنك اولى لائم بملامة … واحوج ممن تعذلين الى العذل

تقولين ما في الناس مثلك عاشق … جدي مثل من احببته تجدي مثلي

محب كنى بالبيض عن مرهفاته … وبالحسن في اجسامهن عن الصقل

وبالسمر عن سمر القنا غير انني … جناها احبائي واطرافهن رسلي

عدمت فؤادا لم تبت فيه فضلة … لغير الثنايا الغر والحدق النجل

فما حرمت حسنا بالهجر غبطة … ولا بلغتها من شكا الهجر بالوصل

ذريني أنل ما لا ينال من العلى … فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل

تريدين لقيان المعالي رخيصة … ولا بد دون الشهد من إبر النحل

حذرت علينا الموت والخيل تدعي … ولم تعلمي عن أي عاقبة تجلي

ولست غبينا لو شريت منيتي … باكرام دلير بن لشكروز لي

تمر الانابيب الخواطر بيننا … ونذكر اقبال الامير فتحلو لي

ولو كنت أدري أنها سبب له … لزاد سروري بالزيادة في القتل

فلا عدمت أرض العراقين فتنة … دعتك إليها كاشف الخوف والمحل

ظللنا إذا أنبى الحديد نصولنا … نجرد ذكرا منك أمضى من النصل

ونرمي نواصيها من اسمك في الوغا … بأنفذ من نشابنا ومن النبل

فإن تك من بعد القتال أتيتنا … فقد هزم الأعداء ذكرك من قبل

وما زلت أطوي القلب قبل اجتماعنا … على حاجة بين السنابك والسبل

ولو لم تسر سرنا إليك بأنفس … غرائب يؤثرن الجياد على الأهل

وخيل إذا مرت بوحش وروضة … أبت رعيها إلا ومرجلنا يغلي

ولكن رأيت القصد في الفضل شركة … فكان لك الفضلان بالقصد والفضل

وليس الذي يتبع الوبل رائدا … كمن جاءه في داره رائد الوبل

وما أنا ممن يدعي الشوق قلبه … ويحتج في ترك الزيارة بالشغل

أرادت كلاب أن تقوم بدولة … لمن تركت رعي الشويهات والإبل

أبى ربها أن يترك الوحش وحدها … وأن يؤمن الضب الخبيث من الأكل

وقاد لها دلير كل طمرة … ينيف بخديها سحوق من النخل

وكل

وكل جواد تلطم الأرض كفه … بأغنى عن النعل الحديد من النعل

فولت تريغ الغيث والغيث خلفت … وتطلب ما قد كان في اليد بالرجل

تحاذر هزل المال وهي ذليلة … وأشهد أن الذل شر من الهزل

وأهدت إلينا غير قاصدة به … كريم السجايا يسبق القول بالفعل

تتبع آثار الرزايا بجوده … تتبع آثار الأسنة بالفتل

شفى كل شاك سيفه ونواله … من الداء حتى الثاكلات من الثكل

عفيف تروق الشمس صورة وجهه … ولو نزلت شوقا لحاد إلى الظل

شجاع كأن الحرب عاشقة له … إذا زارها فدته بالخيل والرجل

وريان لا تصدى إلى الخمر نفسه … وعطشان لا تروى يداه من البذل

فتمليك دلير وتعظيم قدره … شهيد بوحدانية الله والعدل

وما دام دلير يهز حسامه … فلا ناب في الدنيا لليث ولا شبل

وما دام دلير يقلب كفه … فلا خلق من دعوى المكارم في حل

فتى لا يرجي أن تتم طهارة … لمن لم يطهر راحتيه من البخل

فلا قطع الرحمن أصلا أتى به … فإني رأيت الطيب الطيب الأصل

كملت العراقيات

وقيل له وهو بالكوفة ولم تقل في أهل البيت رضوان الله عليهم شيئا فقال ٥

وتركت مدحي للوصي تعمدا … إذ كان نورا مستضيئا شاملا

وإذا استقام الشيء قام بذاته … وكذاك وصف الشمس يذهب باطلا

العميديات ٥

ولما خرج أبو الطيب من الكوفة إلى العراق راسله الأستاذ الرئيس

ابا الفضل محمد بن الحسين بن محمد بن العميد وزير ركن الدولة ٥ من ارجان فسار اليه وقال يمدحه في شهر ربيع الآخر سنة اربع وخمسين وثلثمائه ٥

بادٍ هواك صبرت او لم تصبرا / وبكاك ان لم يجر دمعك او جرى
كم غرّ صبرك وابتسامك صاحباً / لما رآه وفي الحشا ما لا يرى
امر الفؤاد لسانه وجفونه / فكتمنه وكفى بجسمك مخبرا
تعس المهارى غير مهريٍّ غدا / بمصوّرٍ لبس الحرير مصوّرا
نافست فيه صورةً في ستره / لو كنتها لخفيت حتى يظهرا
لا تترب الايدي المقيمة فوقه / كسرى مقام الحاجبين وقيصرا
يقيان في احد الهوادج مقلةً / رحلت وكان لها فؤادي محجرا
قد كنت احذر بينهم من قبله / لو كان ينفع حائناً ان يحذرا
ولو استطعت اذا اغتدت روّادهم / لمنعت كل سحابة ان تقطرا
فاذا السحاب اخو غراب فراقهم / جعل الصياح ببينهم ان يمطرا
واذا الحمائل ما يخدن بنفنفٍ / الا شققن عليه ثوباً اخضرا
يحملن مثل الروض الا انها / اسبى مهاةً للقلوب وجؤذرا
فبلحظها نكرت قناتي راحتي / ضعفاً وانكر خاتماي الخنصرا
اعطى الزمان فما قبلت عطاءه / واراد لي واردت ان اتخيرا
ارجان ايتها الجياد فانه / عزمي الذي يذر الوشيج مكسّرا
لو كنت افعل ما اشتهيت فعاله / ما شقّ كوكبك العجاج الاكدرا
امّي ابا الفضل المبرّ اليّتي / لأيممنّ اجلّ بحرٍ جوهرا
افتى برؤيته الانام وحاش لي / من ان اكون مقصّراً او مقصرا
صغت السوار لأيّ كفٍّ بشّرت / بابن العميد وايّ عبدٍ كبّرا
ان لم تغثني خيله وسلاحه / فمتى اقود الى الاعادي عسكرا
بابي وامّي ناطقٌ في لفظه / ثمنٌ تباع به القلوب وتشترى
من لا تريه الحرب خلقاً مقبلاً / فيها ولا خلقٌ يراه مدبرا
خنثى الفحول من الكماة بصبغه / ما يلبسون من الحديد معصفرا
يتكسّب القصب الضعيف بخطّه / شرفاً على صمّ الرماح ومفخرا
ويبين فيما مسّ منه بنانه / تيه المدلّ فلو مشى لتبخترا
يا من اذا ورد البلاد كتابه / قبل الجيوش ثنى الجيوش تحيّرا
انت الوحيد اذا ارتكبت طريقةً / ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا
قطف الرجال القول قبل نباته / وقطفت انت القول لما نوّرا
فهو المشيّع بالمسامع ان مضى / وهو المضاعف حسنه ان كرّرا
واذا سكتّ فانّ ابلغ خاطبٍ / قلمٌ لك اتّخذ الاصابع منبرا
ورسائلٌ قطع العداة سحاءها / فرأوا قناً واسنّةً وسنوّرا
فدعاك حسّدك الرئيس وامسكوا / ودعاك خالقك الرئيس الاكبرا
خلفت صفاتك في العيون كلامه / كالخطّ يملأ مسمعي من ابصرا
ارأيت همّة ناقتي في ناقةٍ / نقلت يداً سرحاً وخفّاً مجمرا
تركت دخان الرمث في اوطانها / طلباً لقومٍ يوقدون العنبرا
وتكرّمت ركباتها عن مبركٍ / تقعان فيه وليس مسكاً اذفرا
فاتتك دامية الاظلّ كانّما / حذيت قوائمها العقيق الاحمرا
بدرت اليك يد الزمان كانّها / وجدته مشغول اليدين مفكّرا
من مبلغ الاعراب انّي بعدها / شاهدت رسطاليس والاسكندرا

ومللت نحر عشارها فاضافني … من ينحر البدر النضار لمن قرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه … متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كانما … رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما … واتى فذلك اذ اتيت موخرا
ياليت باكية شجاني دمعها … نظرت اليك كما نظرت فتعذرا
وترى الفضيلة لا ترد فضيلة … الشمس تشرق والسحاب كنهورا
انا من جميع الناس اطيب منزلا … واسر راحلة وارنح متجرا
زحل على ان الكواكب قومه … لو كان منك لكان اكرم معشرا

وقال يمدحه ويهنيه بالنوروز ٥

جاء نوروزنا وانت مراده … وورت بالذي اراد زناده
هذه النظرة التي نالها منك … الى مثلها من الحول زاده
ينثني عنك آخر اليوم منه … ناظر انت طرفه ورقاده
نحن في ارض فارس في سرور … ذا الصباح الذي نرى ميلاده
عظمته ممالك الفرس حتى … كل ايام عامه حساده
ما لبسنا فيه الاكاليل حتى … لبستها تلاعه ووهاده
عند من لا يقاس كسرى ابو … ساسان ملكا به ولا اولاده
عربي لسانه فلسفي … رأيه فارسية اعياده
كلما قال نائل انا منه … سرف قال آخر ذا اقتصاده
كيف يرتد منكبي عن سماء … والنجاد الذي عليه نجاده
قلدتني يمينه بحسام … اعقبت منه واحدا اجداده
كلما استل ضاحكته اياة … تزعم الشمس انها ارآده
مثلوه في جفنه خشية الفق … د ففي مثل اثره اغماده
منعلا لا من الحفي ذهبا … يحمل بحرا فرنده ازباده
يقسم الفارس المدجج لا … يسلم من شفرتيه الا بداده
جمع الدهر حده ويديه … وثنائي فاستجمعت آحاده
وتقلدت شامة في نداه … جلدها منفساته وعتاده
فرستنا سوابق كن فيه … فارقت لبده وفيها طراده
ورجت راحة بنا لا تراها … وبلاد تسير فيها بلاده
هل لعذري الى الهمام ابي الفض … ل قبول سواد عيني مداده
انا من شدة الحياء عليل … مكرمات المعلة عواده
ما كفاني تقصير ما قلت فيه … عن علاه حتى ثناه انتقاده
انني اصيد البزاة ولكن … اجل النجوم لا اصطاده
رب ما لا يعبر اللفظ عنه … والذي يضمر الفؤاد اعتقاده
ما تعودت ان ارى كابي الفض … ل وهذا الذي اتاه اعتياده
ان في الموج للغريق لعذرا … واضحا ان يفوته تعداده
للندى الغلب انه فاض والشع … ر عمادي وابن العميد عماده
نال ظني الامور الا كريما … ليس لي نطقه ولا في آده
ظالم الجود كلما حل ركب … سيم ان تحمل البحار مزاده
غمرتني فوائد شاء فيها … ان يكون الكلام مما افاده
ما سمعنا بمن احب العطايا … فاشتهى ان يكون فيها فؤاده
خلق الله افصح الناس طرا … في مكان اعرابه اكراده
واحق الغيوث نفسا بحمد … في زمان كل النفوس جراده

مثل ما احدث النبوة في العا … لم والبعث حين شاع فساده

زانت الليل غرة القمر الطا … لع فيه ولم يشنها سواده

كثر الفكر كيف نهدي كما اهـ … دت الى ربها الرئيس عباده

والذي عندنا من المال والخيـ … ل فمنه هباته وقياده

فبعثنا باربعين مهارا … كل مهر ميدانه انشاده

عدد عشته يرى الجسم فيه … اربا لا يراه فيما يزاده

فارتبطها فان قلبا نماها … مربط يسبق الجياد جياده

وانفذ القصيدتان الرائية والدالية من ارجان الى ولد ابي الفتح بن الاستاذ ابي الفضل بالري فعاد الجواب يذكر فيه سروره بورود ابي الطيب والشوق اليه وابياتا نظمها في وصف ما سمع من قبله وطعن فيها على بعض المتعرضين لقول الشعر واظهر فساد قوله فقال ابو الطيب والكتاب بيده عند الوصول

بكتب الانام كتاب ورد … فدت يد كاتبه كل يد

يعبر عما له عندنا … ويذكر من شوقه ما نجد

فاخرق رائيه ما رأى … وابرق ناقده ما انتقد

اذا سمع الناس الفاظه … خلقن له في القلوب الحسد

فقلت وقد فرس الناطقين … كذا يفعل الاسد ابن الاسد

وقال يمدحه عند خروجه ويودعه فيها ٥

نسيت وما انسى عتابا على الصد … ولا خفرا زادت به حمرة الخد

ولا ليلة قصرتها بقصورة … اطالت يدي في جيدها صحبة العقد

ومن لي بيوم مثل يوم كرهته … قربت به عند الوداع من البعد

وان لا يخص الفقد شيئا فانني … فقدت فلم افقد دموعي ولا وجدي

تمن يلذ المستهام بمثله … وان كان لا يغني فتيلا ولا يجدي

وغيظ على الايام كالنار في الحشا … ولكنه غيظ الاسير على القد

فاما تريني لا اقيم ببلدة … فآفة غمدي في دلوقي من حدي

يحل القنا يوم الطعان بعقوتي … فاحرمه عرضي واطعمه جلدي

تبدل ايامي وعيشي ومنزلي … نجائب لا يفكرن في النحس والسعد

واوجه فتيان حياء تلثموا … عليهن لا خوفا من الحر والبرد

وليس حياء الوجه في الذئب شيمة … ولكنه من شيمة الاسد الورد

اذا لم تجزهم دار قوم مودة … اجاز القنا والخوف خير من الود

يحيدون عن هزل الملوك الى الذي … توفر من بين الملوك على الجد

ومن يصحب اسم ابن العميد محمد … يسر بين انياب الاساود والاسد

يمر من السم الوحي بعاجز … ويعبر من افواههن على درد

كفانا الربيع العيس من بركاته … فجاءته لم تسمع حداء سوى الرعد

اذا ما استجبن الماء يعرض نفسه … كرعن بسبت في اناء من الورد

كانا اراد شكرنا الارض عنده … فلم يخلنا جو هبطناه من رفد

لنا مذهب العباد في ترك غيره … واتياننا نبغي الرغائب بالزهد

رجونا الذي يرجون في كل جنة … بارجان حتى ما يئسنا من الخلد

تعرض للزوار اعناق خيله … تعرض وحش خائفات من الطرد

وتلقى نواصيها المنايا مشيحة … ورود قطا صم تشايحن في ورد

وتنسب افعال السيوف نفوسها … اليه وينسبن السيوف الى الهند

اذا الشرفاء البيض متوا بقتوة … اتى نسبا اعلى من الاب والجد

فتى فاتت العدوى من الناس عينه | فما ارمدت اجفانه كثرة الرمد
وخالفهم خلقا وخلقا وموضعا | فقد جل ان يعدى بشيء وان يعدي
يغير الوان الليالى على العدى | بمنشورة الرايات منصورة الجند
اذا ارتقبوا صبحا رأوا قبل ضوءه | كتائب لا يردى الصباح كما تردى
ومبثوثة لا تتقى بطليعة | ولا يحتمى منها بغور ولا نجد
يغضن اذا ما عدن فى متفاوت | من الكثر غان بالحديد عن الحشد
حثت كل ارض تربة فى غباره | فهن عليه كالطرائق فى البرد
فان يكن المهدى من بان هديه | فهذا والا فالهدى ذا فما المهدي
يعللنا هذا الزمان بذا الوعد | ويخدع عما فى يديه من النقد
هل الخير شيء ليس بالخير غائب | او الرشد شيء غائب ليس بالرشد
ااحزم ذى لب واكرم ذى يد | واشجع ذى قلب وارحم ذى كبد
واحسن معتم جلوسا وركبة | على المنبر العالى او الفرس النهد
تفضلت الايام بالجمع بيننا | فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد
جعلن وداعى واحدا لثلاثة | جمالك والعلم المبرح والمجد
وقد كنت ادركت الغنى غير انني | يعيرني اهلي بادراكها وحدي
وكل شريك فى السرور بمصبحي | ارى بعده من لا يرى مثله بعدي
فجد لى بقلب ان رحلت فانني | اخلف قلبي عند من فضله عندي
ولو فارقت جسمي اليك حياته | لقلت اصابت غير مذمومة العهد

وقال فى مجلسه وقد قدمت اليه مجمرة من آس ونرجس وقد اخفى فيها النار والند بديهة ه

احب امرئ حبت الانفس | واطيب ما شمه معطس

ونشر من الند لكنه | مجامره الآس والنرجس
ولسنا نرى لهبا هاجه | فهل هاجه عزك الاقعس
وان القيام التى حوله | لتحسد اقدامها الارؤس

الشيرازيات

وقال يمدح عضد الدولة ابا شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة ابي علي بشيراز فى جمادى الاولى من سنة اربع وخمسين وثلثمائة

اوه بديل من قولتى واها | لمن نأت والبديل ذكراها
اوه من ان لا ارى محاسنها | واصل واها واوه مرآها
شامية طالما خلوت بها | تبصر فى عيني محياها
فقبلت ناظرى تغالطنى | وانما قبلت به فاها
فليتها لا تزال آوية | وليته لا يزال مأواها
كل جريح ترجى سلامته | الا فؤادا دهته عيناها
تبل خدى كلما ابتسمت | من مطر برقه ثناياها
ما نفضت فى يدى غدائرها | جعلته فى المدام افواها
فى بلد تضرب الحجال به | على حسان ولسن اشباها
لقيننا والحمول سائرة | وهن در فذبن امواها
كل مهاة كأن مقلتها | تقول اياكم واياها
فيهن من تقطر السيوف دما | اذا لسان المحب سماها
احب حمصا الى خناصرة | وكل نفس تحب محياها
حيث التقى خدها وتفاح | لبنان وثغري على حمياها

وصفت فيها مصيف بادية   شتوت بالصحصحان مشتاها
إن أعشبت روضة رعيناها   أو ذكرت حلة غزوناها
أو عرضت عانة مفزعة   صدنا بأخرى الجياد أولاها
أو عبرت هجمة بنا تركت   تكوس بين الشروب عقراها
والخيل مطرودة وطاردة   تجر طولى القنا وقصراها
يعجبها قتلها الكماة ولا   ينظرها الدهر بعد قتلاها
وقد رأيت الملوك قاطبة   وسرت حتى رأيت مولاها
ومن مناياهم براحته   يأمرها فيهم وينهاها
أبا شجاع بفارس عضد الدو   لة فناخسرو شهنشاها
أساميا لم تزده معرفة   وإنما لذة ذكرناها
تقود مستحسن الكلام لنا   كما تقود السحاب عظماها
هو النفيس الذي مواهبه   أنفس أمواله وأسناها
لو فطنت خيله لنائله   لم يرضها أن تراه يرضاها
لا تجد الخمر في مكارمه   إذا انتشى خلة تلافاها
تصاحب الراح أريحيته   فتسقط الراح دون أدناها
تسر طرباته كرائنه   ثم تزيل السرور عقباها
بكل موهوبة مولولة   قاطعة زيرها ومثناها
تعوم عوم القذاة في زبد   من جود كف الأمير يغشاها
تشرق تيجانه بغرته   إشراق ألفاظه بمعناها
دان له شرقها ومغربها   ونفسه تستقل دنياها
تجمعت في فؤاده همم   ملء فؤاد الزمان إحداها

فإن أتى حظها بأزمنة   أوسع من ذا الزمان أبداها
وصارت الفيلقان واحدة   تعثر أحياؤها بموتاها
ودارت النيرات في فلك   تسجد أقماره لأبهاها
الفارس المتقى السلاح به   المثني عليه الوغى وخيلاها
لو أنكرت من حيائها يده   في الحرب آثارها عرفناها
وكيف تخفى التي زيادتها   وناقع السم بعض سيماها
الواسع العذر أن يتيه على   الدنيا وأبنائها وما تاها
لو كفر العالمون نعمته   لما عدت نفسه سجاياها
كالشمس لا تبتغي بما صنعت   منفعة عندهم ولا جاها
ول السلاطين من تولاها   والجأ إليه تكن حذاياها
ولا تغرنك الإمارة في   غير أمير وإن بها باها
فإنما الملك رب مملكة   قد فغم الخافقين رياها
مبتسم والوجوه عابسة   سلم العدى عنده كهيجاها
الناس كالعابدين آلهة   وعبده كالموحد اللاها

وقال يمدحه ويصف شعب بوان

مغاني الشعب طيبا في المغاني   بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها   غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها   سليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى   خشيت وإن كرمن من الحران
غدونا تنفض الأغصان فيه   على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الحر عني   وجئن من الضياء بما كفاني

والقى الشرق منها في ثيابي ... دنانيرا تفر من البنان
لها ثمر تشير اليك منه ... باشربة وقفن بلا اوان
وامواه يصل بها حصاها ... صليل الحلي في ايدي الغواني
ولو كانت دمشق ثنى عناني ... لبيق الثرد صيني الجفان
يلنجوجي ما رفعت لضيف ... به النيران ندي الدخان
يحل به على قلب شجاع ... ويرحل منه عن قلب جبان
منازل لم يزل منها خيال ... يشيعني الى النوبندجان
اذا غنى الحمام الورق فيها ... اجابته اغاني القيان
ومن بالشعب احوج من حمام ... اذا غنى وناح الى البيان
وقد يتقارب الوصفان جدا ... وموصوفاهما متباعدان
يقول بشعب بوان حصاني ... اعن هذا يسار الى الطعان
ابوكم آدم سن المعاصي ... وعلمكم مفارقة الجنان
فقلت اذا رايت ابا شجاع ... سلوت عن العباد وذا المكان
فان الناس والدنيا طريق ... الى من ما له في الناس ثان
له علمت نفسي القول فيهم ... كتعليم الطراد بلا سنان
بعضد الدولة امتنعت وعزت ... وليس لغير ذي عضد يدان
ولا قبض على البيض المواضي ... ولا حظ من السمر اللدان
دعته بموضع الاعضاء منها ... ليوم الحرب بكر او عوان
فما يسمى كفنا خسر مسم ... ولا يكني كفنا خسر كان
ولا تحصى فضائله بظن ... ولا الاخبار عنه ولا العيان
اروض الناس من ترب وخوف ... وارض ابي شجاع من امان

يذم على اللصوص لكل تجر ... ويضمن للصوارم كل جان
اذا طلبت ودائعهم ثقات ... دفعن الى المحاني والرعان
فباتت فوقهن بلا صحاب ... تصيح بمن يمر الا تراني
رقاه كل ابيض مشرفي ... لكل اصم صل افعوان
وما يرقي لهاه من نداه ... ولا المال الكريم من الهوان
حمى اطراف فارس شمري ... يحض على التباقي بالتفاني
بضرب هاج اطراب المنايا ... سوى ضرب المثالث والمثاني
كأن دم الجماجم في العناصي ... كسا البلدان ريش الحيقطان
فلو طرحت قلوب العشق فيها ... لما خافت من الحدق الحسان
ولم ار قبله شبلي هزبر ... كشبليه ولا مهري رهان
اشد تنازعا لكريم اصل ... واشبه منظرا بابٍ هجان
واكثر في مجالسه استماعا ... فلان دق رمحا في فلان
واول راية رايا المعالي ... فقد علقا بها قبل الاوان
واول لفظة فهما وقالا ... اغاثة صارخ او فك عان
وكنت الشمس تبهر كل عين ... فكيف وقد بدت معها اثنتان
فعاشا عيشة القمرين يحيى ... بضوئهما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادي ... ولا ورثا سوى من يقتلان
وكان ابنا عدو كاثراه ... له يائي حروف انيسيان
دعاء كالثناء بلا رياء ... يؤديه الجنان الى الجنان
فقد اصبحت منه في فرند ... واصبح منك في عضب يمان
ولولا كونكم في الناس كانوا ... هراء كالكلام بلا معان

يمدحه ويذكر وقعة كانت معه ومع وهسوذان بالطرم

إثلث فإنا أيها الطلل … نبكي وترزم تحتنا الإبل
أو لا فلا عتب على طلل … إن الطلول لمثلها فعل
لو كنت تنطق قلت معتذرا … بي غير ما بك أيها الرجل
أبكاك أنك بعض من شغفوا … لم أبك أني بعض من قتلوا
إن الذين أقمت وارتحلوا … أيامهم لديارهم دول
الحسن يرحل كلما رحلوا … معهم وينزل حيثما نزلوا
في مقلتي رشإ تديرهما … بدوية فتنت بها الحلل
تشكو المطاعم طول هجرتها … وصدودها ومن الذي تصل
ما أسأرت في القعب من لبن … تركته وهو المسك والعسل
قالت ألا تصحو فقلت لها … أعلمتني أن الهوى ثمل
لو أن فناخسر صبحكم … وبرزت وحدك عاقه الغزل
وتفرقت عنكم كتائبه … إن الملاح خوادع قتل
ما كنت فاعلة وضيفكم … ملك الملوك وشأنك البخل
أتمنعين قرى فتفتضحي … أم تبذلين له الذي يسل
بل لا يحل بحيث حل به … بخل ولا جور ولا وجل
ملك إذا ما الرمح أدركه … طنب ذكرناه فيعتدل
إن لم يكن من قبله عجزوا … عما يسوس به فقد غفلوا
حتى أتى الدنيا ابن بجدتها … فشكا إليه السهل والجبل
شكوى العليل إلى الكفيل له … ألا تمر بجسمه العلل
قالت فلا كذبت شجاعته … أقدم فنفسك ما لها أجل

فهو النهاية إن جرى مثل … أو قيل يوم وغى من البطل
عدد الوفود العامدين له … دون السلاح الشكل والعقل
فلشكلهم في خيله عمل … ولعقلهم في بخته شغل
تمشي على أيدي مواهبه … هي أو بقيتها أو البدل
يشتاق من يده إلى سبل … شوقا إليه تنبت الأسل
سبل تطول المكرمات به … والمجد لا الحوذان والنفل
وإلى حصى أرض أقام بها … بالناس من تقبيله بلل
إن لم تخالطه ضواحكهم … فلمن تصان وتذخر القبل
في وجهه من نور خالقه … قدر هي الآيات والرسل
فإذا الخميس أبى السجود له … سجدت له فيه القنا الذبل
وإذا القلوب أبت حكومته … رضيت بحكم سيوفه القلل
أرضيت وهسوذان ما حكمت … أم تستزيد لأمك الهبل
وردت بلادك غير مغمدة … وكأنها بين القنا شعل
والقوم في أعيانهم خزر … والخيل في أعيانها قبل
فأتوك ليس بمن أتوا قبل … بهم وليس بمن نأوا خلل
لم يدر من بالري أنهم … فصلوا ولا يدري إذا قفلوا
وأتيت معتزما ولا أسد … ومضيت منهزما ولا وعل
تعطي سلاحهم وراحهم … ما لم تكن لتناله المقل
أسخى الملوك بنقل مملكة … من كاد عنه الرأس ينتقل
لولا الجهالة ما دلفت إلى … قوم غرقت وإنما تفلوا
لا أقبلوا سرا ولا ظفروا … غدرا ولا نصرتهم الغيل

لا تلق افرس منك تعرفه — الا اذا ما ضاقت الحيل
لا يستحي احد يقال له — نضلوك آل بويه او فضلوا
قدروا عفوا وعدوا وفوا — سئلوا اغنوا علوا اعلوا ولوا عدلوا
فوق السماء وفوق ما طلبوا — فمتى ارادوا غاية نزلوا
قطعت مكارمهم صوارمهم — فاذا تعذر كاذب قبلوا
لا يشهرون على مخالفهم — سيفا يقوم مقامه العذل
فابو علي من به قهروا — وابو شجاع من به كملوا
حلفت لذا بركات غرة ذا — في المهد الا فاتهم امل

وقال في يوم الجلسان وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه ٥

قد صدق الورد في الذي زعما — انك صيرت نثره ديما
كانما مائج الهواء به — بحر حوى مثل مائه عنما
ناثره الناثر السيوف دما — وكل قول يقوله حكما
والخيل قد فصل الضياع بها — والنعم السابغات والنقما
فليرنا الورد ان شكا يده — احسن منه من جودها سلما
وقل له لست خير ما نثرت — وانما عوذت بك الكرما
خوفا من العين ان يصاب بها — اصاب عينا بها يعان عما

وقال يمدحه ايضا ويذكر وقعة وهسوذان وهزيمته بين يدي صاحب ركن الدولة ٥

آزائر يا خيال ام عائد — ام عند مولاك انني راقد
ليس كما ظن غشية عرضت — فجئتني في خلاء لها قاصد

عذوا عذها فحبذا تلف — الصق ثديي بثديها الناهد
وجدت فيه بما يشح به — من الشنيت الموشر البارد
اذا خيالاته اطفن بنا — اضحكه انني لها حامد
وقال ان كان قد قضى اربا — منا فما بال شوقه زائد
لا اجحد الفضل ربما فعلت — ما لم يكن فاعلا ولا واعد
ما تعرف العين فرق بينهما — كل خيال وصاله نافد
يا طفلة الكف عبلة الساعد — على البعير المقلد الواخد
زيدي اذى مهجتي ازدك هوى — فاجهل الناس عاشق حاقد
حكيت يا ليل فرعها الوارد — فاحك نواها لجفني الساهد
طال بكائي على تذكرها — وطلت حتى كلاكما واحد
ما بال هذي النجوم حائرة — كانها العمي ما لها قائد
او عصبة من ملوك ناحية — ابو شجاع عليهم واجد
ان هربوا ادركوا وان وقفوا — خشوا ذهاب الطريف والتالد
فهم يرجون عفو مقتدر — مبارك الوجه جائد حامد
ابلج لو عاذت الحمام به — ما خشيت راميا ولا صائد
او رعت الوحش وهي تذكره — ما راعها حابل ولا طارد
تهدي له كل ساعة خبرا — عن جحفل تحت سيفه بائد
وموضعا في فتان ناجية — يحمل في التاج هامة العاقد
يا عضدا ربه به العاضد — وساريا يبعث القطا الهاجد
وممطر الموت والحياة معا — وانت لا بارق ولا راعد
نلت وما نلت من مضرة وهـ — سوذان ما نال رائه الفاسد

يبدأ من كيده بغايته … وانما الحرب غاية الكائد
ماذا على من اتى محاربكم … فذمّ ما اختار لو اتى وافد
بلا سلاح سوى رجائكم … ففاز بالنصر وانثنى راشد
يقارع الدهر من يقارعكم … على مكان المسود والسائد
وليت يومى فناء عسكره … ولم تكن دانيا ولا شاهد
ولم يغب غائب خليفته … جيش ابيه وجده الصاعد
وكل خطّيّة مثقّفة … يهزّها مارد على مارد
سوافك ما يدعن فاصلة … بين طرىّ الدماء والجاسد
اذا المنايا بدت فدعوتها … ابدل نونا بداله الحائد
اذا درى الحصن من رماه بها … خرّ لها فى اساسه ساجد
ما كانت الطرم فى عجاجتها … الا بعيرا اضلّه ناشد
تسئل اهل القلاع عن ملك … قد مسخته نعامة شارد
تستوحش الارض ان تقرّ به … فكلها آنف به جاحد
فلا مشاد ولا مشيد حمى … ولا مشيد اغنى ولا شائد
فاغتظ بقوم وهسوذ ما خلقوا … الا لغيظ العدوّ والحاسد
راوك لما بلوك نابتة … يأكلها قبل اهله الرائد
وخلّ زيّا لمن يحققه … ما كل دام جبينه عابد
ان كان لم يعمد الامير لما … لقيت منه فيمنه عامد
يقلقه الصبح لا يرى معه … بشرى بفتح كانّه فاقد
والامر لله ربّ مجتهد … ما خاب الا لانّه جاهد
ومتّق والسهام مرسلة … يحيص عن حابض الى صارد

فلا يبل قاتل اعاديه … اقائما نال ذاك ام قاعد
ليت ثنائى الذى اصوغ فدى … من صيغ فيه فانّه خالد
لوّيته دملجا على عضد … لدولة ركنها له والد

وقال يعزّى ابا شجاع عضد الدولة وكانت توفيت ببغداد وورد عليه الكتاب بشيراز فحزنه فدخل عليه ابو الطيّب فى جمدى الآخرة فانشده هذه القصيدة

آخر ما الملك معزّى به … هذا الذى اثّر فى قلبه
لا جزعا بل انفا شابه … ان يقدر الدهر على غصبه
لو درت الدنيا بما عنده … لاستحيت الايام من عتبه
لعلها تحسب ان الذى … ليس يديه ليس من حزبه
وانّ من بغداذ دار له … ليس مقيما فى ذرى عضبه
وانّ جدّ المرء اوطانه … من ليس منها ليس من صلبه
اخاف ان تفطن اعداؤه … فيجفلوا خوفا الى قربه
لا بدّ للانسان من ضجعة … لا تقلب المضجع عن جنبه
ينسى بها ما كان من عجبه … وما اذاق الموت من كربه
نحن بنو الموتى فما بالنا … نعاف ما لا بدّ من شربه
تبخل ايدينا بارواحنا … على زمان هى من كسبه
فهذه الارواح من جوّه … وهذه الاجسام من تربه
لو فكّر العاشق فى منتهى … حسن الذى يسبيه لم يسبه
لم ير قرن الشمس فى شرقه … فشكّت الانفس فى غربه
يموت راعى الضأن فى جهله … ميتة جالينوس فى طبّه

وربما زاد على عمره / وزاد في الامن على سربه
وغاية المفرط في سلمه / كغاية المفرط في حربه
فلا قضى حاجته طالب / فؤاده يخفق من رعبه
استغفر الله لشخص مضى / كان نداه منتهى ذنبه
وكان من حدد احسانه / كانه اسرف في سبه
يريد من حب العلى عيشه / ولا يريد العيش من حبه
يحسبه دافنه وحده / ومجده في القبر من صحبه
ويظهر التذكير في ذكره / ويستر التانيث في حجبه
اخت ابي خير امير دعا / فقال جيش للقنا لبه
يا عضد الدولة من ركنها / ابوه والقلب ابو لبه
ومن بنوه زين اباءه / كانها النور على قضبه
فخر الدهر بنت من اهله / ومنجب اصبحت من عقبه
ان الاسى القرن فلا تحيه / وسيفك الصبر فلا تنبه
ما كان عندي ان بدر الدجى / يوحشه المفقود من شهبه
حاشاك ان تضعف عن حمل ما / تحمل السائر في كتبه
وقد حملت الثقل من قبله / فاغنت الشدة عن سحبه
يدخل صبر المرء في مدحه / ويدخل الاشفاق في ثلبه
مثلك يثني الحزن عن صوبه / ويسترد الدمع من غربه
ايما لابقاء على فضله / ايما لتسليم الى ربه
ولم اقل مثلك اعني به / سواك يا فردا بلا مشبه

وقال في الطرد بدشت الارزن وقد خرج الامير

عضد الدولة يتصيد ومعه من الكلاب والفهود والبزاة والشواهين وعدد الصيد ما لم ير مثله كثرة وكان يسير قدام الجيش يمنة وشامة فلا يظهر شيء الا اصاده حتى وصل الى دشت الارزن وهو موضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز كثير الصيد تحف به الجبال والارزن فيه غاب ومياه ومروج فكانت الايايل تصاد بهم ويقتل بعضها بمشي والحبل في قرنه وكانت الوعول تعتصم بالجبال وتدورها الرجال تاخذ عليها المضايق فاذا اثخنها النشاب لجأت الى مواضع لا تحملها فهوت من رؤس الجبال الى الدشت فسقطت بين يديه منها ما يطيح قرنه ومنها ما يذبح فيخرج نصول النشاب من كبده وقلبه واقام بها اياما على عين حسنة وابو الطيب معه ثم قفل فقال ابو الطيب يصف الحال في رجب سنة اربع وخمسين وثلثمائة

ما اجدر الايام والليالي / بان تقول ما له وما لي
لا ان يكون هكذا مقالي / فتى بنيران الحروب صالي
منها شرابي وبها اغتسالي / لا تخطر الفحشاء لي ببالي
لو جذب الزراد من اذيالي / مخيرا الى صنعتي سربالي
ما سمته سرد سوى سروالي / وكيف لا وانما ادلالي
بفارس المجروح والشمال / ابي شجاع قاتل الابطال
ساقي كؤوس الموت والجريال / لما اصار القفص امس الخالي
وقتل الكرد عن القتال / حتى انقت بالفر والاجفال
فهالك وطائع وجال / واقتنص الفرسان بالعوالي

والعنق المحددة الصقال
وفي رقاق الارض والرمال
منفرد المهر عن الرعال
وشدة الضن لا الاستبدال
فهن يضربن على التصهال
يمسك فاه خشية السعال
فلم يئل ما طار غير آل
وما احتمى بالماء والدحال
ان النفوس عدد الآجال
بين المروج الفيح والاغيال
دانى الخنانيص من الاشبال
مجتمع الاضداد والاشكال
خاف عليها عوز الكمال
فصيدت الايل في الجبال
تسير سير النعم الارسال
ولدن تحت اثقل الاحمال
لا تشرك الاجسام في الهزال
ارينهن اشنع الامثال
زيادة في سبة الجهال
لسائر الجسم من الخبال
مرتديات بقسي الضال

صار لصيد الوحش في الجبال
على دماء الانس والاوصال
من عظم الهمة لا الملال
ما يتحركن سوى انسلال
كل عليل فوقها مختال
من مطلع الشمس الى الزوال
وما عدا فانعل في الادغال
من الحرام اللحم والحلال
سقيا لدشتا الارزن الطوال
مجاور الخنزير للرئبال
مشترف الدب على الغزال
كأن فنا خسر ذا الافضال
نجاها بالفيل والفيال
طوع وموق الخيل والرجال
معتمة ببيبس لا اجذال
قد منعتهن من التفالي
اذا تلفتن الى الاظلال
كأنما خلقن للاذلال
والعضو ليس نافعا في حال
واوفت الفدر من الاوعال
نواخس الاطراف للاكفال

يكدن ينفذن من الآطال
يصلحن للاضحال لا الاجلال
لم تغذ بالمسك ولا الغوالي
ومن ذكي المسك بالدمال
لعدها من شبكات المال
شبيهة الادبار بالاقبال
فاختلفت في وابلي نبال
قد اودعتها عتل الرجال
فهن يهوين من القلال
يرقلن في الجو على المحال
يمن فيه ميتة الكسال
لا يتشكين من الكلال
فكان عنها سبب الترحال
فوحش نجد منه في بلبال
نوافر الضباب والاورال
والظبي والخنساء والذيال
ما يبعث الخرس على السؤال
نود لو تحجفها ربوالي
يؤمنها من هذه الاهوال
وماء كل مسبل هطال
لو شئت صدت الاسد بالثعالي

لها لحى سود بلا اسبال
كل اثيث نبتها متفال
ترضى من الادهان بالابوال
لو سرحت في عارضي محتال
بين قضاة السوء والاطفال
لا تؤثر الوجه على القذال
من اسفل الطود ومن معال
في كل كبد كبدي نصال
مقلوبة الاظلاف والارقال
في طرق سريعة الايصال
على القفي اعجل العجال
ولا يحاذرن من الضلال
تشويق اكثار الى اقلال
يحفن في سلمى وفي قبال
والخاضبات الربد والرئال
يسمعن من اخباره الازوال
نحو لها والعود والمتالي
يركبها بالخطم والرحال
ويخمس العشب ولا يبالي
يا اقدر السفار والقفال
او شئت غرقت العدى بالآل

وَلَو جعلتَ موضعَ الالاء لالِ ... لأَلِيَا قتلتَ بِاللّالي
على ظهورِ الابلِ الاُبالِ ... فقد بلغتَ غايةَ الآمالِ
فلم تدعْ منها سوى المحالِ ... في لا مكانٍ عندَ لا منالِ
يا عضدَ الدّولةِ والمعالي ... النّسبُ الحَلْيُ وانتَ الحالي
بالابِ لا الشّنْفِ ولا الخلخالِ ... حَلْيًا تحلّى منك بالجمالِ
ورُبَّ قبحٍ وحُلًى ثِقالِ ... احسنُ منها الحسنُ في المِعطالِ
فخرُ الفتى بالنفسِ والافعالِ ... من قبلهِ بالعمِّ والاخوالِ

وقال ايضًا يودّعُ فيها عضدَ الدّولةِ في اوّلِ شعبانَ وتعرّضَ له بقُربِ الرّجوعِ وهي آخرُ شعرٍ قاله وسُمعَ منه وقُتلَ بالصّافيةِ بعدَ خروجهِ من ديرِ العاقولِ بقربِ بغداذَ يومَ الاثنين لثمانٍ بقينَ من شهرِ رمضانَ سنةَ اربعٍ وخمسينَ وثلثمائة

فِدًى لكَ من يقصّرُ عن مداكا ... فلا ملكٌ اذا الّا فداكا
ولو قلنا فدًى لكَ من يساوي ... دعونا بالبقاءِ لمن قلاكا
وآمنّا فداءكَ كلَّ نفسٍ ... وان كانتْ لمملكةٍ مِلاكا
ومن قد يظنّ نثرَ الحَبّ جودًا ... وينصبُ تحتَ ما نثرَ الشّباكا
ومن بلغَ التّرابَ بهِ كراهُ ... وقد بلغتْ به الحالُ السُّكاكا
فلو كانتْ قلوبهمُ صديقًا ... لقد كانتْ خلائقهم عداكا
لانّكَ مبغضٌ حسبًا نحيفًا ... اذا ابصرتَ دنياهُ ضناكا
اروحُ وقد ختمتَ على فؤادي ... بحبّكَ ان يحلَّ بهِ سواكا
وقد حمّلتني شكرًا طويلًا ... ثقيلًا لا اطيقُ بهِ حراكا
احاذرُ ان يشقَّ على المطايا ... فلا تمشي بنا الّا سواكا

لعلَّ اللهَ يجعلهُ رحيلًا ... يعينُ على الاقامةِ في ذراكا
فلو انّي استطعتُ خفضتُ طرفي ... فلم ابصرْ بهِ حتّى اراكا
وكيفَ الصّبرُ عنكَ وقد كفاني ... نداكَ المستفيضُ وما كفاكا
اتتركني وعينُ الشّمسِ نعلي ... فتقطعُ مشيتي فيها الشِّراكا
ارى اسفي وما سرنا شديدًا ... فكيفَ اذا غدا السّيرُ ابتراكا
وهذا الشّوقُ قبلَ البينِ سيفٌ ... وها انا ما ضُرِبتُ وقد احاكا
اذا التّوديعُ اعرضَ قالَ قلبي ... عليكَ الصّمتَ لا صاحبتَ فاكا
ولولا انَّ اكثرَ ما تمنّى ... معاودةٌ لقلتُ ولا مُناكا
قدِ استشفيتَ من داءٍ بداءٍ ... واقتلُ ما اعلّكَ ما شفاكا
فاسترُ منكَ نجوانا واخفي ... همومًا قد اطلتُ لها العِراكا
اذا عاصيتُها كانتْ شدادًا ... وان طاوعتُها كانتْ رِكاكا
وكم دونَ الثّويّةِ من حزينٍ ... يقولُ لهُ قدومي ذا بذاكا
ومن عذبِ الرّضابِ اذا انخنا ... يقبّلُ رحلَ تروكَ والوِراكا
يحرّمُ ان يمسَّ الطّيبَ بعدي ... وقد علقَ العبيرُ بهِ وصاكا
ويمنعُ ثغرهُ من كلِّ صبٍّ ... ويمنحهُ البشامةَ والاراكا
يحدّثُ مقلتيهِ النّومُ عنّي ... فليتَ النّومَ حدّثَ عن نداكا
وانّ البختَ لا يعرقنَ الّا وقد ... انضى العذافرةَ اللِّكاكا
وما ارضى لمقلتهِ بحلمٍ ... اذا انتبهتْ توهّمهُ ابتشاكا
ولا الّا بانْ يُصغي واحكي ... فليتكَ لا يتيّمهُ هواكا
وكم طربِ المسامعِ ليسَ يدري ... ايعجبُ من ثنائي ام علاكا
وذاكَ النّشرُ عرضكَ كانَ مسكًا ... وذاكَ الشّعرُ فهري والمداكا

فلا نحمد هما واحمد هماما … اذا لم يسم حامده عناكا
اعز له شمائل من ابيه … غدا يلقى بنوك بها اباكا
وفي الاحباب مختص بوجد … وآخر يدعي معه اشتراكا
اذا اشتبهت دموع في خدود … تبين من بكا ممن تباكا
اذمت مكرمات ابي شجاع … لعيني من نواي على اولاكا
فزل يا بعد عن ايدي ركاب … لها وقع الاسنة في حشاكا
وايا شئت يا طرقي فكوني … اذاة او نجاة او هلاكا
فلو سرنا وفي تشرين خمس … راوني قبل ان يروا السماكا
يشرد يمن فنا خسرو عني … قنا الاعداء والطعن الدراكا
والبس من رضاه في طريقي … سلاحا يذعر الابطال شاكا
ومن اعتاض منك اذا افترقنا … وكل الناس زور ما خلاكا
وما انا غير سهم في هواء … يعود ولم يجد فيه امتساكا
حيي من الهي ان يراني … وقد فارقت دارك واصطفاكا

تم ديوان المتنبي بحمد الله

والحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله وصحبه من بعده وسلم

وفي آخر النسخة التي انتسخ منها هذه ما صورته قرا على ديوان ابي الطيب احمد بن الحسين المتنبي الا قصيدة تبز بادهوا كاصبرت ام لم تصبرا احلما نرى ام زمانا جديدا باجازة لي عن الامام ابي سعيد عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري بسماعه عن الشيخ ابي عبد الله محمد بن باكويه الشيرازي الصوفي عن المتنبي الرئيس العالم ضيا الدين ابو المظفر محمد بن علي بن محمد بن ابي اليمن النيسابوري حرسه الله فسمع وسمع معه الشيخ الامام الموفق احمد بن عمر بن احمد بن عمر الثابتي وصح لهما ذلك بمجالس آخرها يوم الاربعا سابع وعشرين شوال سنة خمس وستين وخمسمائة كتبه ابو المطهر بن الفضل بن عبد الواحد بن الفضل الصيدلاني انتهى بحروفه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمار قمر البنان وصافلم البيان لهذا الديوان برسم سيدنا ومولانا جامع فضيلتي السيف والقلم وقارع رتبتي العلم والعلم محط رحال الآمال من الخاص في العام الجوهر الفرد الذي لا يقبل الانقسام رافع لواء المنثور والمنظوم والمبدي عما بذ النظراء في المنطوق والمفهوم من القت اليه الشيا زمامها وصلت الاقلام خلفه فكان ربيبها الفاضل وامامها ووقفت العلما ببابه واعترف بالفضل لجنابه حضرة مولانا ابراهيم افندي كاتب ديوان مصر العالي الشريف لا زال في ارغد عيش وعز وريف ولا برحت مصابيح افكاره مطلعة من بحور غوامضه جواهر الحكم وغرر درر انهاره مستمطرة من سحايب هواطل الكرم بمحمد وآله وصحبه وسلم

وكان الفراغ
من كتابته على يد فقير رحمة ربه واسير
ذنبه يوسف معتوق الخواجا تاج الدين البعلبكي غفر الله ذنوبه
وستر عيوبه وشفاه من ذنوب العيوب وسقاه من ذنوب الغيوب بمنه
وحلمه وكرمه في اليوم الخامس العشر الثامن للشهر الخامس من العشر الخامس من الثلث الثاني من العام السادس
بعد عام الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة
واكرم التحية والحمد لله رب العالمين
امين

